بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الباب الموفي ستين وخمسمائة

في وصيّة حكميّة ينتفع بها المريد السالك والواصل ومَن وقف عليها -إن شاء الله تعالى-

وَصَّى الإِلَهُ وَأَوْصَتْ رُسْلُهُ فَلِذَا ... كَانَ التَّأَسِّيْ بِهِمْ مِنْ أَفْضَلِ العَمَلِ

لَوْلا الوَصِيَّةُ كانَ الخَلْقُ فِيْ عَمَهٍ ... وبِالْوَصِيَّةِ دَارَ المُلْكُ فِي الدُّوَلِ

فاعْمَلْ عَلَيْهَا وَلا تُهْمِلْ طَرِيقَتَها ... إِنَّ الوَصِيَّةَ حُكْمُ اللهِ فِي الأَزَلِ

ذَكَرْتُ قَوْمًا بِمَا أَوْصَى الإِلَهُ بِهِ ... ولَيْسَ إِحْدَاثُ أَمْرٍ فِي الوَصِيَّةِ لِي

فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ ما قَالُوهُ أَوْ شَرَعُوا ... مِنَ السُّلُوكِ بِهِمْ فِي أَقْوَمِ السُّبُلِ

فَهَدْيُ أَحْمَدَ عَيْنُ الدِّيْنِ أَجْمَعِهِ ... وَمِلَّةُ المُصْطَفَى مِنْ أَنْوَرِ المِلَلِ

لَمْ تَطْمِسِ العَيْنَ بَلْ أَعْطَتْهُ قُوَّتَها ... حَتَّى يُقِيمَ الذِيْ فِيهِ مِنَ المَيَلِ

وَخُذْ[2] بِسِرِّكَ عَنْهُ مِنْ مَراكِزِهِ ... عُلْوًا إِلَى القَمَرِ العَالِي إِلَى زُحَلِ

إِلَى الثَّوابِتِ لا تَنْزِلْ بِساحَتِها ... وانْهَضْ إِلَى البُرْجِ العالِيْ مِنَ[3] الحَمَلِ

ومِنْهُ لِلْقَدَمِ الكُرْسِيِّ ثُمَّ إِلَى ... العَرْشِ المُحِيْطِ إِلَى الأَشْكالِ والمُثُلِ

إِلَى الطَّبِيعَةِ لِلنَّفْسِ النَّزِيهَةِ لِلعَقْلِ المُقَيَّدِ بِالأَغْراضِ والعِلَلِ

إِلَى العَمَاءِ الذِيْ ما فَوْقَهُ نَفَسٌ ... مِنْهُ إِلَى المَنْزِلِ المَنْعُوتِ بِالأَزَلِ

وانْظُرْ إِلَى الجَبَلِ الرَّاسِيْ عَلَى الجَبَلِ ... وقَدْ رَآهُ فَلَمْ يَبْرَحْ وَلَمْ يَزُلِ

لَوْلا العُلُوُّ الذِي فِي السُّفْلِ ما سَفُلَتْ ... وُجُوهُنَا تَطْلُبُ المَرْتِيَّ بِالمُقَلِ

لِذَلِكُمْ شَرَعَ اللهُ السُّجُودَ لَنَا ... فَتَشْهَدُ الحَقَّ فِي عُلْوٍ وفِي سُفُلِ

هَذِيْ وَصِيَّتُنَا إِنْ كُنْتَ ذَا نَظَرٍ[4] ... فَإِنَّها حِيلَةٌ مِنْ أَحْسَنِ الحِيَلِ

تَرَى[5] بِهَا كُلَّ مَعْلُومٍ بِصُورَتِهِ ... عَلَى حَقِيقَةِ مَا هُوَ لا عَلَى البَدَلِ

حَتَّى تَرَى المَنْظَرَ الأَعْلَى وَلَيْسَ لَهُ ... سِوَاكَ مَجْلَى فَلا تَبْرَحْ وَلا تَزُلِ

---

1 البسملة ص 2

2 ص 2ب

3 ق: "إلى" وكتب فوقها بقلم الأصل: "من"

4 مكتوب فوقها بقلم الأصل: "صح" وفي الهامش: "عمل" وفوقها "صح"

5 ص 3

فَـإِنْ دَعـاكَ إِلَى عَـيْنٍ تُسَرُّ بِهـا فَـلا تُجِبْـهُ وَكُـنْ مِنـهُ عَـلَى وَجَـلِ

إِنَّا إِناثٌ لِمَـا فِينَـا يُـوَلِّدُهُ فَلْنَحْمَدِ اللهَ ما فِي الكَوْنِ مِنْ رَجُلِ

إِنَّ الرِّجـالَ الذِيـنَ العُـرْفُ عَيَّـنَهُمْ هُمُ الإِناثُ فَهُـمْ نَفْسِي وَهُمْ أَمَـلِي

* * *

فمن ذلك وصيّة
(في الوصيّة العامّة)

قال الله -تعالى- في الوصيّة العامّة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[1] فأمر الحقُّ بإقامة الدين -وهو شرع الوقت في كلّ زمان وملّة- وأن يُجْتَمَع عليه، ولا يُتفرّق فيه؛ فإنّ «يد الله مع الجماعة»، «وإنما يأكل الذئبُ القاصية»، وهي البعيدة التي شردت وانفردت عمّا هي الجماعة عليه. وحكمة[2] ذلك أنّ الله لا يُعقل إلهاً إلّا من حيث أسمائه الحسنى، لا من حيث هو مُعَرّى عن هذه الأسماء الحسنى؛ فلا بدّ من توحيد عينِه، وكثرة أسمائه، وبالمجموع هو الإله؛ فيد الله -وهي القوّة- مع الجماعة.

* * *

أوصى حكيمٌ أولادَه عند موته، وكانوا جماعة، فقال لهم: ائتوني بعِصِيٍّ. فجمعها، وقال لهم: "اكسروها" وهي مجموعة، فلم يقدروا على ذلك. ثمّ فرّقها، فقال لهم: "خذوا واحدة واحدة فاكسروها" فكسروها. فقال لهم: "هكذا أنتم بعدي؛ لن تُغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرّقتم تمكّن منكم عدوُّكم فأبادكم"، وكذلك القائمون بالدِّين، إذا اجتمعوا على إقامة الدِّين، ولم يتفرّقوا فيه؛ لم يقهرهم عدوّ. وكذلك الإنسان في نفسه؛ إذا اجتمع في نفسه على إقامة دين الله؛ لم يغلبه شيطان من الإنس، ولا من الجنّ؛ بما يوسوس به إليه، مع مساعدة الإيمان والمَلَك بلمّته له.

وصيّة
(إذا عصيتَ الله -تعالى- بموضع؛ فلا تبرح من ذلك الموضع؛ حتى تعمل فيه طاعةً، وتقيم فيه عبادة)

إذا عصيتَ الله -تعالى- بموضع؛ فلا تبرح من ذلك الموضع؛ حتى تعمل فيه طاعةً، وتقيم فيه عبادة.

---

1 [الشورى : 13]

2 ص 3ب

فكما يشهد عليك إن استُشْهِد؛ يشهد لك؛ وحينئذ تنتزح عنه. وكذلك ثوبك إن عصيت الله فيه؛ فكن كما ذكرتُه لك: اعبُد الله فيه. وكذلك ما يفارقك منك؛ من قَصّ شارب، وحلق عانة، وقصّ أظفار، وتسريح شعر، وتنقية وسخ. لا يفارقك شيء[1] من ذلك من بدنك؛ إلّا وأنت على طهارة وذكر للهِ ﷻ[2] فإنّه يُسأل عنك؛ كيف تركك؟ وأقلّ عبادة تقدر عليها عند هذا كلّه؛ أن تدعو الله في أن يتوب عليك عن أمره -تعالى- حتى تكون مؤدّيا واجبا في امتثالك أمر الله، وهو قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فأمرك أن تدعوه، ثمّ قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعني هنا بالعبادة: الدعاء، أي من يستكبر عن الذلّة إليّ والمسكنة -فإنّ الدعاء سمّاه: عبادة، والعبادةُ ذلّةٌ، وخضوع، ومسكنة- ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3] أي أذلّاء. فإذا فعلوا ما أُمِروا به؛ جازاهم الله بدخول الجنّة أعزّاء.

دخلت[4] يوما الحمام لغسل طرأ عليّ سَحَرا، فلقيت فيه نجم الدين أبا المعالي بن اللهيب، وكان صاحبي، فاستدعى بالحلّاق يحلق رأسَه. فصحتُ به: يا أبا المعالي؛ فقال لي من فوره، قبل أن أتكلّم: إنّي على طهارة، قد فهمتُ عنك. فتعجّبت من حضوره، وسرعة فهمه، ومراعاته الموطنَ وقرائن الأحوال، وما يعرفه منّي في ذلك. فقلت له: بارك الله فيك. واللهِ؛ ما صحتُ بك إلّا لتكون على طهارةٍ وذِكرٍ عند مفارقة شَعرك. فدعا لي، ثمّ حلق رأسه. ومثلُ هذا قد أغفله الناس، بل يقولون: إذا عصيت الله في موضع؛ فتحوّل عنه؛ لأنّهم يخافون عليك أن تذكّرك البقعة بالمعصية؛ فتستحليها؛ فتزيد ذنبا إلى ذنب. فما ذكروا ذلك إلّا شفقة، ولكن فاتهم علم كبير. فأطِعِ الله فيه؛ وحينئذ[5] تتحوّل عنه؛ فتجمع بين ما قالوه، وبين ما وصّيتك به.

وكلّما ذكرتَ خطيئةً أتيتها؛ فتب عنها عقيب ذِكرك إيّاها، واستغفر الله منها، واذكر الله عندها بحسب ما كانت تلك المعصية؛ فإنّ رسول الله ﷺ يقول: «أتبع السيّئة الحسنة تمحها» وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[6] ولكن يكون لك ميزان في ذلك، تَعرف به مناسبات السيّئات والحسنات التي تزنها.

---

1 الحروف المعجمة مهملة عدا نقطة تحت أول حرف بحيث يمكن قراءة الكلمة: بشيء
2 ص 4
3 [غافر : 60]
4 ق: "ولقد دخلت" وهناك خط فوق اللفظة الأولى إشارة المسح
5 ص 4ب
6 [هود : 114]

وصيّة

(حسّن الظنّ بربّك على كلّ حال، ولا تسيء الظنّ به)

حسّن الظنّ بربّك على كلّ حال، ولا تسيء الظنّ به. فإنّك لا تدري؛ هل أنت على آخر أنفاسك في كلّ نفس يخرج منك؛ فتموت؛ فتلقى الله على حسن ظنّ به، لا على سوء ظنّ. فإنّك لا تدري؛ لعلّ الله يقبضك في ذلك النفَس الخارج إليه. ودع عنك ما قال مَن قال بسوء الظنّ في حياتك، وحسّن الظنّ بالله عند موتك. وهذا عند العلماء بالله مجهول؛ فإنّهم مع الله بأنفاسهم. وفيه من الفائدة والعلم بالله أنّك وفّيت في ذلك الحقّ حقّه؛ فإنّ مِن حقّ الله عليك الإيمان بقوله: ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] فلعلّ الله ينشئك في النفَس الذي تظنّ أنّه يأتيك ناشئة الموت والانقلاب إليه، وأنت على سوء ظنّ بربّك؛ فتلقاه على ذلك. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربّه أنّه[2] ﷻ يقول: «أنا عند ظنّ عبدي بي فليظنّ بي خيرا» وما خصّ وقتا من وقت.

واجعل ظنّك بالله علمًا بأنّه يعفو، ويغفر، ويتجاوز، وليكن داعيك الإلهيّ إلى هذا الظنّ قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾[3] فنهاك، وما نهاك عنه يجبُ عليك الانتهاء عنه، ثمّ أخبرَ وخبرُه صدق لا يدخله نسخ -فإنّه لو دخله نسخ لكان كذبا، والكذب على الله محال- فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وما خصّ ذنبا من ذنب، وأكّدها بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ ثمّ تمّم فقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾ فجاء بالضمير الذي يعود عليه ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ من كونه سبقت رحمتُه غضبَه. وكذلك قال: ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ ولم يعيّن إسرافا من إسراف، وجاء بالاسم الناقص الذي يعمّ كلّ مسرف. ثمّ إضافة العباد إليه؛ لأنّهم عباده، كما قال الحقّ عن العبد الصالح عيسى عليه السلام أنّه قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[4] فأضافهم إليه -تعالى- وكفى شرفا شرفُ الإضافة إلى الله تعالى.

وصيّة

(عليكم بذِكْر الله في السرّ والعلن)

عليكم بذِكْر الله في السرّ والعلن، وفي أنفسكم، وفي الملأ، فإنّ الله يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[5] فجعل

1 [الواقعة : 61]
2 ص 5
3 [الزمر : 53]
4 [المائدة : 118]
5 [البقرة : 152]

جوابَ الذِّكْرِ من العبدِ الذّكْر من الله، وأيّ ضرّاء على العبد أضرُّ من الذنب؟ وكان يقول ﷺ[1] في حال الضرّاء: «الحمد لله على كلّ حال» وفي حال السرّاء: «الحمد لله المنعِم المفضِل» فإنّك إذا أشعرت قلبك ذِكْر الله دائما في كلّ حال؛ لا بدّ أن يستنير قلبُك بنور الذّكْرِ؛ فيرزقك ذلك النورُ الكَشفَ؛ فإنّه بالنور يقع الكَشفُ للأشياء، وإذا جاء الكشفُ جاء الحياءُ يصحبه، دليلك على ذلك: استحياؤك من جارك، وممن ترى له حقّا وقدرا. ولا شكّ أنّ الإيمان يعطيك تعظيم الحقّ عندك، وكلامنا إنما هو مع المؤمنين، ووصيّتنا إنما هي لكلّ مسلم مؤمن بالله، وبما جاء من عنده، والله يقول في الخبر المأثور الصحيح عنه الحديث وفيه: «وأنا معه» يعني مع العبد «حين يذكرني؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي-، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»، وقال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[2] وأكبرُ الذّكر ذِكْرُ الله على كلّ حال.

* * *

وصيّة
(ثابر على إتيان جميع القُرَب جهد الاستطاعة)

ثابر على إتيان جميع القُرَب جهد الاستطاعة في كلّ زمان وحال، بما يخاطبك به الحقّ بلسان ذلك الزمان ولسان ذلك الحال. فإنّك، إن كنت مؤمنا، فلن تخلُص لك معصيةٌ أبدا، من غير أن تخالطَها طاعة؛ فإنّك مؤمن بها أنّها معصية. فإن أضفت إلى هذا التخليط[3] استغفارا وتوبة؛ فطاعة على طاعة، وقُربة إلى قربة؛ فيقوى جُزءُ الطاعة الذي[4] خلط العمل السيّئ. والإيمانُ من أقوى القُرَبِ، وأعظمها عند الله؛ فإنّه الأساس الذي انبنى عليه جميع القُرب.

ومن الإيمان حُكمك على الله بما حكم به على نفسه، في الخبر الذي صحّ عنه -تعالى- الذي ذكر فيه: «وإن تقرّب منّي شبرا تقرّبت منه ذراعا، وإن تقرّب إليّ ذراعا تقرّبت منه باعا، وإن أتاني يمشي- أتيته هرولة» وسبب هذا التضعيف من الله، والأقلّ من العبد والأضعف؛ فإنّ العبد لا بدّ له أن يتثبّت، من أجل النيّة، بالقربة إلى الله في الفعل، وإنّه مأمور بأن يَزِن أفعاله بميزان الشرع؛ فلا بدّ من التثبّط فيه. وإن أسرع، ووصف بالسرعة؛ فإنما سرعته في إقامة الميزان في فعله ذلك، لا في نفس الفعل؛ فإنّ إقامةَ

---

1 ص 5ب
2 [الأحزاب : 35]
3 ص 6
4 ق: التي

الميزان به تصحُّ المعاملة. وقربُ الله لا يحتاج إلى ميزان؛ فإنّ ميزان الحقّ الموضوع الذي بيده، هو الميزان الذي وَزنتَ أنت به ذلك الفعل الذي تطلب به القُربة إلى الله؛ فلا بدّ مَن هذا نعتُه أن يكون في قربه منك أقوى وأكثر من قربك منه. فوصف نفسَه بأنّه يقرُب منك في قُربك منه؛ ضعفَ ما قربتَ منه، مِثلا بمثل؛ لأنك على الصورة خُلقت.

وأقلُّ خلافةٍ لك؛ (خلافتك) على ذاتك. فأنت خليفته في أرض بَدَنِك، ورعيَّتُك[1] جوارحُك وقواك الظاهرة والباطنة. فعينُ قُربِه منك، قربُك منه وزيادة؛ وهي ما قال من الذراع، والباع، والهرولة. فالشبر إلى الشبر ذراع، والذراع إلى الذراع باع، والمشيُ إذا ضاعفته هرولةٌ. فهو في الأوّل الذي هو قُربُك منه، وهو في الآخِر الذي هو قربه منك؛ فهو الأوّل والآخِر، وهذا هو القرب المناسب؛ فإنّ القُربَ الإلهيّ من جميع الخلق غير هذا، وهو قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2] لما أريدُ هنا ذاك القرب، وإنما أريد القرب الذي هو جزاء قرب العبد من الله، وليس للعبد[3] قربٌ من الله؛ إلّا بالإيمان بما جاء من عند الله، بعد الإيمان بالله، وبالمبلِّغ عن الله.

* * *

وصيّة
(الزم نفسك الحديث بعمل الخير)

ألزِم نفسك الحديث بعمل الخير وإن لم تفعل، ومهما حدّثتَ نفسك بشرٍّ؛ فاعزم على ترك ذلك؛ لله. إلّا أن يغلبك القدر السابق والقضاء اللاحق؛ فإنّ الله إذا لم يقض عليك بإتيان ذلك الشيء الذي حدّثتَ به نفسَك؛ كتبه لك حسنة. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ عن ربّه ﷻ أنّه يقول: «إذا تحدّث عبدي بأن يعمل حسنة؛ فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها». وكلمة "ما" هنا ظرفيّة. فكلّ زمان يمرّ عليه[4] في الحديث بعمل هذه الحسنة، وإن لم يعملها، فإنّ الله يكتبها له حسنة واحدة في كلّ زمان يصحبه الحديث بها فيه، بلغتْ تلك الأزمنة من العدد ما بلغتْ، فله بكلّ زمان حديثٍ حسنة، ولهذا قال: «ما لم يعملها» ثمّ قال تعالى: «فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها»، ومن هنا فُرِض العُشر فيما سَقَت السماء إن علِمتَ. فإن كانت من الحسنات المتعدّية التي لها بقاء؛ فإنّ الأجر يتجدّد عليها ما بَقِيتْ إلى يوم القيامة؛ كالصدقة

---

1 ص كب
2 [ق : 16]
3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
4 ص 7

الجارية؛ مثل الأوقاف، والعِلم الذي يبثّه في الناس، والسنّة الحسنة، وأمثال ذلك.

ثمّ تمّم نِعَمه على عباده فقال -تعالى-: «وإذا تحدّث بأن يعمل سيّئة؛ فأنا أغفرها له ما لم يعملها» و"ما" هنا ظرفيّة، كما كانت في الحسنة سَواء، والحكمُ كالحكم في الحديث والجزاء، بالغا ما بلغ. ثمّ قال: «فإذا عملها؛ فأنا أكتبها له بمثلها» لجعل العدل في السيّئة، والفضل في الحسنة، وهو قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1] وهو الفضل، وهو ما زاد على المِثل.

ثمّ أخبر -تعالى- عن الملائكة أنّها تقول بحكم الأصل عليها الذي نطّقها في حقّ أبينا آدم بقولها: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[2] لما ذكَرَتْ إلّا مَساوينا، وما تعرّضتْ للحسَن من ذلك؛ فإنّ الملأ الأعلى تغلب عليه الغَيرة على جناب الله أن يُهتضم، وعلِمتْ من هذه النشأة العنصريّة[3]؛ أنّها لا بدّ أن تخالف ربّها، لما هي عليه من حقيقتها، وذلك عندها بالذوق من ذاتها، وإنّما هي في نشأتنا أظهر. ولولا أنّ الملائكة في نشأتها على صورة نشأتنا؛ ما ذكر الله عنهم أنّهم يختصمون، والخصام ما يكون إلّا مع الأضداد.

وما ذكر الله عن الملائكة في حقّنا أنّهم يقولون: ذاك عبدُك يريد أن يعمل حسنة. فانظر قوّة هذا الأصل ما أحكمه لمن نظر!. ومن هنا تعلم فضل الإنسان إذا ذكَر خيرا في أحد، وسكت عن شرّه؛ أين تكون درجته؟ مع القصد الجميل من الملائكة فيما ذكروه. ولكن نبّهتُك -على ما نبّهتُك عليه من ذلك- لتعرف نشأتهم، وما جُبِلوا عليه؛ فكلٌّ يعمل على شاكلته. كما قال تعالى وأخبر «أنّ الملائكة تقول: ذاك عبدك فلان يريد أن يعمل سيّئة وهو أبصر به. فقال: ارقبوه؛ فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة؛ إنّه إنّما تركها من جرّائي» أي من أجلي.

فالملائكة المذكورة هنا هم الذين قال الله لنا فيهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[4] فالمرتبة والتولية أعطتهم أن يتكلّموا بما تكلّموا به، فلهم كتابة الحسَن من غير تعريف بما تقدّم الله إليهم به في ذلك، ويتكلّمون في السيّئة؛ لما[5] يعلمونه من فضل الله وتجاوزه. ولولا ما تكلّموا في ذلك؛ ما عرفنا ما هو الأمر فيه عند الله، مثل ما يقولونه في مجالس الذِّكر في الشخص الذي يأتيها إلى حاجته، لا لأجل الذِّكر؛

---

1 [يونس : 26]
2 [البقرة : 30]
3 ص 7ب
4 [الإنفطار : 10 ، 11]
5 ص 8

فأطلق الله للجميع المغفرة، وقال: «هم القوم لا يشقى جليسهم» فلولا سؤالُهم وتعريفُهم بهم؛ ما عرفنا حكم الله فيهم. فكلامهم -عليهم السلام- تعليمٌ ورحمةٌ، وإن كان ظاهره كما يسبق إلى الأفهام القاصرة؛ مع الأصل الذي نبّهناك عليه، وقد قال الله في الحسنة والسيّئة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وأزيد ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾[1] وأغفِرُ بعد الجزاء لقوم، وقبل الجزاء لقوم آخرين؛ فلا بدّ من المغفرة لكلّ مسرف على نفسه، وإن لم يتب.

فمن تحقّق بهذه الوصيّة؛ عرف النِّسبة بين النشأة الإنسانيّة والمَلَكيّة، وأنّ الأصل واحد، كما أنّ ربّنا واحدٌ، وله الأسماء المتقابلة؛ فكان الوجود على صورة الأسماء.

* * *

وصيّة
(ثابر على كلمة الإسلام)

ثابر على كلمة الإسلام، وهي قولك: "لا إله إلّا الله" فإنّها أفضل الأذكار بما تحوي عليه من زيادة علم. وقال ﷺ[2]: «أفضل ما قلتُه أنا والنبيّون من قبلي: لا إله إلّا الله» فهي كلمةٌ جمعت بين النفي والإثبات، والقسمة منحصرة. فلا يَعرف ما تحوي عليه هذه الكلمة؛ إلّا مَن عرف وزنها، وما تَزِن، كما ورد في الخبر الذي نذكره في الدلالة عليها. فاعلم أنّها كلمة توحيد، والتوحيد لا يماثله شيء؛ إذ لو ماثله شيءٌ؛ ما كان واحدا، ولَكان اثنين فصاعدا؛ فما ثَمّ ما يَزِنه؛ فإنّه ما يَزِنه إلّا المعادِل والمماثِل، وما ثَمّ مماثِل ولا معادِل. فذلك هو المانع الذي منع "لا إله إلّا الله" أن تدخل الميزان. فإنّ العامّة من العلماء يرون أنّ الشرك -الذي هو يقابل التوحيد- لا يصحّ وجود القول به من العبد، مع وجود التوحيد. فالإنسان؛ إمّا مشرك وإمّا موحِّد. فلا يزن التوحيد إلّا الشرك؛ فلا يجتمعان في ميزان.

وعندنا إنما لم يدخل في الميزان؛ لما ورد في الخبر لمن فَهِمه واعتبره، وهو خبر صحيح عن الله، يقول الله: «لو أنّ السماوات السبع وعامِرُهنّ غيري، والأرضين السبع وعامرهنّ غيري؛ في كفّة، ولا إله إلّا الله في كفّة؛ مالت بهنّ لا إله إلّا الله» فما ذكر إلّا السماوات والأرض؛ لأنّ الميزان ليس له موضع[3] إلّا ما تحت مقعّر فلك الكواكب الثابتة من السدرة المنتهى، التي تنتهي إليها أعمال العباد، ولهذه الأعمال وُضِع الميزان؛

---

1 [الأنعام : 160]
2 ص 8ب
3 ص 9

فلا يتعدّى الميزان؛ الموضع الذي لا تتعدّاه الأعمال. ثمّ قال: «وعامرهنّ غيري» وما لها عامر إلّا الله؛ فالخبير تكفيه الإشارة.

وفي لسان العموم مِن علماء الرسوم، يعني بالغير، الشريك الذي أثبته المشرك، لو كان له اشتراك في الخلق؛ لكانت "لا إله إلّا الله" تميل به في الميزان؛ لأنّ "لا إله إلّا الله" الأقوى على كلّ حال؛ لكون المشرك يرجّح جانبَ الله -تعالى- على جانب الذي أشرك به؛ فقال فيهم إنّهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1] فإذا رفع ميزان الوجود، لا ميزان التوحيد؛ دخلت "لا إله إلّا الله" فيه، وقد تدخل في ميزان توحيد العظمة، وهو توحيد المشركين، فتزنه "لا إله إلّا الله" وتميل به. فإنّه إذا لم يكن العامر غير الله؛ فلا تميل، وعينه ما ذكره إنما هو الله، فإلى أين تميل، وما ثَمّ إلّا واحد في الكفّتين؟

وأمّا صاحب السجلّات؛ فما مالت الكفّة إلّا بالبطاقة؛ لأنّها هي التي حواها الميزان من كون "لا إله إلّا الله" تلفّظ بها قائلُها فكتبها المَلَك؛ فهي "لا إله إلّا الله" المكتوبة، المخلوقة في النطق، ولو وُضِعت[2] لكلّ أحد؛ ما دخل النارَ مَن تلفّظ بتوحيد. وإنما أراد اللهُ أن يُري فضلَها أهلَ الموقف في صاحب السجلّات، ولا يراها، ولا توضع إلّا بعد دخول مَن شاء الله من الموحّدين النار. فإذا لم يبق في الموقف موحّد قد قضى الله عليه أن يدخل النار، ثمّ بعد ذلك يخرج بالشفاعة، أو بالعناية الإلهيّة؛ عند ذلك يؤتَى بصاحب السجلّات، ولم يبق في الموقف إلّا من يدخل الجنّة ممن لا حظّ له في النار، وهو آخر مَن يوزن له من الخلق؛ فإنّ "لا إله إلّا الله" له البدء والختام، وقد يكون عينُ بُدئها ختامَها، كصاحب السجلّات.

ثمّ اعلم أنّ الله ما وضع في العموم إلّا أفضل الأشياء، وأعمّها منفعة، وأثقلها وزنا؛ لأنّه يماثل بها أضدادا كثيرة. فلا بدّ أن يكون في ذلك الموضوع في العامّة من القوّة؛ ما يقابل به كلّ ضدّ، وهذا لا يَتفطّن له كلّ عارف من أهل الله إلّا الأنبياء الذين شرعوا للناس ما شرعوا. ولا شكّ أنّه قال ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيّون من قبلي: لا إله إلّا الله» وقد قال ما أشارت إلى فضله مَن ادّعى الخصوص من الذّكر بكلمة: "اللهُ اللهُ، وهُوَ هُوَ" ولا شكّ أنّه من جملة الأقوال التي "لا إله إلّا الله" أفضل منها عند العلماء بالله.

1 [الزمر : 3]
2 ص وب

فعليك -يا وليّ- بالذِّكر الثابت[1] في العموم؛ فإنّه الذِّكر الأقوى، وله النور الأضوا، والمكانة الزلفى. ولا يشعر بذلك إلّا مَن لزمه، وعمل به حتى حكمه. فإنّ الله ما وسّع رحمته؛ إلّا للشمول، وبلوغ المأمول، وما من أحد إلّا وهو يطلب النجاة وإن جَهِل طريقَها. فَمَن نفى بـ"لا إله" عيْنَه أثبت بـ"إلّا الله" كوْنَه؛ فتنفي عينَكَ حُكماً لا عِلماً، وتوجب كونَ الحقّ حُكماً وعلماً. والإله مَن له جميع الأسماء، وليست إلّا لعين واحدة؛ وهي مسمّى "الله" عامر السماوات والأرض، الذي بيده ميزان الرفع والخفض. فعليك بلزوم هذا الذِّكرِ الذي قرَن اللهُ به وبالعلم به؛ السعادة؛ فعمّ.

* * *

وصيّة

(وإيّاك ومعاداة أهل "لا إله إلّا الله")

وإيّاك ومعاداة أهل "لا إله إلّا الله" فإنّ لها من الله الولاية العامّة. فهم أولياءُ الله. وإن أخطؤوا، وجاؤوا بقراب الأرض خطايا، لا يشركون بالله؛ لقيهم الله بمثلها مغفرة. ومَن ثبَتت ولايته؛ فقد حَرُمت محاربته، ومَن حارب اللهَ؛ فقد ذكر اللهُ جزاءه في الدنيا والآخرة. وكلُّ مَن لم يُطلعْك الله على عداوته لله؛ فلا تتّخذه عدوّا. وأقلُّ أحوالك -إذا جهِلته- أن تهمل أمرَه. فإذا تحقّقتَ أنّه عدوّ لله -وليس إلّا المشرك- فتبرّأ منه كما[2] فعل إبراهيم الخليل عليه السلام في حقّ أبيه آزر، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[3] هذا ميزانُك. يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ كما فعل إبراهيم الخليل ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[4] ومتى تعلم ذلك؟! ولا تعادِ عبادَ الله بالإمكان، ولا بما ظهر على اللسان، والذي ينبغي لك أن تكره فعلَه، لا عينَه، والعدوّ لله إنما تكره عينَه.

ففرِّق بين من تكره عينَه -وهو عدوّ الله- وبين مَن تكره فِعْلَه؛ وهو المؤمن، أو مَن تجهل خاتمته ممن ليس بمسلم في الوقت، واحذر قوله -تعالى- في الصحيح: «مَن عادى لي وليّا فقد آذنتُه بحرب» فإنّه إذا جَهل أمره وعاداه؛ لما وَفّى حقّ الحقّ في خلقه؛ فإنّه ما يدري عِلْمَ الله فيه، وما بيّنه الله له حتى يتبرّأ منه ويتّخذه عدوّا. وإذا علم حاله الظاهر وإن كان عدوّا لله في نفس الأمر، وأنت لا تعلم؛ فَوَالِهِ لإقامة حقّ

---

1 ص 10

2 ص 10ب

3 [التوبة : 114]

4 [المجادلة : 22]

الله، ولا تُعادِهِ؛ فإنّ الاسم الإلهيّ الظاهر يخاصمك عند الله. فلا تجعل لله عليك حجّة فتهلك؛ فإنّ لله الحجّةَ البالغة.

فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة، كما أنّ الله يرزقهم على كفرهم وشركهم، مع علمه بهم. وما رَزَقهم إلّا لعلمه بأنّ الذي هم فيه[1]؛ ما هم فيه بهم، وهم فيه بهم؛ لما قد ذكرناه بلسان العموم؛ فإنّ الله خالقُ كلّ شيء، وكفرُهم وشركُهم مخلوقٌ فيهم. وبلسان الخصوص؛ ما ظهر حكمٌ في موجودٍ إلّا بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي عِلمه الله منه. ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[2] على كلّ أحد، مهما وقع نزاعٌ ومحاجّةٌ؛ فيُسلّمُ الأمر إليه، واعلم أنك على ما كنت عليه.

وعمّ برحمتِك وشفقتِك جميعَ الحيوان والمخلوقين، ولا تقل: هذا نبات وجماد، ما عندهم خبرٌ. نَعم؛ عندهم أخبار، أنت ما عندك خبرٌ. فاترك الوجود على ما هو عليه، وارحمه برحمة موجِده في وجوده، ولا تنظر فيه من حيث ما يقام فيه في الوقت ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[3] فيتعيّن عليك عند ذلك أن تتّخذهم أعداء؛ لأمر اللهِ لك بذلك؛ حتى نهاك أن تتّخذ[4] عدوّه وليًا تلقي إليه بالمودّة. فإن اضطرّك ضعفُ يقين إلى مداراتهم؛ فدارِهم من غير أن تلقي إليهم بمودّة؛ ولكن مسالمةً لرفع الشرّ عنك. ففوّض الأمر إليه، واعتمد في كلّ حال عليه، إلى أن تلقاه.

* * *

وصيّة
(وعليك بملازمة ما افترضه اللهُ عليك)

وعليك[5] بملازمة ما افترضه اللهُ عليك على الوجه الذي أمرك أن تقوم فيه. فإذا أكملتَ نشأة فرائضك -وإكمالُها فرضٌ عليك- حينئذ تتفرّغ ما بين الفرضين لنوافل الخيرات، كانت ما كانت. ولا تحقّر شيئا من عملك؛ فإنّ الله ما احتقره حين خَلَقَهُ وأوجبَه. فإنّ الله ما كلّفك بأمر؛ إلّا وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلّفك به، مع كونك في الرتبة أعظم عنده؛ فإنّك محَلٌّ لوجود ما كلّفك؛ إذ كان التكليف لا يتعلّق إلّا بأفعال المكلّفين؛ فيتعلّق بالمكلّف من حيث فعلِه، لا من حيث عينِه.

---

1 ص 11
2 [الأنعام : 149]
3 [التوبة : 43]
4 "نهاك أن تتّخذ" هي في ق: "ما كان يتخذ"
5 ص 11ب

واعلم أنّك إذا ثابرتَ على أداء الفرائض؛ فإنّك تقرّبْتَ إلى الله بأحبّ الأمور المقرّبة إليه. وإذا كنتَ صاحبَ هذه الصفة؛ كنتَ سمعَ الحقّ وبصرَه؛ فلا يسمع إلّا بك، ولا يبصر إلّا بك؛ فيَدُ الحق يَدُك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] وأيديهم من حيث ما هي يَدُ الله؛ فوق أيديهم من حيث ما هي أيديهم؛ فإنّها المبايعة -اسم فاعل- والفاعل هو الله؛ فأيديهم يدُ الله؛ فبأيديهم بايَعَ -تعالى- وهم المبايعون. الأسبابُ كلّها يد الحقّ التي لها الاقتدار على إيجاد المسبَّبات، وهذه هي[2] المحبّة العظمى التي ما ورد فيها نصّ جليّ كما ورد في النوافل. فإنّ للمثابرة على النوافل حبّا إلهيّا منصوصا عليه، يكون الحقُّ سمعَ العبدِ وبصرَه، كما كان الأمر بالعكس في حبّ أداء الفرائض.

ففي الفرض عبوديّة الاضطرار، وهي الأصليّة، وفي الفرع -وهو النفل- عبوديّة الاختيار؛ فالحقُّ فيها سمعُك وبصرُك. ويسمّى نفلا؛ لأنّه زائد، كما أنّك بالأصالة زائدٌ في الوجود؛ إذ كان اللهُ ولا أنتَ، ثمّ كنتَ؛ فزاد الوجود الحادث. فأنت نفلٌ في وجود الحقّ؛ فلا بدّ لك من عمل يسمّى: نفلا، هو أصلُك، ولا بدّ من عمل يسمّى: فرضا، وهو أصل الوجود، وهو وجود الحقّ.

ففي أداء الفرضِ أنت له، وفي النفلِ أنت لك. وحبُّه إيّاك من حيث ما أنت له؛ أعظمُ وأشدُّ مِن حبّه إيّاك، من حيث ما أنت لك. وقد ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى: «ما تقرّب إلي عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحببته؛ فكنت سمعَه الذي به يسمع، وبصرَه الذي به يبصر، ويدَه التي بها يبطش، ورجلَه التي بها يمشي، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما تردّدتُ عن شيء أنا فاعله[3] تردّدي عن نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته» فانظر إلى ما تنتجه محبّة الله؛ فثابِر على أداء ما يصحّ به وجود هذه المحبّة الإلهيّة.

ولا يصحّ نفلٌ إلّا بعد تكملة الفرض، وفي النفل عينِه فروضٌ ونوافلٌ؛ فبما فيه من الفروض تكمل الفرائض. ورد في الصحيح أنّه يقول تعالى: «انظروا في صلاة عبدي أتمّها أم نقصها؛ فإن كانت تامّة كُتِبَتْ له تامّة، وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوُّع، فإن كان له تطوُّع قال الله: أكملوا لعبدي فريضته من تطوّعه، ثمّ تؤخذ الأعمال على ذاكم». وليست النوافل إلّا ما لها أصل في الفرائض، وما لا أصل له في فرض؛ فذلك إنشاء عبادة مستقلّة، يسمّيها علماءُ الرسوم: "بدعة" قال الله تعالى:

1 [الفتح : 10]
2 ص 12
3 ص 12ب

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾[1] وسمّاها رسول الله ﷺ «سنّة حسنة» والذي سنّها له أجرها وأجر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن يُنقِص من أجورهم شيئا.

ولَمّا لم يكن في قوّة النفل أن يَسُدَّ مَسَدّ الفرض؛ جعل في نفس النفل فروضا لتجبر الفرائض بالفرائض. كصلاة النافلة بحكم الأصل، ثمّ إنّها تشتمل على فرائض من[2] ذِكْرٍ، وركوع، وسجود، مع كونها في الأصل نافلة، وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها.

* * *

وصيّة

(وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك)

وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك؛ فإنّ أقوالك من جملة عملك. ولهذا قال بعض العلماء: "مَن عَدَّ كلامه من عمله؛ قَلَّ كلامُه". واعلم أنّ الله راعى أقوال عباده، وأنّ الله عند لسان كلّ قائل؛ لما نهاك الله عنه أن تتلفّظ به؛ فلا تتلفّظ به وإن لم تعتقده؛ فإنّ الله سائلك عنه. روينا أنّ المَلَك لا يكتب على العبد ما يعمله حتى يتكلّم به، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3] يريد المَلَك الذي يحصي- عليك أقوالك. يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4] وأقوالك من أفعالك. انظر في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾[5] فنهاك عن القول؛ فإنّه كذّب الله مَن قال مثل هذا القول؛ فإنّ الله قال فيهم إنّهم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. ألا ترى إلى قوله -تعالى- حيث يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[6] وقال: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[7] وقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾[8] وهو القول؛ فإذا تكلّمتَ؛ فتكلّم[9] بميزان ما شرع الله لك أن تتكلّم به. وكان رسول الله ﷺ يمزح، ولا يقول إلّا حقّا. فعليك بقول الحقّ الذي يرضي الله، لما كلّ حقّ يقال يرضي الله. فإنّ النميمةَ حقٌّ، والغيبة حقٌّ، وهي لا ترضي الله، وقد نُهيتَ أن تغتاب، وأن تَنُمّ

---

1 [الحديد : 27]
2 ص 13
3 [ق : 18]
4 [الإنفطار : 10 - 12]
5 [البقرة : 154]
6 [آل عمران : 169]
7 [النساء : 148]
8 [النساء : 114]
9 ص 13ب

بأحد.

ومن مراعاة الله الأقوال؛ ما رويناه في صحيح مسلم عن الله -تعالى- لمّا مطرت السماء قال ﷺ: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فمن قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا؛ فهو كافر بي، مؤمن بالكوكب، وأمّا من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب» فراعى أقوالَ القائلين.

وكان أبو هريرة يقول إذا مطرت السماء: مُطرنا بنوء الفتح، ثمّ يتلو: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[1]. ولو كنتَ تعتقد أنّ الله هو الذي وضع الأسباب، ونَصَبَها، وأجرى العادة عندنا بأنّه يفعل الأشياء عندها، لا بها، ومع هذا كلّه لا تقل ما نهاك الله عنه أن تقوله، وتتلفّظ به؛ فإنّه كما نهاك عن أمور؛ نهاك عن القول، وإن كان حقًّا.

وانظر ما أحكم قول الله ﷻ في قوله: «مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب» فإنّه مهما قال[2]: "بالله" فقد ستر الكوكبَ حيث لم ينطق باسمه. ومن قال: "بالكوكب" فقد ستر الله، وإن اعتقد أنّه الفاعل، مُنزِل المطر؛ ولكن لم يتلفّظ باسمه؛ فجاء -تعالى- بلفظ الكفر، الذي هو الستر. فإيّاك والاستمطار بالأنواء أن تتلفّظ به؛ فأحرى أن تعتقده. فإنّ اعتقادك، إن كنتَ مؤمنا، أنّ الله نصبها أدلّة عاديّة -وكلّ دليل عاديّ يجوز خرق العادة فيه- فاحذر من غوائل العادات، ولا تصرفنّك عن حدود الله التي حدّ لك، فلا تتعدّاها؛ فإنّ الله ما حدّها حتى راعاها، وذلك في كلّ شيء.

ورد في الخبر الصحيح: «إنّ الرجل يتكلّم بالكلمة مِن سخط الله، ما يظنّ أن تبلغ ما بلغتْ، فيهوي بها في النار سبعين خريفا، وإنّ الرجل ليتكلّم بالكلمة مِن رضوان الله، ما يظنّ أن تبلغ ما بلغتْ، فيرفع بها في علّيّين». فلا تنطق إلّا بما يرضي الله، لا بما يسخط الله عليك، وذلك لا يتمكن لك إلّا بمعرفة ما حدّه لك في نطقك، وهذا بابٌ أغفله الناس. قال رسول الله ﷺ: «وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلّا حصائدُ ألسنتهم» وقال الحكيم: "لا شيء أحقّ بسجنٍ مِن لسان". وقد جعله الله خلف بابين: الشفتين والأسنان، ومع هذا يكثر الفضول ويفتح الأبواب.

1 [فاطر : 2]
2 ص 14

وصيّة

(وإيّاك أن تصوّر صورة بيدك من شأنها أن يكون لها روح)

وإيّاك[1] أن تصوّر صورة بيدك من شأنها أن يكون لها روح؛ فإنّ ذلك أمر يهوّنه الناس على أنفسهم، وهو عند الله عظيم. فالمصوّرون أشدُّ الناس عذابا يوم القيامة؛ يقال للمصوّر يوم القيامة: أحيي ما خلقتَ، أو انفخ فيها روحا، وليس بنافخ. وقد ورد في الصحيح عن الله -تعالى- أنّه قال: «ومن أظلمُ ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي، فليخلقوا ذرّة، أو ليخلقوا حبّة، أو ليخلقوا شعيرة». وإنّ العبد إذا راعى هذا القدر، وتركه لما ورد عن الله فيه، ولم يزاحم الربوبيّة في تصوير شيء؛ لا مِن حيوان ولا مِن غير حيوان؛ فإنّه يطّلع على حياة كلّ صورة في العالم؛ فيراه كلّه حيوانا ناطقا يسبّح بحمد الله. وإذا سامح نفسه في تصوير النبات، وما ليس له روح في الشاهد في نظر البصر في المعتاد؛ فلا يطّلع على مثل هذا الكشف أبدا؛ فإنّه -في نفس الأمر- لكلّ صورة من العالم روح، أخذ الله بأبصارنا عن إدراك حياة ما نقول عنه إنّه ليس بحيوان، وفي الآخرة ينكشف الأمر في العموم، ولهذا سمّاها بالدار الحيوان؛ لما ترى فيها شيئا إلّا حيّا ناطقا، بخلاف حالك في الدنيا.

كما روي في الصحيح: «أنّ الحصى- سبّح في كفّ رسول الله ﷺ». فجعل الناسُ خرقَ العادة في تسبيح الحصى، وأخطؤوا؛ وإنّما خرق العادة في سمع[2] السامعين ذلك؛ فإنّه لم يزل مسبّحا كما أخبر الله. إلّا أن يسبّح بتسبيح خاص، أو هيئة في النطق خاصة لم يكن الحصى- قبل ذلك يسبّح به، ولا على تلك الكيفيّة؛ فحينئذ يكون خرق العادة في الحصَى، لا في سمع السامع. والذي في سمع السامع كونه سَمِع نُطق مَن لم تجر العادة أن يسمعه.

* * *

وصيّة: (وعليك بعيادة المرضى)

وعليك -يا أخي- بعيادة المرضى لما فيه من الاعتبار والذّكرى؛ فإنّ الله خلق الإنسان من ضعف؛ فينبّهك النظر إليه في عيادتك[3] على أصلك لتفتقر إلى الله في قوّة يقوّيك بها على طاعته، وأنّ الله عند عبده إذا مرض. ألا ترى إلى المريض ما له استغاثة إلّا بالله؟ ولا ذِكْرَ إلّا "الله"؟ فلا يزال الحقّ بلسانه

1 ص 14ب
2 ص 15
3 ق: عبادتك

منطوقا به، وفي قلبه التجاءٌ إليه. فالمريض لا يزال مع الله، أيّ مريضٍ كان. ولو تطبّب، وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها، ومع ذلك فلا يغفل عن الله؛ وذلك لحضور الله عنده. وإنّ الله يوم القيامة يقول: «يا ابن آدم؛ مرضتُ فلم تعُدني؟ قال: يا ربّ؛ كيف أعودك وأنت ربّ العالمين قال: أما علمت أنّ عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما إنّك لو عدْتَه لوجدتني عنده» الحديث، وهو صحيح. فقوله[1]: «لوجدتني عنده» هو ذِكْر المريض ربَّه في سرّه وعلانيَته.

وكذلك إذا استطعمك أحدٌ من خلق الله، أو استسقاك؛ فأطعمه واسقِه إذا كنت موجِدا لذلك؛ فإنّه لو لم يكن لك من الشرف والمنزلة إلّا أنّ هذا المستطعِم والمستسقي قد أنزلك منزلة الحقّ الذي يطعِم عبادَه ويسقيهم، وهذا نظرٌ قلّ مَن يعتبره. انظر إلى السائل إذا سأل ويرفع صوته يقول: "يا الله أعطني" لما نطّقه الله إلّا باسمه في هذه الحال، وما رفع صوتَه إلّا لسمعك أنت حتى تعطيه؛ فقد سمّاك بالاسم الله، والتجأ إليك برفع الصوت التجاءه إلى الله. ومَن أنزلك منزلة سيّده؛ فينبغي لك أنْ لا تحرمه، وتبادر إلى إعطائه ما سألك فيه.

فإنّ في هذا الحديث الذي سقناه آنفا في مرض العبد أنّ الله يقول: «يا ابن آدم؛ استطعمتك فلم تطعمني؟ قال: يا ربّ؛ كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلانا استطعمك فلم تطعِمه؛ أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم؛ استسقيتك فلم تسقني؟ قال: يا ربّ؛ كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلانا استسقاك فلم تُسْقِه؛ أما لو سَقَيْتَه لوجدت ذلك عندي» خرّج هذا الحديث مسلم، عن محمد[2] بن حاتم عن بهز عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فأنزل الله نفسَه في هذا الخبر منزلة عبده».

فالعبد الحاضر مع الله، الذاكر الله في كلّ حال في مثل هذه الحال؛ يرى الحقَّ أنّه الذي استطعمه واستسقاه؛ فيبادر لما طلب الحقُّ منه؛ فإنّه لا يدري يوم القيامة لعلّه يقام في حال هذا الشخص الذي استطعمه واستسقاه من الحاجة؛ فيكافئه الله على ذلك، وهو قوله: «لوجدتَ ذلك عندي» أي تلك الطعمة والشربة كنتُ أرفعها لك وأربّيها حتى تجيء يوم القيامة؛ فأردّها عليك أحسن، وأطيب، وأعظم، مما كانت.

---

1 ص 15ب
2 ص 16

فإن لم تكن لك همّة أن ترى هذا الذي استسقاك قد أنزلك منزلة مَن بيده قضاء حاجته؛ إذ جعلك الله خليفة عنه؛ فلا أقلّ أن تقضي حاجة هذا السائل بنيّة التجارة طلبا للربح، وتضاعف الحسنة. فكيف إذا وقفت على مثل هذا الخبر، ورأيت أنّ الله هو الذي سألك ما أنت مستخلَف فيه؛ فإنّ الكلّ لله، وقد أمرك بالإنفاق مما استخلفك فيه، فقال: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1] وعظّمَ الأجر فيه إذا أنفقتَ.

فلا تردّ سائلا، ولو بكلمة طيّبة، والقَهُ طلْق الوجه، مسرورا به[2]؛ فإنّك إنما تلقى الله. وكان الحسين أو الحسن - عليهما السلام- إذا سأله السائل؛ سارع إليه بالعطاء، ويقول: "أهلا والله وسهلا بحامل زادي إلى الآخرة" لأنّه رآه قد حمل عنه، فكان له مثل الراحلة. لأنّ الإنسان إذا أنعم الله عليه نعمة، ولم يحمل فضلَها غيرُه؛ فإنّه يأتي بها يوم القيامة وهو حامِلُها حتى يُسألَ عنها. فلهذا كان الحسن يقول: إنّ السائل حامل زاده إلى الآخرة، فيرفع عنه مؤونة الحِمْل.

* * *

وصيّة: (وإيّاكم ومظالم العباد)

وإيّاكم ومظالم العباد؛ فإنّ «الظلم ظلمات يوم القيامة». وظلمُ العباد أن تمنعهم حقوقهم التي أوجب الله عليك أداءها إليهم، وقد يكون ذلك بالحال. لما تراه عليه من الاضطرار، وأنت قادرٌ واجدٌ[3] لِسَدّ خُلّته ودفع ضرورته؛ فيتعيّن عليك أن تعلم أنّ له بحاله حقّا في مالِك؛ فإنّ الله ما أطلعك عليه إلّا لتدفع إليه حقّه، وإلّا فأنت مسئول. فإن لم يكن لك بما تسدّ خلّته؛ فاعلم أنّ الله ما أطلعك على حاله سُدَى؛ فاعلم أنّه يريد منك أن تعينه بكلمة طيّبة عند مَن تعلم أنّه يسدّ خَلّته. فإن لم تعمل؛ فلا أقلّ من دعوة تدعو له، ولا يكون هذا إلّا بعد بذل المجهود واليأس، حتى لا يبقى عندك إلّا الدعاء. ومهما غفلت عن هذا القدر؛ فأنت من جملة مَن ظلم صاحب هذا الحال[4]، هذا كلّه إن مات ذلك المحتاج من تلك الحاجة. فإن لم يمت، وسدّ خلّته غيرُك من المؤمنين؛ فقد أسقط أخوك عنك هذه المطالبة من حيث لا يشعر؛ فإنّ «المؤمن أخو المؤمن، لا يُسلمه» وإن لم ينْوِ المعطي ذلك؛ ولكن هكذا هو في نفس الأمر، وكذا يقبله الله.

---

1 [الحديد : 7]
2 ص 16ب
3 ق: "مواجد" وفي الهامش بقلم الأصل: "واجد"
4 ص 17

فإذا أعطيتَ أنت سائلا بالحال ضرورته، فانوِ في ذلك أن تنوب عن أخيك المؤمن الأوّل الذي حَرَمه، وتجعل ذلك منه إيثارا لجنابك عليه بذلك الخير الذي أبقاه من أجلك حتى تصيبه؛ إذ لو أعطاه اقتنع بما أعطاه، ولم تجد أنت ذلك الخير. فبهذه النيّة عطاءُ العارفين أصحابَ الضرورات السائلين بأحوالهم وأقوالهم.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[1] وسَواء كان ذلك في القوتِ المحسوس أو المعنويّ؛ فإنّ العلم من هذا الباب والإفادة. فإنّ الضالّ يطلب الهداية، والجائع يطلب الإطعام، والعاري يطلب الكسوة التي تقيه برد الهواء وحرّه، وتستر عورته، والجاني العالم بأنّك قادر على مؤاخذته يطلب منك العفو عن جنايته. فأَهْدِ الحيَران[2]، وأطعمِ الجائع، واسق الظمآن، واكسِ العُريان. واعلم أنّك فقير لما يُفتقر إليك فيه، والله غنيّ عن العالمين؛ ومع هذا يجيب دعاءهم، ويقضي حوائجهم، ويسألهم أن يسألوه في[3] دفع المضارّ عنهم، وإيصال المنافع إليهم؛ فأنت أوْلَى أن تعامِل عبادَ الله بمثل هذا؛ لحاجتك إلى الله في هذه الأمور.

خرّج مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، عن مروان بن محمد الدمشقي، عن سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذرّ عن النبيّ ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: «يا عبادي؛ إنّي حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّما؛ فلا تظالموا. يا عبادي؛ كلكم ضالّ إلّا مَن هديته، فاستهدوني أهدِكم. يا عبادي؛ كلّكم جائع إلّا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم. يا عبادي؛ كلكم عارٍ إلّا مَن كسوته؛ فاستكسوني أكسكم. يا عبادي؛ أنتم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا؛ فاستغفروني أغفر لكم» والحقّ -تعالى- يعطيك[4] هذا كلّه من غير سؤال منك إيّاه فيه، ولكن مع هذا أمرك أن تسأله؛ فيعطيك إجابةً لسؤالك؛ ليريك عنايته بك حيث قَبِل سؤالك، وهذه منزلة أخرى زائدة على ما أعطاك.

وإذا كان سؤالك عن أمره، وقد علم منك أنّك تسأله، ولا بدّ من ضرورة؛ أصْلَ ما خُلِقتَ عليه من الحاجة والسؤال؛ لتكون في سؤالك مؤدّيا أمرا واجبا؛ فتجزى جزاء من امتثل أمر الله؛ فتزيد خيرا إلى خير. فما أمَرَك إلّا رحمة بك، وإيصال خير إليك، وليُنبِّهَك على[5] أنّ حاجتك إليه، لا إلى غيره؛ فإنّه ما

---

1 [الضحى : 10]
2 رسمها يقرب من: الجيران
3 ص 17ب
4 ق: يعطيكم
5 ص 18

خلقك إلّا لعبادته، أي لتذلّ له.

فالذي أوصيك به؛ الوقوف عند أوامر الحقّ ونواهيه، والفهم عنه في ذلك؛ حتى تكون من العلماء بما أراده الحقّ منك في أمره ونهيه إيّاك. ومَن لم يسأل ربّه؛ فقد بخّله، هذا في حقّ العموم، فإن فرّطتَ فيما أوصيتك به فلا تلومنّ إلّا نفسك. فإنّك إن كنت جاهلا فقد علّمتُك، وإن كنت ناسيا وغافلا فقد نبّهتُكَ وذكّرتُكَ. فإن كنت مؤمنا؛ فإنّ الذّكرى تنفعك، فإنّي قد امتثلتُ أمر الله بما ذكّرتُك به، وانتفاعُك بالذّكرى شاهِدٌ لك بالإيمان. قال الله ﷻ في حقّي وفي حقّك: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] فإن لم تنفعك الذّكرى فاتّهم نفسك في إيمانك، فإنّ الله صادق، وقد أخبر بأنّ الذّكرى تنفع المؤمنين.

ومن تمام هذا الخبر الإلهيّ الذي أوردناه بعد قوله: «أغفر لكم» أن قال: «يا عبادي؛ إنّكم لن تبلغوا ضُرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» ومعلوم أنّه -سبحانه- لا يتضرّر ولا ينتفع؛ فإنّه الغنيّ عن العالمين، ولكن لمّا أنزل نفسه منزلة عبده، فيما ذكرناه من الاستطعام والاستسقاء؛ نبّهنا بالعجز عن بلوغ الغاية في ضرّ العباد وفي نفعهم؛ لمن الحال بلوغ الغاية في ذلك. ولكون الله قد قال في حقّ قوم: إنّهم[2] ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾[3]، وهو في الظاهر ضرر؛ نزّه نفسه عن ذلك. وكذلك مَن فعل فعلا يرضي الله به ويفرحه، كالتائب في فرح الله بتوبة عبده؛ فكان هذا الخبر كالدواء؛ لما يطرأ من المرض من ذلك في بعض النفوس الضعيفة في العلم بالله التي لا علم لها بما يعطيه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4].

ثمّ من تمام هذا الخبر قوله: «يا عبادي؛ لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي؛ لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي؛ لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، قاموا في صعيد واحد؛ فسألوني؛ فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته؛ ما نقص ذلك ممّا عندي إلّا كما ينقص المخيط إذا دخل في البحر» وهذا كلّه دواء لما ذكرناه من أمراض النفوس الضعيفة. فاستعمل -يا وليّ- هذه الأدوية. يقول الله: «إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثمّ أوفّيكم إيّاها. فمَن وجد خيرا فليحمد الله، ومَن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه».

---

1 [الذاريات : 55]
2 ص 18ب
3 [محمد : 28]
4 [الشورى : 11]

ومن سأل عن حاجة فقد ذلّ، ومَن ذلّ لغير الله فقد ضلّ وظلم نفسه، ولم يسلك بها طريق هداها. وهذه وصيّتي إيّاك فالزمها، ونصيحتي فاعلمها. وما زال الله -تعالى- يوصي[1] عباده في كتابه، وعلى السنة رسله. فكلّ من أوصاك بما في استعماله سعادتك؛ فهو رسول من الله إليك؛ فاشكره عند ربّك.

* * *

وصيّة: (إذا رأيتَ عالما لم يستعمله علمه؛ فاستعمل أنت علمك فيه في أدبك معه)

إذا رأيتَ عالما لم يستعمله علمه؛ فاستعمل أنت علمك فيه في أدبك معه؛ حتى توفّي العالِم حقّه من حيث ما هو عالِم، ولا تُحجَبْ عن ذلك بحالِهِ السيّئ؛ فإنّ له عند الله درجة عِلمه؛ فإنّ الإنسان يُحشر يوم القيامة مع مَن أحبّ. ومَن تأدّب مع صفة إلهيّة؛ كُسِيَها يوم القيامة، وحُشِر فيها.

وعليك بالقيام بكلّ ما تعلم أنّ الله يحبّه منك؛ فتبادر إليه. فإنّك إذا تحلّيتَ به على طريق التحبّب إليه -تعالى- أحبّك، وإذا أحبّك أسعدك بالعلم به، وبتجلّيه، وبدار كرامته؛ فينعّمك في بلائك. والذي يحبّه -تعالى- أمور كثيرة أذكر منها ما تيسّر على جهة الوصيّة والنصيحة:

فمن ذلك التجمّل لله؛ فإنّه عبادة مستقلّة، ولا سيما في عبادة الصلاة؛ فإنّك مأمور به. قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[2] وقال في معرض الإنكار: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً[3] يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4] وأكثر من هذا البيان في مثل هذا في القرآن فلا يكون. ولا فرق بين زينة الله، وزينة الحياة الدنيا، إلّا بالقصد والنيّة؛ وإنما عينُ الزينة هي هي، ما هي أمرٌ آخر. فالنيّةُ روحُ الأمور، وإنما لامرئ ما نوى.

فالهجرةُ من حيث ما كانت هجرةَ واحدةُ العين «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوّجها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه». وكذلك ورد في الصحيح في بيعة الإمام في الثلاثة الذين لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم، وفيه: «ورجل بايع إماما لا يبايعه إلّا لدنيا؛ فإن أعطاه منها وَفَى، وإن لم يعطه منها لم يَفِ» فالأعمال بالنيّات،

---

1 ص 19
2 [الأعراف : 31]
3 ص 19ب
4 [الأعراف : 32]

وهو أحد أركان بيت الإسلام.

وورد في الصحيح في مسلم أنّ رجلا قال لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله؛ إنّي أحبّ أن يكون نعلي حسنا وثوبي حسنا». فقال له رسول الله ﷺ: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال» وقال: «إنّ الله أوْلَى من تُجمّل له».

ومن هذا الباب: كونُ الله -تعالى- لم يَبعث إليه جبريل في أكثر نزوله عليه إلّا في صورة دحية، وكان أجملَ أهل زمانه، وبلغ من أثر جماله في[1] الخلق أنّه لمّا قدم المدينة، واستقبله الناس، ما رأته امرأة حامل إلّا ألقت ما في بطنها. فكأنّ الحقّ يقول يبشّر نبيّه ﷺ بإنزال جبريل عليه في صورة دحية: "يا محمد؛ ما بيني وبينك إلّا صورة الجمال" يخبره -تعالى- بما له في نفسه -سبحانه- بالحال. فمن فاتهُ التجمّل لله كما قلناه؛ فقد فاتهُ من الله هذا الحبّ الخاص المعيّن، وإذا فاتهُ هذا الحبّ الخاص المعيّن؛ فاتهُ من الله ما ينتجه من علم، وتجلٍّ، وكرامة في دار السعادة، ومنزلةٍ في كثيب الرؤية، وشهودٍ معنويٍّ علميّ روحيّ في هذه الدار الدنيا في سلوكه ومشاهِده. ولكن كما قلنا: ينوي بذلك التجمّل لله، لا للزينة والفخر بعرَض الدنيا، والزهو والعجب والبطر على غيره.

ومن ذلك: الرجوع إلى الله عند الفتنة؛ فـ«إنّ الله يحبّ كلّ مُفَتَّنٍ توّاب» كذا قال رسول الله ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2] والبلاء والفتنة بمعنى واحد، وليس إلّا الاختبار لما هو الإنسان عليه من الدّعوى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي اختبارك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ أي تحيّره ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾[3] أي تبيّن له طريق نجاته فيها.

وأعظمُ الفتن: النساءُ، والمالُ، والولدُ،[4] والجاهُ. هذه الأربعة إذا ابتلى الله بها عبدا من عباده، أو بواحد منها، وقام فيها مقام الحقّ في نَصْبِها له، ورجع إلى الله فيها، ولم يقف معها من حيث عينها، وأخذها نعمةً إلهيّة أنعم الله عليه بها؛ فردّته إليه -تعالى-، وأقامته في مقام حقّ الشكر الذي أمر الله نبيّه ﷺ موسى به فقال له: «يا موسى؛ اشكرني حقّ الشكر. قال موسى: يا ربّ؛ وما حقّ الشكر؟ قال له: يا موسى؛ إذا رأيت النعمة منّي؛ فذلك حقّ الشكر» ذكره ابن ماجة في سننه عن رسول الله ﷺ.

---

1 ص 20
2 [الملك : 2]
3 [الأعراف : 155]
4 ص 20ب

ولمّا غفر الله لنبيّه محمد ﷺ ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وبشّره ذلك بقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] قام حتى تورّمت قدماه شكرا لله -تعالى- على ذلك، فما فتر ولا جنح إلى الراحة. ولمّا قيل له في ذلك، وسئل في الرفق بنفسه، قال ﷺ: «أفلا أكون عبدا شكورا» وذلك لمّا سمع الله يقول: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[2] فإن لم يقم في مقام شكر المنعِم؛ فاتَهُ من الله هذا الحبّ الخاص بهذا المقام الذي لا يناله من الله إلّا الشكور؛ فإنّ الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[3] وإذا[4] فاتَهُ؛ فاتَهُ ما له من العلم بالله، والتجلّي، والنعيم الخاص به في دار الكرامة، وكثيب الرؤية يوم الزَّوْر الأعظم؛ فإنّه لكلّ حبّ إلهيّ من صفة خاصّة علمٌ، وتجلٍّ، ونعيمٌ، ومنزلةٌ، لا بدّ من ذلك، يمتاز بها صاحبُ تلك الصفة من غيره.

فأمّا فتنة النساء: فصورةُ رجوعه إلى الله في محبّتهنّ؛ بأن يرى أنّ الكلّ أحبّ بعضَه، وحنّ إليه؛ فما أحبّ سوَى نفسه. لأنّ المرأة في الأصل خُلِقت من الرَّجُل، من ضلعه القصيرى، فينزلها من نفسه منزلةَ الصورة التي خلقَ اللهُ الإنسانَ الكاملَ عليها؛ وهي صورة الحقّ؛ فجعلها الحقُّ مجلى له. وإذا كان الشيءُ مجلى للناظر؛ فلا يرى الناظر في تلك الصورة إلّا نفسَه. فإذا رأى في هذه المرأة نفسَه؛ اشتدَّ حبُّه فيها، وميلُه إليها؛ لأنّها صورتُه. وقد تبيّن لك أنّ صورتَه صورةُ الحقّ التي أوجدَه عليها؛ فما رأى إلّا الحقّ؛ ولكن بشهوة حبّ، والتذاذ وَصِلة يفنى فيها فناء حقٍّ بحبٍّ صدق، وقابلها بذاته مقابلة المِثْليّة؛ ولذلك فني فيها؛ فما من جزء فيه إلّا وهو فيها، والمحبّة قد سَرَت في جميع أجزائه؛ فتعلّق كلّه بها؛ فلذلك فني في مثله الفناء الكلّيّ، بخلاف حبّه غيرَ مِثله، فاتّحد بمحبوبه إلى أن قال[5]:

أنا مَن أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أنا

وقال الآخر في هذا المقام: "أنا الله". فإذا أحببتَ مثلك شخصا هذا الحبّ؛ وردّك[6] إلى الله شهودُك فيه هذا الردّ؛ فأنت ممن أحبّه الله، وكانت هذه الفتنةُ فتنةً أعطتك المهداة.

وأمّا الطريقة الأخرى في حبّ النساء؛ فإنّهنّ محالُّ الانفعال والتكوين لظهور أعيان الأمثال في كلّ

---

1 [الفتح : 2]
2 [الزمر : 66]، وهي وفق ما ورد في ق: "إن الله يحب الشاكرين"
3 [سبأ : 13]
4 ص 21
5 ص 21ب
6 ق: "ردك" والترجيح من س

نوع، ولا شكّ أنّ الله ما أحبّ أعيانَ العالم، في حال عدم العالم؛ إلّا لكون تلك الأعيان مَحَلُّ الانفعال. فلمّا توجّه عليها من كونه مريدا قال لها: ﴿كُن﴾ فكانت؛ فظهر ملكه بها في الوجود، وأعطت تلك الأعيانُ اللهَ حقَّه في ألوهته؛ فكان إلها؛ فعبدته -تعالى- بجميع الأسماء بالحال، سواء علِمت تلك الأسماء أو لم تعلمها. فما بقي اسمٌ لله، إلّا والعبد قد قام فيه بصورته وحاله، وإن لم يعلم نتيجة ذلك الاسم، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ في دعائه بأسماء الله: «أو استأثرتَ به في علم غيبك، أو علّمته أحدا من خلقك» يعنى من أسمائه أن يَعرف عينَه حتى يفصِله من غيره علما. فإنّ كثيرا من الأمور في الإنسان بالصورة والحال، ولا يَعلم بها، ويعلم الله منه أنّ[1] ذلك فيه. فإذا أحبّ المرأة لما ذكرناه؛ فقد ردّه حُبُّها إلى الله -تعالى- فكانت نِعمتَ الفتنةِ في حقّه؛ فأحبّه الله برجعته إليه -تعالى- في حبّه إيّاها.

وأمّا تعلّقه بامرأة خاصّة في ذلك دون غيرها -وإن كانت هذه الحقائق التي ذكرناها ساريةً في كلّ امرأة- فذلك لمناسبة روحانيّة بين هذين الشخصين؛ في أصل النشأة، والمزاج الطبيعيّ، والنظر الروحيّ. فمنه ما يجري إلى أجل مسمّى، ومنه ما يجري إلى غير أجل، بل أجله الموت، والتعلّق لا يزول كحبّ النبيّ ﷺ عائشةَ؛ فإنّه كان يحبّها أكثر من حبّه جميعَ نسائه، وحبّه أبا بكر أيضا وهو أبوها؛ فهذه المناسبات الثواني هي التي تعيّن الأشخاصَ، والسبب الأوّل هو ما ذكرناه. ولذلك الحبّ المطلق، والسماعُ المطلق، والرؤيةُ المطلقة التي يكون عليها بعضُ عباد الله؛ ما تختصّ بشخص في العالم دون شخص؛ فكلّ حاضر عنده، له محبوب، وبه مشغول. ومع هذا؛ لا بدّ من مَيل خاصّ لبعض الأشخاص، لمناسبة خاصّة مع هذا الإطلاق، لا بدّ من ذلك؛ فإنّ نشأة العالم تعطي في آحاده هذا، لا بدّ من تقييد، والكامل مَن يجمع بين التقييد والإطلاق. فالإطلاقُ مثلُ قول النبيّ ﷺ: «حُبّب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء..» وما خصّ امرأة من امرأة. ومثل التقييد؛ ما[2] روي مِن حُبّه عائشةَ أكثر من سائر نسائه؛ لنسبة إلهيّة روحانيّة قيّدته بها دون غيرها، مع كونه يحبّ النساء. فهذا قد ذكرنا من الركن الواحد ما فيه كفاية لمن فهم.

وأمّا الركن الثاني من بيت الفتن وهو الجاه، المعبَّر عنه بالرئاسة. تقول فيه الطائفة التي لا علم لها منهم: "آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حبُّ الرئاسة" فالعارفون من أصحاب هذا القول، ما يقولون ذلك على ما تفهمه العامّة من أهل الطريق منهم؛ وإنما ذلك على ما نبيّنه من مقصود الكمّل من أهل الله بذلك. وذلك أنّ في نفس الإنسان أمورا كثيرة خبّأها الله فيه، وهو ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

[1] ص 22

[2] ص 22ب

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[1] أي ما ظهر منكم، وما خفي مما لا تعلمونه منكم فيكم؛ فلا يزال الحقُّ يُخرج لعبده من نفسه مما أخفاه فيها ما لم يكن يعرف أنّ ذلك في نفسه، كالشخص الذي يرى منه الطبيب من المرض ما لا يعرفه العليل من نفسه، كذلك ما خبّأ الله في نفوس الخلق.

ألا تراه يقول ﷺ: «مَن عرف نفسه عرف ربّه» وما كلُّ أحد يعرف نفسه، مع أنّ نفسَه عينُه، لا غير ذلك؟ فلا يزال الحقّ يُخرج للإنسان من نفسه ما خبّأه فيها؛ فيشهده؛ فيعلم من نفسه عند ذلك ما لم يكن يعلمه[2] قبل ذلك. فقالت الطائفة الكبيرة: "آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حُبُّ الرئاسة" فيظهر لهم إذا خرج؛ فيحبّون الرئاسة بحبٍّ غير حبِّ العامّة لها؛ فإنّهم يحبّونها من كونهم على ما قال الله فيهم: إنّه سمعُهم، وبصرُهم، وذكر جميع قواهم، وأعضاءهم. فإذا كانوا بهذه المثابة؛ فما أحبّوا الرئاسة إلّا بالله؛ إذ التقدّم لله على العالَم؛ فإنّهم عبيده، وما كان الرئيس إلّا بالمرؤوس وجودا وتقديرا؛ فحبُّه للمرؤوس أشدُّ الحبّ؛ لأنّه المثبتُ له الرئاسةَ. فلا أحبَّ من المَلِك في مُلكه؛ لأنّ مُلكَه المثبتُ له كونه مَلِكا؛ فهذا معنى: "آخر ما يخرج من قلوب الصدّيقين حُبُّ الرئاسة" لهم؛ فيرونه، ويشهدونه ذوقا، لا أنّه يخرج من قلوبهم فلا يحبّون الرئاسة. فإنّهم إن لم يحبّوها؛ فما حصل لهم العلم بها ذوقا، وهي الصورة التي خلقهم الله عليها في قوله ﷺ: «إنّ الله خلق آدم على صورته» في بعض تأويلات هذا الخبر ومحتملاته، فاعلم ذلك.

والجاهُ (هو) إمضاءُ الكلمة، ولا أمضى كلمةً من قوله: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3] فأعظمُ الجاه مَن كان جاهُه بالله[4]؛ فيرى هذا العبدُ مع بقاء عينِه؛ فيعلمُ عند ذلك أنّه المِثل الذي لا يماثَل؛ فإنّه عبدٌ رَبٌّ، والله ﷻ ربٌّ لا عبد؛ فله الجمعيّة، وللحقّ الانفراد.

وأمّا الركن الثالث؛ وهو المال. وما سمّي المال بهذا الاسم؛ إلّا لكونه يُمال إليه طبعا. فاختبر اللهُ به عبادَه حيث جعل تيسير بعض الأمور بوجوده، وعلّق القلوب بمحبّة صاحب المال وتعظيمه، ولو كان بخيلا؛ فإنّ العيونَ تنظر إليه بعين التعظيم؛ لِتَوَهّم النفوس باستغنائه عنهم لما عنده من المال. وربما يكون صاحبُ المال أشدَّ الناس فقرا إليهم في نفسه، ولا يجد في نفسه الاكتفاء، ولا القناعة بما عنده؛ فهو يطلب الزيادة مما بيده. ولمّا رأى العالَم ميلَ القلوب إلى ربّ المال لأجل المال؛ أحبّوا المال. فطلب العارفون وجها

---

1 [النمل : 25]
2 ص 23
3 [يس : 82]
4 ص 23ب

إلهيًا يحبّون به المال؛ إذ ولا بدّ من حبّه. وهنا موضع الفتنة والابتلاء التي لها الضلالة والمهداة.

فأمّا العارفون فنظروا إلى أمور إلهيّة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1] لما خاطب إلّا أصحاب الجِدَة. فأحبّوا المال؛ ليكونوا من أهل هذا الخطاب؛ فيلتذّوا بسماعه حيث كانوا[2]. فإذا أقرضوه رأوا «أنّ الصدقة تقع بيد الرحمن»؛ لحصل لهم -بالمال وإعطائه- مناولة الحقّ منهم ذلك؛ فكانت لهم وصلة المناولة، وقد شرّف اللهُ آدمَ بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[3] فمَن يعطيه عن سؤاله القرضَ أتمّ في الالتذاذ بالشرف، ممن خلقه بيديه. فلولا المالُ؛ ما سمعوا، ولا كانوا أهلا لهذا الخطاب الإلهيّ، ولا حصل لهم بالقرض هذا التناول الربّاني؛ فإنّ ذلك نِعم الوصلة مع الله.

فاختبرهم الله بالمال، ثُمّ اختبرهم بالسؤال منه، وأنزل الحقُّ نفسَه منزلة السائلين مِن عباده أهلِ الحاجة، أهل الثروة منهم والمال، بقوله في الحديث المتقدّم في هذا الباب: «يا عبدي؛ استطعمتك فلم تطعمني، واستسقيتك فلم تسقني» فكان لهم بهذا النظر حبُّ المال فتنةً مُهداة إلى مثل هذا.

وأمّا فتنة الولد؛ فلكونه سِرَّ أبيه، وقطعةً مِن كبِده، وألصقَ الأشياء به. فحُبّه حبُّ الشيءِ نفسَه، ولا شيء أحبّ إلى الشيء من نفسِه. فاختبره الله بنفسه في صورةٍ خارجة عنه، سمّاه "ولدا" ليرى؛ هل يحجبه النظر إليه عمّا كلّفه الحقُّ من إقامة الحقوق عليه؟ يقول رسول الله ﷺ في حقّ ابنته فاطمة، ومكانتُها من قلبه المكانةُ التي لا تُجهل: «لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت قطعتُ يدها». وجَلَد عمرُ بن[4] الخطاب ابنَه في الزنا؛ فمات، ونفسُه بذاك طيّبة. وجاد ماعِزٌ بنفسه، والمرأةُ في إقامة الحدّ عليها التي فيه إتلاف نفوسهما، وقال في توبتها رسولُ الله ﷺ: «وأيُّ توبة أعظم من أن جادت بنفسها»، والجودُ بإقامة الحقّ المكروه على الولد أعظمُ في البلاء. يقول الله في موت الولد في حقّ الوالد: «ما لعبدي المؤمن إذا قبضتُ صفيّهُ من أهل الدنيا عندي جزاءٌ إلّا الجنّة». فمَن أحكمَ هذه الأركان، التي هي من أعظم الفتن، وأكبر المحن، وآثرَ جناب الحقّ، وراعاه فيها؛ فذلك الرجلُ الذي لا أعظمَ منه في جنسه.

* * *

ومن وصيّتي إيّاك: أنّك لا تنام إلّا على وِتر؛ لأنّ الإنسانَ إذا نام قبضَ اللهُ روحَه إليه؛ في الصورة

---

1 [الحديد : 18]
2 ص 24
3 [ص : 75]
4 ص 24ب

التي يرى نفسَه فيها إن رأى رؤيا؛ فإن شاء ردَّها إليه إن كان لم ينقضِ عمره، وإن شاء أمسكها إن كان قد جاء أجلُه. فالاحتياط أنّ الإنسان الحازم لا ينام إلّا على وِتر؛ فإذا نام على وترٍ؛ نام على حالةٍ وعملٍ يحبّه الله. ورد في الخبر الصحيح: «إنّ الله وتر يحبّ الوتر» فما أحبّ إلّا نفسَه. وأيُّ عنايةٍ وقربٍ أعظمُ من أن أنزلَك منزلةَ نفسِه، في حبّه إيّاك؛ إذا كنت من أهل الوتر في جميع أفعالك التي تطلب العدد والكمّيّة؟ وقد أمركَ اللهُ -تعالى- على[1] لسان رسوله ﷺ فقال: «أوتروا يا أهل القرآن»، و«أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصّته».

وكذلك إذا اكتحلتَ فاكتحل وِترا، في كلّ عين واحدة، أو ثلاثة؛ فإنّ كلّ عين عضوٌ مستقلٌّ بنفسه. وكذلك إذا طعمتَ؛ فلا تنزع يدك إلّا عن وتر. وكذلك شُربُك الماءَ؛ في حسواتك إيّاه اجعلها وِترا، وإذا أخذك الفواق؛ اشرب من الماء سبع حسوات؛ فإنّه ينقطع عنك، هذا جرّبته بنفسي. وإذا تنفّستَ في شربك؛ فتنفّس ثلاث مرّات، وأزل القدح عن فِيكَ عند التنفّس، هكذا أمرك رسول الله ﷺ فإنّه أبرأ، وأمرأ، وأروَى. وإذا تكلّمتَ بالكلمة لِتُفْهِمَ السامعَ؛ فأعِدها عليه ثلاث مرّات وِترًا، حتى يَفهم عنك، فهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ؛ فإنّي ما أوصيك إلّا بما جرت السنّة الإلهيّة عليه، وهذا هو عين الاتّباع الذي أمرك الله -تعالى- به في القرآن فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2] فهذه محبّة الجزاء.

وأمّا محبّته الأُولَى التي ليست جزاء؛ فهي المحبّة التي وفّقك بها للاتّباع. فحُبُّك قد جعله الله بين حبّين إلهيّين: حُبُّ مِنّة، وحبُّ جزاء؛ فصارت المحبّة بينك وبين الله وِترا: حبّ المِنّة؛ وهو[3] الذي أعطاك التوفيق للاتّباع، وحبّك إيّاه، وحبّه إيّاك جزاءً من كونك اتّبعتَ ما شرعه لك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[4] وبهذه الآية ثبتَتْ عصمةُ رسول الله ﷺ فإنّه لو لم يكن معصوما؛ ما صحّ التأسّي به. فنحن نتأسّى برسول الله ﷺ في جميع حركاته، وسكناته، وأفعاله، وأحواله، وأقواله، ما لم ينه عن شيء من ذ لك على التعيين في كتاب، أو سنّة؛ مثل نكاح الهبة ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] ومثل وجوب قيام الليل عليه، والتهجّد. فهو ﷺ يقومه فرضا، ونحن نقومه تأسّيا ندبًا؛ فاشتركنا في القيام.

---

1 ص 25
2 [آل عمران : 31]
3 ص 25ب
4 [الأحزاب : 21]
5 [الأحزاب : 50]

يقول أبو هريرة: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث..» فأوتَر في وصيّته «.. وأن لا أنام إلّا على وتر». وورد في الحديث الصحيح: «إنّ لله تسعة وتسعين اسما مائة إلّا واحدا من أحصاها دخل الجنّة» فـ«إنّ الله وتر يحبّ الوتر». وقد تقدّم في هذا الكتاب، في باب سؤالات الترمذي الحكيم، وهو آخر أبواب فصل المعارف؛ حبّ الله التوّابينَ، والمتطهّرينَ، والشاكرينَ، والصابرين، والمحسنين، وغيرهم، مما ورد أنّ الله يحبّ إتيانه، كما وردت أشياء لا يحبّها الله، قد ذكرناها في هذا الكتاب فأغنى عن إعادتها.

* * *

وصيّة[1] (عليك بمراقبة الله ﷻ فيما أخذ منك، وفيما أعطاك)

عليك بمراقبة الله ﷻ فيما أخذ منك، وفيما أعطاك. فإنّه -تعالى- ما أخذ منك إلّا لتصبر؛ فيحبّك؛ فإنّه يحبّ الصابرين. وإذا أحبّكَ؛ عامَلك معاملةَ المحبِّ محبوبَه؛ فكان لك حيث تريدُ إذا اقتضتْ إرادتُك مصلحتَك. وإذا لم تقتض إرادتُك مصلحتَك؛ فعل بحبّه إيّاك معك ما تقتضيه المصلحةُ في حقّك. وإن كنت تكره في الحال فِعله معك؛ فإنّك تحمد بعد ذلك عاقبةَ أمرك؛ فإنّ اللهَ غيرُ مُتَّهم في مصالح عبده إذا أحبّه. فميزانك في حبّه إيّاك؛ أن تنظر إلى ما رزقك من الصبر على ما أخذه منك ورزاك فيه؛ من مال، أو أهل، أو ما كان؛ مما يعزّ عليك فراقه. وما من شيء يزول عنك من المألوفات؛ إلّا ولك عِوَضٌ منه عند الله، إلّا الله. كما قال بعضهم:

لِكُلّ شَيْءٍ إذا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ ‏‏‏‏ وَلَيْسَ للهِ إنْ فَارَقْتَ مِنْ عِوَضِ

فإنّه لا مِثل له. وكذلك إذا أعطاك وأنعم عليك، ومن جملة ما أنعم به عليك وأعطاك؛ الصبرُ على ما أخذه منك؛ فأعطاك لتشكر، كما أخذ منك لتصبر؛ فإنّه تعالى يحبّ الشاكرين، وإذا أحبّك حبَّ الشاكرين غفر لك. قال رسول الله ﷺ[2] في «رجل رأى غصنَ شوكٍ في طريق الناس؛ فنحّاه؛ فشكر اللهُ فعلَه؛ فغفر له»؛ فإنّ «الإيمانَ بضعٌ وسبعون شعبة، أدناها إماطةُ الأذى عن الطريق» وهو ما ذكرناه «وأرفعُها قولُ: لا إله إلّا الله» فالمؤمن الموفّق يبحث عن شُعب الإيمان؛ فيأتيها كلّها، وبحثُه عن ذلك من جملة شُعب الإيمان. فذلك هو المؤمن الذي حاز الصفة، وملأ يديه من الخير.

وما شَكرك اللهُ بسبب أمرٍ أتيته مما شرع لك الإتيان به؛ إلّا لتزيد في أعمال البرّ. كما أنّك إذا شكرته

---

1 ص 26
2 ص 26ب

على ما أنعم به عليك؛ زادك من نِعَمِه لقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] ووصف نفسه بأنّه يشكر عبادَه؛ فهو الشكور؛ فَزِدْهُ كما زادك لِشُكرك. ومع هذا فاعتقد أنّ كلّ شيء عنده بمقدار، وكلّ شيء في الدنيا يجري إلى أجل مسمّى عند الله؛ فما ثَمّ شيء في العالم إلّا وهو لله؛ فإن أخذه منك فما أخذه إلّا إليه، وإن أعطاك فما أعطاك إلّا منه؛ فالأمر كلّه منه وإليه.

وكفى بك، إذا علمتَ أنّ الأمر على ما أعلمتُك، أن تكون مع الله؛ تشهده في جميع أحوالك مِن أخذٍ وعطاءٍ؛ فإنّك لن تخلوَ في نفسك مِن أخذٍ وعطاء (إلهيّ) في كلّ نفَس. أوّلُ[2] ذلك أنفاسُك التي بها حياتك؛ فيأخذ منك نفَسك الخارج بما خرج من ذِكْرٍ من قلب أو لسان؛ فإن كان خيرا؛ ضاعفَ لك أجرَه، وإن كان غير ذلك فمِن كرمِه وعفوه يغفرُ لك ذلك. ويعطيك نفَسك الداخل بما شاءه، وهو واردُ وقتِك؛ فإن ورد بخير فهو نعمة من الله؛ فقابِلها بالشكر، وإن كان غير ذلك مما لا يرضي الله؛ فاسأله المغفرة والتجاوز والتوبة. فإنّه ما قضى بالذنوب على عباده؛ إلّا ليستغفروه فيغفر لهم، ويتوبوا إليه فيتوب عليهم.

وورد في الحديث: «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ويتوبون فيغفر الله لهم ويتوب عليهم» حتى لا يتعطّل حكم من الأحكام الإلهيّة في الدنيا. ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لله ما أخذ وله ما أعطى وكلّ شيء عنده بأجل مسمّى» فإذا انتهى أجله انقضى، وجاء غيره. وإنما قال رسول الله ﷺ هذا معرّفا إيّانا بما هو الأمر عليه؛ لنسلِّم الأمر إليه؛ فنُرزق درجة التسليم والتفويض، مع بذل المجهود فيما يجبُ منّا أن نرجع إليه فيه بحسب الحال: إن كان في المخالفة فبالتوبة والاستغفار[3]، وفي الموافقة بالشكر وطلب الإقامة على طاعة الله وطاعة رسوله، ونجد عزاءً في نفوسنا بمعرفتنا أنّ كلّ شيء عند الله في الدنيا يجري إلى أجل مسمّى. وللصابرين حمدٌ يخصّهم وهو: «الحمد لله على كلّ حال» وللشاكرين حمدٌ يخصّهم، وهو: «الحمد لله المنعِم المفضِل»، كما كان يحمد رسول الله ﷺ ربّه ﷻ في حالة السرّاء والضرّاء، والتأسّي برسول الله ﷺ في ذلك أوْلَى من أن نستنبط حمدا آخَر؛ فإنّه لا أعلى مما وضعه العالِمُ المكمَّلُ الذي شهد الله له بالعلم به، وأكرمه برسالته واختصاصه، وأمرنا بالاقتداء به واتّباعه.

فلا تُحدِث أمرا ما استطعتَ؛ فإنّك إذا سننتَ سنّة لم يجيء مثلها عن رسول الله ﷺ، وهي

---

1 [إبراهيم : 7]
2 ص 27
3 ص 27ب

حسنة، فإنّ لك أجرها وأجر من عمل بها، وإذا تركت تسنينها، اتّباعا لكون رسول الله ﷺ لم يسنّها؛ فإنّ أجرَك في اتّباعك ذلك -أعني ترك التسنين- أعظمُ من أجرك من حيث ما سننتَ بكثير؛ فإنّ النبيّ ﷺ كان يكره كثرة التكليف على أُمّته، وكان يكره لهم أن يسألوا في أشياء؛ مخافة أن[1] ينزل عليهم في ذلك ما لا يطيقونه إلّا بمشقّة، ومَن سَنّ فقد كلَّف، وكان النبيّ ﷺ أولَى بذلك، ولكن تركه تخفيفا. فلهذا قلنا: الاتّباعُ في التركِ أعظمُ أجرا من التسنين، فاجعل بالك لما ذكرته لك.

ولقد بلغني عن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ أنّه ما أكل البطيخ، فقيل له في ذلك، فقال: "ما بلغني كيف كان رسول الله ﷺ يأكله" فلمّا لم تبلغ إليه الكيفيّة في ذلك؛ تَرَكَهُ. وبمثل هذا تقدّم علماءُ هذه الأمّة على سائر علماءِ الأمم، هكذا هكذا وإلّا فلا لا. فهذا الإمامُ عَلِمَ وتحقّق معنى قوله تعالى عن نبيّه ﷺ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2] وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3] والاشتغال بما سنّ مِن فعل، وقول، وحال، أكثر من أن نحيط به؛ فكيف أن نتفرّغ لِنَسُنّ؟ فلا نكلّف الأمّة أكثر مما ورد.

* * *

وصيّة: (عليك بأداء الأوجب من حقّ الله، وهو أن لا تشركَ به شيئا)

عليك بأداء الأوجب من حقّ الله، وهو أن لا تشركَ به شيئا من الشرك الخفيّ الذي هو الاعتماد على الأسباب الموضوعة، والركون إليها بالقلب، والطمأنينة بها؛ وهي[4] سكون القلب إليها وعندها؛ فإنّ ذلك من أعظم رزيّة دينيّة في المؤمن، وهو -والله أعلم- قوله من باب الإشارة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[5] يعني -والله أعلم به- هذا الشرك الخفيّ الذي يكون معه الإيمان بوجود الله. والنقضُ في الإيمان بتوحيد الله في الأفعال، لا في الألوهة؛ فإنّ ذلك هو الشرك الجليّ الذي يناقض الإيمان بتوحيد الله في ألوهته، لا الإيمان بوجود الله.

ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أتدرون ما حقُّ الله على العباد؛ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا» فأتى بلفظة "شيء" و"شيء" نكرة؛ فدخل فيه الشرك الجليّ والخفيّ. ثمّ قال: «أتدرون ما حقّهم على الله إذا فعلوا ذلك: أن لا يعذّبهم» فاجعل بالَك من قوله: «أن لا يعذّبهم» فإنّهم إذا لم يشركوا

---

1 ص 28
2 [آل عمران : 31]
3 [الأحزاب : 21]
4 ص 28ب
5 [يوسف : 106]

بالله شيئا؛ لم يتعلّق لهم خاطر إلّا بالله؛ إذ لم يكن لهم توجّه إلّا إلى الله.

وإذا أشركوا بالله الشركَ الناقض للإسلام، أو الشرك الخفيّ؛ الذي هو النظر إلى الأسباب المعتادة؛ فإنّ الله قد عذّبهم بالاعتماد عليها؛ لأنّها معرّضة للفقد. ففي حال وجودها؛ يتعذّبون بتوهُّم فَقْدِها، وبما ينقص منها. وإذا فقدوها؛ تعذّبوا بفقدها[1]؛ فهم معذّبون على كلّ حال، في وجود الأسباب، وفقدها. وإذا لم يشركوا بالله شيئًا من الأسباب؛ استراحوا، ولم يبالوا بفقدها ولا بوجودها. فإنّ الذي اعتمدوا عليه، وهو الله، قادرٌ على إتيان الأمور من حيث لا يحتسبون، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2] ولقد قال في ذلك بعضهم نظما وهو:

ومَنْ يتّقِ اللهَ يجْعَلْ لَهُ	كَمَا قالَ مِنْ أمْرِهِ مَخْرَجا
ويَرزُقْهُ مِنْ غَيْرِ حسْبانِهِ	وإنْ ضاقَ أمْرٌ بِهِ فَرَّجا

فمن علامة التحقُّق بالتقوى؛ أن يأتيَ المتقيَ رزقُه من حيث لا يحتسب، وإذا أتاه من حيث يحتسب؛ فما تحقّق بالتقوى، ولا اعتمد على الله؛ فإنّ معنى التقوى في بعض وجوهه: أن تتّخذ الله وقاية من تأثير الأسباب في قلبك؛ باعتمادك عليها. والإنسانُ أبصر بنفسه، وهو يعلم من نفسه بمن هو أوثق، وبما تسكن إليه نفسُه. ولا يقول: "إنّ الله أمرني بالسعي على العيال، وأوجبَ عليّ النفقة عليهم؛ فلا بدّ من الكدّ في الأسباب التي جرت العادة أن يرزقهم الله عندها" فهذا لا يناقض ما قلناه. فنحن إنما نهيناك عن الاعتماد عليها[3] بقلبك، والسكون عندها، ما قلنا لك: "لا تعمل بها". ولقد نمتُ عند تقييدي هذا الوجه، ثمّ رجعتُ إلى نفسي، وأنا أنشد بيتين لم أكن أعرفهما قبل ذلك وهما:

لا تعْتَمِدْ إلّا عَلَى اللهِ	فَكُلُّ أمْرٍ بِيَدِ اللهِ
وهَذِهِ الأسْبابُ حُجّابُهُ	فَلا تَكُنْ إلّا مَعَ اللهِ

فانظر في نفسك؛ فإن وجدت أنّ القلب سكن إليها؛ فاتّهم إيمانك، واعلم أنّك لست ذلك الرجل. وإن وجدتَ قلبَك ساكنا مع الله، واستوى عندك حالةُ فَقْدِ السبب المعيّن، وحالةُ وجودِه، ولكن مع الفقد يكون ذلك؛ فاعلم أنّك ذلك الرجل الذي آمن ولم يشرك بالله شيئا، وأنّك من القليل. فإن رَزَقك من حيث لا تحتسب؛ فذلك بشرى من الله أنّك من المتقين.

---

1 ص 29
2 [الطلاق : 2 ، 3]
3 ص 29ب

ومِن سِرّ هذه الآية أنّ الله، وإن رزقك من السبب المعتاد الذي في خزانتك، وتحت حكمك وتصريفك، وأنت متّقٍ، أي قد اتّخذت اللهَ وقاية، فإنّه الواقي؛ فإنك مرزوق من حيث لا تحتسب. فإنّه ليس في حسبانك أنّ الله يرزقك، ولا بدّ؛ مما بيدك، ومن الحاصل عندك؛ فما رزقك إلّا من حيث لا تحتسب. وإن أكلتَ وارتزقت من ذلك الذي بيدك، فاعلم ذلك؛ فإنّه[1] معنى دقيق، ولا يَشعر به إلّا أهلُ المراقبة الإلهيّة الذين يراقبون بواطنَهم وقلوبهم. فإنّ الوقايةَ، وليست إلّا الله، تمنعُ العبدَ من أن يصل إلى الأسباب بحكم الاعتماد عليها لاعتماده على الله ﷻ وهذا هو معنى قوله: ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ فهذا مخرج التّقوى في هذه الآية، وهي وصيّةُ الله عبدَه، وإعلامُه بما هو الأمر عليه.

* * *

وصيّة: (احذر أن تريد علوّا في الأرض)

احذر -يا وليّ- أن تريد علوّا في الأرض، والزم الخمول. وإن أعلى الله كلمتك؛ فما أعلى إلّا الحقّ، وإن رزقك الرفعة في قلوب الخلق؛ فذلك إليه ﷻ. والذي يلزمك التواضعُ والذلّةُ والانكسارُ؛ فإنّه إنما أنشأك من الأرض. فلا تَعْلُ عليها فإنّها أُمُّك، ومَن تكبّر على أمّه فقد عقّها، وعقوق الوالدين حرام. ثمّ إنّه قد ورد في الحديث: «إنّ حقّا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلّا وضعه» فإن كنت أنت ذلك الشيء؛ فانتظر وَضْعَ الله إيّاك. وما أخاف على مَن هذه صفته إلّا أنّ الله -تعالى- إذا وضعه؛ يضعه في النار، وذلك إذا رفع ذلك الشيءُ نفسَه، لا إذا رفعه الله. فذلك ليس إليه؛ إلّا أنّه لا بدّ أن يراقب الله فيما أعطاه من الرفعة في الأرض بولايةٍ وتقدّمٍ؛ يُخْدَمُ من أجله، ويُغْشَى بابُه، ويُلْزَم رِكابُه؛ فلا يبرح ناظرا في عبوديّته وأصله؛ فإنّه[2] خُلِق من ضعيفٍ، ومن أصلٍ موصوف بأنّه ذلول، ويعلم أنّ تلك الرفعة إنما هي للرتبة والمنصب، لا لذاته؛ فإنّه إذا عُزل عنها؛ لم يبق له ذلك الوزن الذي كان يتخيّله، وينتقل ذلك إلى مَن أقامه الله في تلك المنزلة؛ فالعلوّ للمنزلة، لا لذاته. فمَن أراد العلوّ في الأرض؛ فقد أراد الولاية فيها، وقد قال رسول الله ﷺ في الولاية: «إنّها يوم القيامة حسرةٌ وندامة» فلا تكن من الجاهلين.

فالذي أوصيك به أنّك لا تريد علوّا في الأرض، وإن أعطاك الله، لا تطلب أنت من الله؛ إلّا أن تكون في نفسك صاحب ذلّة، ومسكنة، وخشوع. فإنّك لن تحصّل ذلك؛ إلّا أن يكون الحقّ مشهودا لك، وليس مدار الخلق والأكابر إلّا على أن يحصل لهم مقام الشهود؛ فإنّه الوجود المطلوب.

---

1 ص 30

2 ص 30ب

وصيّة: (عليك بالاغتسال في كلّ يوم جمعة)

وعليك بالاغتسال في كلّ يوم[1] جمعة، واجعله قبل رواحك إلى صلاة الجمعة. وإذا اغتسلتَ فانوِ فيه أنّك تؤدّي واجبا؛ فإنّه قد ورد في الصحيح: «إنّ غسل الجمعة واجب على كلّ مسلم» وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «حقٌّ على كلّ مسلم أن يغتسل في كلّ سبعة أيّام» فيجمع بين الحديثين بغسل الجمعة؛ وذلك أنّ الله خلق سبعة أيّام، وهي أيّام الجمعة، فإذا انقضت جمعة[2] دارتِ الأيّام فهي الجديدة الدائرة؛ فلا تنصرف عنك دورة إلّا عن طهارة تحدثها فيها؛ إكراما لذاتها، وتقديسا، وتنظيفا. كما جاء في السّواك: «إنّه مطهرة للفم، ومرضاة للربّ» وكذلك الغسلُ في الأسبوع مطهرةٌ للبدن، ومرضاةٌ للربّ. أي العبد فعل فعلا يرضي الله به، من حيث أنّ الله أمره بذلك؛ فامتثَل أمره.

* * *

وصيّة: (إيّاك والمِراء في شيء من الدين، وهو الجدال)

إيّاك والمِراء في شيء من الدين، وهو الجدال. فلا تخلو من أحد أمرين: إمّا أن تكون محِقًّا، أو مبطِلا، كما يفعل فقهاء زماننا اليوم في مجالس مناظراتهم؛ ينوون في ذلك تلقيح خواطرهم. فقد يلتزم المناظر في ذلك مذهبا لا يعتقده، وقولا لا يرتضيه، وهو يجادل به صاحبَ الحقّ الذي يعتقد فيه أنّه حقٌّ، ثمّ تخدعه النفس في ذلك؛ بأن تقول له: إنما نفعل ذلك لتلقيح الخاطر، لا لإقامة الباطل، وما علم أنّ الله عند لسان كلّ قائل، وأنّ العاميّ إذا سمع مقالته بالباطل، وظهوره على صاحب الحقّ، وهو عنده أنّه فقيه؛ عَمِلَ العاميُّ المقلِّد على ذلك الباطل لما رأى من ظهوره على[3] صفة الحقّ، وعجز صاحب الحقّ عن مقاومته؛ فلا يزال الإثم يتعلّق به ما دام هذا السامع يعمل بما سمع منه.

ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ الثابت أنّه قال: «أنا زعيمٌ ببيت في ربض الجنّة لمن ترك المراء وإن كان محِقًّا، وببيت في وسط الجنّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا». ومنه المِراء في الباطل. وكان رسول الله ﷺ يمزح، ولا يقول إلّا حقًّا.

---

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
2 ص 31
3 ص 31ب

وصيّة: (عليك بحسن الأخلاق، وإتيان مكارمها، وتجنّب سفسافها)

وعليك بحسن الأخلاق، وإتيان مكارمها، وتجنّب سفسافها، فإنّ النبيّ ﷺ يقول: «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق» وأنّه ﷺ قد ضمن بيتا في أعلى الجنّة لمن حسّن خُلقه. ولمّا كانت الأخلاق الحسنة عبارة عن أن يفعل مع المتخلّق معه الذي يصرف أخلاقه معه في معاملته إيّاه، وعلمنا أنّ أغراض الخلق متقابلة، وأنّه إن أرضى زيدا أسخط عدوّه عمرا، ولا بدّ من ذلك؛ فمن المحال أن يقوم في خلق كريم يرضي جميع الخلائق.

ولمّا رأينا أنّ الأمر على هذا الحدّ، وأدخل اللهُ نفسَه مع عباده في الصحبة، كما[1] ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال لربّه: «أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل» وقال (تعالى): ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2] وقال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[3] وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[4]؛ قلنا: فلا نصرف مكارم الأخلاق إلّا في صحبة الله خاصة؛ فكلّ ما يرضي الله نأتيه، وكلّ ما لا يرضيه نجتنبه، وسواء كانت المعاملة والخُلق مما يخصّ جانب الحقّ أو تتعدّى إلى الغير، وأنّها وإن تعدّت إلى الغير؛ فإنّها مما يرضي الله، وسَواء عندك سخط ذلك الغير أو رضي. فإنّه إن كان مؤمنا؛ رضي بما يرضي الله، وإن كان عدوّا لله؛ فلا اعتبار له عندنا؛ فإنّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[5] وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[6] فحسنُ الخلق إنما هو فيما يرضي الله؛ فلا تصرفه إلّا مع الله، سَواء كان ذلك في الخَلق، أو فيما يختصّ بجناب الله.

فمن راعى جناب الله؛ انتفع به جميعُ المؤمنين وأهلُ الذمّة؛ فإنّ لله حقّا على كلّ مؤمن في معاملة كلّ أحد من خلق الله على الإطلاق من كلّ صنف من ملَك، وجانّ، وإنسان، وحيوان، ونبات، وجماد، ومؤمن، وغير مؤمن، وقد ذكرنا ذلك في[7] رسالة "الأخلاق" لنا، كتبنا بها إلى بعض إخواننا سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وهي جزء لطيف، غريب في معناه، فيه معاملة جميع الخلق بالخُلق الحسن الذي يليق به. وحسن الخُلق بحسب أحوال مَن تُصَرِّفها فيه ومعه، هذا أمر عام، والتفصيل فيه لك بالواقع، فانظر

---

1 ص 32
2 [الحديد : 4]
3 [التوبة : 40]
4 [طه : 46]
5 [الحجرات : 10]
6 [الممتحنة : 1]
7 ص 32ب

فيه؛ فإنّه أكثر من أن تحصى آحاده، لما في ذلك من التطويل، والله الموفّق لا ربّ غيره.

وكذلك تجنّب سفساف الأخلاق، ولا تَعرف مكارمَ الأخلاق من سفسافِها إلّا حتى تَعرف مصارفَها؛ فإذا علمتَ مصارفها؛ علمتَ مكارمَها وسفسافَها، وهو علم خفيٌّ شريف. فلا يفوتنّك علمُ مصارف الأخلاق؛ فإنّ ذلك يختلف باختلاف الوجوه.

* * *

وصيّة: (عليك بالهجرة، ولا تقم بين أظهر الكفّار)

وعليك بالهجرة، ولا تقم بين أظهر الكفّار؛ فإنّ في ذلك إهانة دين الإسلام، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله. فإنّ الله ما أمر بالقتال إلّا لتكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. وإيّاك والإقامة، أو الدخول تحت ذمّة كافر ما استطعت.

واعلم أنّ المقيم بين أظهر الكفّار، مع[1] تمكّنه من الخروج من بين ظهرانيهم؛ لا حظّ له في الإسلام؛ فإنّ النبيّ ﷺ قد تبرّأ منه، ولا يتبرّأ رسول الله ﷺ من مسلم، وقد ثبت عنه أنّه ﷺ قال: «أنا بريء من مسلم يقيم بين أظهر المشركين» فما اعتبر له كلمة الإسلام. وقال الله -تعالى- فيمن مات وهو بين أظهر المشركين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[2].

ولهذا حجرنا، في هذا الزمان، على الناس زيارة بيت المقدس، والإقامة فيه؛ لكونه بيد الكفّار؛ فالولاية لهم والتحكم في المسلمين، والمسلمون معهم على أسوإ حال، نعوذ بالله من تحكّم الأهواء. فالزائرون اليوم البيت المقدس، والمقيمون فيه من المسلمين، هم من الذين قال الله فيهم: ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3]. وكذلك فلتهاجر عن كلّ خُلق مذموم شرعا؛ قد ذمّه الحقُّ في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

---

1 ص 33
2 [النساء : 97]
3 [الكهف : 104]

وصيّة: (عليك باستعمال العلم في جميع حركاتك وسكناتك)

وعليك[1] باستعمال العلم في جميع حركاتك وسكناتك؛ فإنّ السخيّ الكاملَ السخاءِ مَن يسخى بنفسه على العلم؛ فكان بحكم ما شرع اللهُ له؛ فَعَلِم وعَمِلَ وعلَّم مَن لم يَعلم. وقد أثنى رسولِ الله ﷺ على مَن قَبِل العلم وعمِل به وعلّمه، وذمّ نقيض ذلك، فثبت عنه ﷺ أنّه قال: «مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كَمَثَل غيثٍ أصاب أرضا، فكانت منها طائفة قبِلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع اللهُ به الناسَ؛ فشربوا منها، وسَقَوا، وزرعوا، وأصاب منها طائفة، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تُنبت كلأ. وكذلك مَن فَقِه في دين الله، ونفعه الله بما بعثني به؛ فعلِم وعمِل وعلّم. ومَثَلُ مَن لم يرفع بذلك رأسا مَثَلُ القيعان التي لم تمسك ماء، ولا أنبتت كلأ».

فكن -يا أخي- ممن علِم وعمِل وعلّم، ولا تكن ممن عَلِم وترك العمل؛ فتكون كالسراج أو كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسَك. فإنّك إذا عملت بما علمت؛ جعل الله لك فُرقانا ونورا، وورّثك ذلك العمل علما آخر لم تكن تعلمه؛ من العلم بالله، ومما لك فيه منفعة عند الله في آخرتك. فاجهد أن تكون من العلماء العاملين المرشدين.

* * *

وصيّة[2]: (عليك بالتودّد لعباد الله من المؤمنين)

وعليك بالتودّد لعباد الله من المؤمنين؛ بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والسعي في قضاء حوائجهم. واعلم أنّ المؤمنين أجمعهم جسدٌ واحد، كإنسان واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى. كذلك المؤمن إذا أُصيب أخوه المؤمن بمصيبة؛ فكأنّه هو الذي أصيب بها؛ فيتألّم لتألّمه. ومتى لم يفعل ذلك المؤمن مع المؤمنين؛ فما ثبتت أخوّة الإيمان بينه وبينهم؛ فإنّ الله قد واخى بين المؤمنين، كما واخى بين أعضاء جسد الإنسان. وبهذا وقع المثل من النبيّ ﷺ في الحديث الثابت، وهو قوله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر».

واعلم أنّ «المؤمنَ كثيرٌ بأخيه»، وأنّ "المؤمنَ" لمّا كان من أسماء الله، مع ما ينضاف إلى ذلك مِن خَلْقِه على الصورة؛ ثبت النَّسب، و«المؤمنُ أخو المؤمنِ لا يُسلِمه ولا يخذله». فمن كان مؤمنا بالله، من

---

1 ص 33ب
2 ص 34

حيث ما هو الله مؤمن؛ فإنّه يصدقه في فعله، وقوله، وحاله، وهذه هي العصمة؛ فإنّ[1] اللهَ من كونه مؤمنا يصدقه في ذلك، ولا يصدق اللهُ إلّا الصادق؛ فإنّ تصديق الكاذب على الله محال؛ فإنّ الكذب عليه محال، وتصديق الكاذب كذبٌ بلا شكّ. فمن ثبت إيمانه بالله من كون الله مؤمنا؛ فإنّ هذا العبد لا شكّ أنّه من الصادقين في جميع أموره مع الله؛ لأنّه مؤمن بـ(أنّ) الله مؤمن به أيضا. فتنبّه لما دللتك عليه، ووصّيتك به في الايمان بالله من كونه مؤمنا؛ تنتفع. فإنّي قد أريتك الطريق الموصل إلى نيل ذلك، واعتصِم بالله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2] فإنّ الله على صراط مستقيم، وليس إلّا ما شرعه لعباده.

* * *

وصيّة: (لا تكترث لما يصيبك الله به من الرزايا)

لا تكترث لما يصيبك الله به من الرزايا في مالك، ومَن يعزُّ عليك من أهلك؛ مما يسمّى في العُرف رزيّة ومصابا، وقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[3] عند نزولها بك، وقل فيها كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: "ما أصابتني من مصيبة إلّا رأيت أنّ لله عليّ فيها ثلاث نِعم: النعمة الواحدة حيث لم تكن المصيبة في ديني، والنعمة الثانية حيث لم يكن ما هو أكبر منها؛ فدفع الله بها ما هو أعظم منها، والنعمة الثالثة ما جعل الله[4] فيها من الأجر بالكفّارة لما كنّا نتوقّاه من سيّئات أعمالنا.

واعلم أنّ المؤمن في الدنيا كثير الرزايا؛ لأنّ اللهَ يحبّ أن يطهّره؛ حتى ينقلب إليه طاهرا مطهّرا من دنس المخالفات التي كتب الله عليه في الدنيا أن يقام فيها؛ فلا يزال المؤمنُ مُرزأ في عموم أحواله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في ذلك: «مَثَلُ المؤمن كمَثَلِ الخامة من الزرع: تصرعها الريح مرّة، وتعدلها أخرى حتى تهيج».

* * *

وصيّة: (عليك بتلاوة القرآن وتَدَبُّره)

عليك بتلاوة القرآن وتَدَبُّره، وانظر في تلاوتك إلى ما حُمِد فيه من النعوت والصفات التي وصف الله بها مَن أحبّه من عباده؛ فاتّصِف بها، وما ذمّ الله في القرآن من النعوت والصفات التي اتّصف بها مَن مَقته

---

1 ص 34ب
2 [آل عمران : 101]
3 [البقرة : 156]
4 ص 35

الله؛ فاجتنبها؛ فإنّ الله ما ذكرها لك، وأنزلها في كتابه عليك، وعرّفك بها إلّا لتعمل بذلك. فإذا قرأتَ القرآن؛ فكن أنت القرآن لما في القرآن، واجتهد أن تحفظه بالعمل كما حفظتَه بالتلاوة؛ فإنّه لا أحدَ أشدُّ عذابا يوم القيامة مِن شخص حفظ آية ثمّ نسيها، كذلك مَن حفظ آية ثمّ ترك العمل بها؛ كانت عليه شاهدةً يوم القيامة[1] وحسرةً. وإنّه قد ثبت عن رسوله الله ﷺ في أحوال مَن يقرأ القرآن، ومَن لا يقرؤه من مؤمن ومنافق، فقال ﷺ: «مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأُتْرُجّة ريحها طيّب» يعني بها التلاوة والقراءة؛ فإنّها أنفاسٌ تخرج، فشبّهها بالروائح التي تعطيها الأنفاس «وطعمها طيّب» يعنى به الإيمان، ولذلك. قال: «ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي بالله ربّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيّا» فنسب الطعمَ للإيمان، ثمّ قال: «ومَثَلُ المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كَمَثَلِ التمرة طعمُها طيّب» من حيث أنّه مؤمن ذو إيمان، ولا ريح لها من حيث أنّه غير تالٍ في الحال التي لا يكون فيها تاليا، وإن كان من حفّاظ القرآن، ثمّ قال: «ومَثَلُ المنافق الذي يقرأ القرآن كَمَثَلِ الريحانة ريحها طيّب» لأنّ القرآنَ طيّب، وليس سِوَى أنفاس التالي والقارئ، في وقت تلاوته وحال قراءته «وطعمها مُرّ» لأنّ النفاق كفر الباطن؛ لأنّ الحلاوة للإيمان؛ لأنّها مستلذّة، ثمّ قال: «ومَثَل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها» لأنّه غير قارئ في الحال.

وعلى هذا المساق؛ كلُّ كلام طيّب فيه رضا الله؛ صورتُه من المؤمن والمنافق صورةُ القرآن في التمثيل. غير[2] أنّ القرآن منزلته لا تخفى؛ فإنّ كلام الله لا يضاهيه شيء من كلّ كلام مقرّب إلى الله.

فينبغي للذاكر إذا ذكر الله متى ذكره؛ أن يُحْضِر في ذِكْرِه ذلك ذِكْرا من الأذكار الواردة في القرآن؛ فيذكر الله به ليكون قارئا في الذِّكْرِ، وإذا كان قارئا؛ فيكون حاكيا للذِّكْرِ الذي ذَكَر اللهُ به نفسَه، وإذا كان كذلك؛ فقد أنزل نفسَه فيه منزلةَ ربّه منه، وهو قوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[3] وقوله: «إنّ الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده» ويقال للقارئ يوم القيامة: «اقرأ وارقَ» ورُقِيُّهُ في الدنيا في أيّام التكليف في قراءته؛ أن يرقى من تلاوته إلى تلاوته؛ بأن يكون الحقّ هو الذي يتلو على لسان عبده، كما يكون سمعَه الذي به يسمع، وبصرَه الذي به يبصر، ويديه اللتين بهما يبطش، ورجليه اللتين بهما يسعى، كذلك هو لسانه الذي به ينطق ويتكلّم؛ فلا يحمد الله، ولا يسبّحه، ولا يهلّله إلّا بما ورد في القرآن عن

---

1 ص 35ب
2 ص 36
3 [التوبة : 6]

استحضار منه لذلك. فيرقى مِن قراءته بنفسه إلى قراءته بربّه؛ فيكون الحقُّ هو الذي يتلو كتابه؛ فيرتفع يوم القيامة في الآية التي ينتهي إليها في قراءته ويقف عندها؛ إلى الدرجة التي تليق بتلك الآية، التي يكون الحقّ هو التالي لها بلسان هذا العبد؛ عن حضور من العبد التالي لذلك؛ فإنّ أفضل الكلام كلام الله الخاصّ المعروف[1] في العرف.

* * *

وصيّة: (عليك بمجالسة مَن تنتفع بمجالسته في دينك).

وعليك بمجالسة مَن تنتفع بمجالسته في دينك مِن عِلْمٍ تشهده منه، أو عمل يكون فيه، أو خُلُقٍ حسن يكون عليه. فإنّ الإنسان إذا جالس مَن تُذكِّره مجالسته الآخرة؛ فلا بدّ أن يتحلّى منها بقدر ما يوفّقه الله لذلك. وإذا كان الجليسُ له هذا التعدّي؛ فاتّخذ الله جليسا بالذِّكْر، والذِّكْرُ القرآنُ، وهو أعظم الذِّكْر. قال تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[2] يعني القرآن، وقال: «أنا جليس مَن ذكرني» وقال ﷺ: «أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصّته» وخاصّةُ المَلِك جلساؤه في أغلب أحوالهم، والله له الأخلاق وهي الأسماء الحسنى الإلهيّة. فمن كان الحقّ جليسُه؛ فهو أنيسه؛ فلا بدّ أن ينال من مكارم أخلاقه على قدر مدّة مجالسته.

ومَن جلس إلى قوم يذكرون الله؛ فإنّ الله يُدخله معهم في رحمته «فهم القوم الذين لا يشقى جليسُهم» فكيف يشقى مَن كان الحقّ جليسه، وقد ورد في الحديث الثابت: «إنّ الجليس الصالح كصاحب المسكِ إن لم يصبك منه أصابك مِن ريحه. والجليس السوء كصاحب الكير إن لم يُصِبْكَ مِن[3] شَرَرِه أصابك من دخانه» وهو أنّه مَن خالط أصحاب الرِّيَب؛ ارتيب فيه؛ وذلك لما غلب على الناس من سوء الظنّ بالناس لخبث بواطنهم.

وهنا فائدة أنبّهك عليها أغفلَها الناسُ، وهي تدعو إلى حسن الظنّ بالناس، ليكون محلّك طاهرا من السُّوء. وذلك أنّك إذا رأيت مَن يعاشر الأشرار، وهو خَيِّرٌ عندك؛ فلا تسيء الظنّ به لصحبته الأشرار؛ بل حسّن الظنّ بالأشرار لصحبتهم ذلك الخيِّر، واجعل المناسبة في الخير لا في الشرّ؛ فإنّ الله ما سأل أحدا قطّ يوم القيامة عن حسن الظنّ بالخلق، ويسأله عن سوء الظنّ بالخلق؛ ويكفيك هذا نُصحا إن قَبِلت، ووصيّة إن قلت بها.

---

1 ص 36ب
2 [الحجر : 9]
3 ص 37

والذاكر ربّه حياتُه متّصلة دائمة لا تنقطع بالموت[1]؛ فهو حيّ -وإن مات- بحياةٍ هي خير وأتمّ من حياة المقتول في سبيل الله، إلّا أن يكون المقتول في سبيل الله من الذاكرين؛ فهي حياة الشهيد وحياة الذاكر. فالذاكر حيّ وإن مات، والذي لا يذكر الله ميّتٌ، وإن كان في الدنيا من الأحياء؛ فإنّه حيّ بالحياة الحيوانيّة، وجميعُ العالم حيّ بحياة الذِّكْر. فمَثَل الذي يذكر[2] ربّه والذي لا يذكر ربّه مَثَلُ الحيّ والميّت، كذا مَثَّله رسولُ الله ﷺ.

وأمّا ما ادّعيتُه في أنّ الذاكر أفضل من الشهيد الذي لا يذكر الله؛ فلِما صحّ عن رسول الله ﷺ في قوله: «ألا أُنبّئكم» أو كما قال: «بخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوّكم فيضربَ رقابكم وتضربون رقابهم؟ ذِكْرُ الله» فذكَر ضرب الرقاب، وهو الشهادة، فذِكْرُ[3] العبدِ ربّه أفضلُ من قتل الشهيد. وثبت عنه أنّ الذاكر حيٌّ؛ فخرج من ذلك أنّ حياة الذاكر خيرٌ من حياة الشهيد إذا لم يكن (الشهيد) ذاكرا ربّه ﷺ.

* * *

وصيّة: (عليك بإقامة حدود الله في نفسك وفيمن تملكه)

وعليك بإقامة حدود الله في نفسك وفيمن تملكه؛ فإنّك مسئول من الله عن ذلك. فإن كنتَ ذا سلطانٍ؛ تعيّن عليك إقامةُ حدود الله فيمن ولّاك الله عليه؛ «فكلّكم راعٍ ومسئول عن رعيّته»، وليس سِوَى إقامةِ حدود الله فيهم. وأقلُّ الولايات؛ ولايتُك على نفسك وجوارحك. فأَقِم فيها حدودَ الله إلى الخلافة الكبرى؛ فإنّك نائبُ الله على كلّ حال في نفسك لما فوقها. وقد ورد[4] الحديث الثابت في الذي يقيم حدود الله والواقع فيها فمَثَّلَهُما رسول الله ﷺ «بقوم استهموا على سفينة؛ فأصاب بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلها. فكان الذين أسفلها إذا استقَوا مرُّوا على مَن فوقهم، فقالوا: إنّا نخرق في نصيبنا، لا نؤذي مَن فوقَنا. فإن تركوهم وما أرادوا؛ هلكوا جميعا».

فإذا خطر لك -يا وليّي- خاطِرٌ يأمرك بالخير؛ فذلك لَمّةُ المَلَك. ثمّ يأتي بعد ذلك خاطرٌ ينهاك عن ذلك الخير أن تفعله؛ فذلك لَمّةُ الشيطان. ولا تعرف الخير والشرّ إلّا بتعريف الشرع. وإذا خطر لك خاطر يأمرك بفعل الشرّ؛ فذلك لَمّة الشيطان. فإذا أعقبه خاطر ينهاك عن فعل ذلك الشرّ؛ فذلك لَمّة

---

1 ق: "لا تنقطع إلا بالموت" وفي الهامش: "لا تنقطع بالموت" وفوقها حرف ظ (أي ظن)، والترجيح من س

2 ص 37ب

3 ق: "وذكر" والترجيح من س

4 ص 38

المَلِك. وأنت السفينة: إن انخرقت هلكتَ، وهلك جميع مَن فيك. فعليك بعلم الشريعة؛ فإنّك لن تعلم حدود الله؛ حتى تقوم بها، أو تعرف مَن يقع فيها ممن قام بها؛ إلّا أن تعلم علم الشريعة؛ فيتعيّن عليك طلبُ علم الشريعة لإقامة حدود الله.

* * *

وصيّة: (عليك بالصدقة)

وعليك بالصدقة؛ فإنّ الله قد ذكر المتصدّقين والمتصدّقات. وهي[1] فرضٌ ونفل؛ فالفرض منها يسمّى زكاة، والنفل منها يسمّى تطوّعا. وبالفرض منها يزول عنك اسم البخل، وبصدقة التطوّع منها تنال الدرجات العلى، وتتّصف بصفة الكرم، والجود، والإيثار، والسخاء. وإيّاك والبخل. ثمّ إنّه عليك في مالِك حقٌّ زائد على الزكاة المفروضة؛ وهو إذا رأيت أخاك المؤمن على حالة الهلاك، بحيث أنّك إذا لم تعطِه مِن فضل مالِك شيئا هلكَ هو وعائلته، إن كانت له عائلة. فيتعيّن عليك أن تواسيه؛ إمّا بالهبة أو بالقرض؛ فلا بدّ من العطاء، وذلك العطاء صدقة. حتى أنّي سمعت بعض علمائنا بأشبيلية يقول في حديثِ «هل عليّ غيرها» يعني في الزكاة المفروضة، قال (ص): «لا إلّا أن تطوّع»، قال لي ذلك الفقيه: "فيجب عليك" فاستحسنتُ ذلك منه -رحمه الله-.

وإنما سمّى اللهُ الإنسانَ متصدّقا، وسمّى ذلك العطاءَ صدقة، فرضًا كان أو نفلا؛ لأنّه أعطى ذلك عن شدّة لكونه مجبولا على البخل، فإنّ الله يقول فيه: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[2] فقال ﷺ في فضل الصدقة وزمانها: «أن تصّدّق وأنت صحيح شحيح، تخاف الفقر وتأمل الحياة والغنى» يقول[3] الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4] أي الناجون. لأنّ الإنسان إذا كان له مالٌ، ويأمل الحياة؛ فإنّه يخاف أن يفتقر ويذهب ما بيده من المال بطول حياته لنوائب الزمان، وأمله بطول حياته؛ فيؤدّيه ذلك إلى البخل بما عنده من المال، والإمساك عن الصدقة والتوسعة على المحتاجين مما آتاه الله من الخير. فهو يكنزه، ولا ينفقه، ولا يؤدّي زكاته؛ حتى يُكوى به جنبُه وجبينُه وظهرُه، كما قال -تعالى- فيهم: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[5]. فلهذا

---

1 ص 38ب

2 [المعارج : 21]

3 ص 39

4 [الحشر : 9]

5 [التوبة : 35]

العطاءُ عن شدّة سُمّيت صدقة، يقال: "رُمْحٌ صَدْقٌ" أي صُلْبٌ.

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا في البخيل والمتصدِّق، فقال ﷺ: «مَثَل البخيل والمتصدِّق كمثل رجلين عليهما جُبّتان من حديد قد اضطرّت أيديهما إلى تراقيهما، فجعل المتصدِّق كلّما تصدّق بصدقة انبسطت عليه حتى تُجِنّ ثيابه وتعفو أثره، وجعل البخيل كلّما همّ بصدقة قلصت، وأخذت كلّ حلقة مكانها».

فإيّاك والبخل فإنّه[1] يرديك، ويوردك الموارد المهلكة في الدنيا والآخرة. ولا يجعلك تتكرم وتتصدّق إلّا استعمالُ العلم؛ فإنّك إذا علمتَ أنّ رزقَك لا يأكله، ولا يقتات به، ولا يحيا به غيرُك، ولو اجتمع أهل السماوات والأرض على أن يحولوا بينك وبين رزقك ما أطاقوا، وإذا علمتَ أنّ رزق غيرك فيما أنت مالكه؛ لا بدّ أن يصل إليه حتى يتغذّى به ويحيا، وأنّ أهل السماوات والأرض لو اجتمعوا على أن يحولوا بينه وبين رزقه، الذي هو في مِلكك؛ ما أطاقوا.

فادفع إليه مالَه إذا خطر لك خاطر الصدقة؛ تتّصف بالكرم والثناء الجميل، وأنت ما أعطيته إلّا ما هو له بحقٍّ، في نفس الأمر عند الله، وأنت محمود. فإذا علمتَ هذا؛ هان عليك إخراج ما بيدك، ولحقتَ بأهل الكرم، وكُتبتَ في المتصدّقين؛ إن أخرجتَ ذلك عن تردّد ومكابدة، وأتبعتَه نفسك، ورأيت بذلك أنّ لك فضلا على مَن أوصلته تلك الراحة. فإيّاك أن تجهل على أحد، كما تحبُّ أن لا يُجهل عليك. وقد كان رسول الله ﷺ يقول في تعوّذاته: «وأعوذ بك أن أجهل أو يُجهل عليّ» لمن حكم فيك بالعلم فقد أنصفك.

* * *

وصيّة: (عليك بالجهاد الأكبر، وهو جهادُك هواك)

عليك[2] بالجهاد الأكبر، وهو جهادُك هواك؛ فإنّه أكبر أعدائك، وهو أقرب الأعداء إليك الذين يلونك؛ فإنّه بين جنبيك، والله يقول سبحانه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾[3] ولا أكفر عندك من نفسك؛ فإنّها في كلّ نفَس تكفر نعمةَ الله عليها من بعد ما جاءتها. فإنّك إذا جاهدتَ نفسك

---

1 ص 39ب
2 ص 40
3 [التوبة : 123]

هذا الجهاد؛ خَلُص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قُتِلت فيه؛ كنت من الشهداء الأحياء الذين عند ربّهم يُرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، مستبشرين بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم.

وقد علمتَ فضل المجاهد في سبيل الله في حال جهاده، حتى يرجع إلى أهله بما اكتسبه من أجرٍ وغنيمة؛ أنّه كالصائم، القائم، القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة ولا من صيام، حتى يرجع المجاهد. وقد علمتَ بالحديث الصحيح أنّ «الصوم لا مِثل له» وقد قام الجهاد مقامَه ومقامَ الصلاة، وثبت هذا عن رسول الله ﷺ وهذا في الجهاد الذي فرضه الله -تعالى- المعيَّن، ويعصي الإنسانُ بتركه، لا بدّ من ذلك. ولا يزال العبد العالِم، الناصِح نفسَه، المستبرئ لدينه في جهاد أبدا؛ لأنّه مجبول على خلاف ما دعاه إليه الحقّ. فإنّه بالأصالة متّبعٌ هواه[1]، الذي هو بمنزلة الإرادة في حقّ الحقّ:

فَيَفْعَلُ الحَقُّ ما يُرِيْدُهْ فإنّنا كُلُّنا عَبِيْدُهْ

ولا تحجير عليه. ويريد الإنسان أن يفعل ما يهوى، وعليه التحجير؛ لما هو مطلَق الإرادة؛ فهذا هو السبب الموجب في كونه لا يزال مجاهِدا أبدا. ولذلك طلب أصحابُ الهمم أن يلحقوا بدرجات العارفين بالله حتى تكونَ إرادتُهم إرادةَ الحق؛ أي يريدون جميع ما يريده الحقُّ، وهو ما هم[2] الخلق عليه؛ فيريدونه من حيث أنّ الله أراد إيجادَه، ويكرهون منه بكراهة الحقّ ما كرهه الحقُّ، ووصف نفسه بأنّه لا يرضاه. فهو يريده ولا يرضاه، ويريده ويكرهه في عين إرادته إن أراد أن يكون مؤمنا، وإن لم يكن كذلك وإلّا فقد انسلخ من الإيمان، نعوذ بالله من ذلك، فإنّه غاية الحرمان، وهذا هو الحقّ الممقوت، كما تقول في الغيبة: إنّها الحقّ المنهيّ عنه.

* * *

وصيّة: (عليك بإسباغ الوضوء على المكارِه)

وعليك بإسباغ الوضوء على المكارِه، وذلك في زمان البرد. واحذر من الالتذاذ باستعمال الماء البارد في زمان الحرّ؛ فتسبغ الوضوء لالتذاذك به في زمان الحرّ؛ فتتخيّل أنّك ممن[3] أسبغ الوضوء عبادة، وأنت ما أسبغته إلّا لوجود الالتذاذ به؛ لما أعطاه الحال والزمان من شدّة الحرّ. فإذا أسبغته في شدّة البرد؛ صار لك عادة. وقال رسول الله ﷺ: «الخيرُ عادة» فاصحبْ تلك النيّة في زمان الحرّ. فإن غلبتك النفس

---

1 ص 40ب
2 أثبت فوقها بقلم الأصل: "هو"
3 ص 41

على الإسباغ بما تجده من اللذّة المحسوسة في ذلك؛ فاعلم أنّ الالتذاذ هنا إنما وقع بدفع ألم الحرّ وإزالته؛ فانوِ في ذلك دفع الألم عن نفسك (فإنّك مأجور في دفع المضارّ عنك). ألا ترى قاتل نفسه[1] كيف حرّم الله عليه الجنّة؟ فحقُّ النفس على صاحبها أعظمُ من حقّ الغير عليه؛ فكذلك يؤجر في دفع الألم عن نفسه.

وإنّ الله يرفع بإسباغ الوضوء على المكاره درجةَ العبد، ويمحو اللهُ به الخطايا. قال ﷺ: «ألا أنبّئكم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغُ الوضوء على المكاره» فهذا محوِ الخطايا؛ فإنّه تنظيف وتطهير، ثمّ قال: «وكثرةُ الخُطا إلى المساجد» (فهذا رفع درجات) فإنّه سلوك في صعود ومشي، ثمّ قال تمام الحديث وهو: «وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط؛ فذلكم الرباط؛ فذلكم الرباط» والرباطُ الملازمةُ، مِن ربطت الشيء. وبالانتظار قد ألزم نفسَه، فربط[2] الصلاة بالصلاة المنتظرة؛ بمراقبة دخول وقتها؛ ليؤدّيها في وقتها. وأيّ لزوم أعظم من هذا؟ فإنّه يوم واحد مقسّم على خمس صلوات، ما منها صلاة يؤدّيها فيفرغ منها، إلّا وقد ألزم نفسَه مراقبة دخول وقت الأخرى، إلى أن يفرغ اليوم، ويأتي يوم آخر؛ فلا يزال كذلك. فما ثَمّ زمان لا يكون فيه مراقِبا لوقت أداء صلاة، لذلك أكّده بقوله ثلاث مرّات.

فانظر إلى علم رسول الله ﷺ بالأمور؛ حتى أنزل كلَّ عمل في الدنيا منزلتَه في الآخرة، وعيّن حكمَه، وأعطاه حقَّه، فذكَر وضوءا ومشيا وانتظارا، وذكر محوًا ورفعَ درجة ورباطا، ثلاث لثلاث، هذا يدلّك على شهوده مواضع الحكم، ومن هنا وأمثاله، قال عن نفسه: «إنّه أوتي جوامع الكلم».

* * *

وصيّة: (عليك بمراعاة كلّ مسلم)

وعليك بمراعاة كلّ مسلم، من حيث هو مسلم، وساوِ بينهم كما سوّى الإسلام بينهم في أعيانهم، ولا تقل: هذا ذو سلطان، وجاهٍ، ومالٍ، وكبيرٌ، وهذا: صغيرٌ، وفقير، وحقير. ولا تخفر صغيرا ولا كبيرا في ذمّته، واجعل الإسلام كلّه كالشخص الواحد، والمسلمين كالأعضاء لذلك الشخص، وكذلك هو الأمر. فإنّ الإسلام ما[3] له وجود إلّا بالمسلمين، كما أنّ الإنسان ما له وجود إلّا بأعضائه، وجميع قواه الظاهرة والباطنة. وهذا الذي ذكرناه هو الذي راعاه رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه من قوله في ذلك: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يدٌ واحدة على مَن سِوَاهم» وقال: «المسلمون كرجل واحدٍ إن

---

1 "ألا ترى قاتل نفسه" ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع حرف ت

2 ص 41ب

3 ص 42

اشتكى عينُه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه» ومع هذا التمثيل فأنزِل كلّ أحد منزلته، كما أنّك تعامل كلّ عضو منك بما يليق به، وما خُلِق له؛ فتغضّ بصرك عن أمر لا يعطيه السمع، وتفتح سمعك لشيء لا يعطيه البصر، وتصرف يدك في أمر لا يكون لرجلك، وهكذا جميع قواك؛ فتنزل كلّ عضو منك فيما خُلق له.

كذلك؛ وإن اشترك المسلمون في الإسلام، وساويت بينهم؛ فأعطِ العالِم حقّه من التعظيم والإصغاء إلى ما يأتي به، وأعط الجاهل حقّه من تذكيرك إيّاه وتنبيهه على طلب العلم والسعادة، وأعط الغافل حقّه بأن توقظه من نوم غفلته؛ بالتذكّر لما غفل عنه، مما هو عالِم به، غير مستعمل علمَه، وكذلك الطائع والمخالف.

وأعط السلطان حقّه من السمع والطاعة فيما هو مباحٌ لك[1] فعلُه وتركُه؛ فيجب عليك بأمره ونهيه أن تسمع له وتطيع؛ فيعود -لأمر السلطان ونهيه- ما كان مباحا قبل ذلك؛ واجبا أو محظورا بالحكم المشروع من الله، في قوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2]. وأعط الصغير حقَّه من الرفق به، والرحمة له، والشفقة عليه. وأعط الكبير حقّه من الشرف والتوقير؛ فإنّ من السنّة: رحمة الصغير، وتوقير الكبير، ومعرفةُ شرفه. ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ليس منّا من لم يرحم صغيرَنا ويعرف شرف كبيرنا» وفي حديث: «ويوقّر كبيرَنا».

وعليك برحمة الخلق أجمع، ومراعاتهم، كانوا ما كانوا؛ فإنّهم عبيدُ الله وإن عَصَوا، وخَلْقُ الله وإن فَضُل بعضُهم بعضا. فإنّك إذا فعلت ذلك أُوجِرتَ، فإنّه ﷺ قد ذكر أنّه «في كلّ ذي كبد رطبة أجر» ألا ترى إلى الحديث الوارد في البغيّ «أنّ بغيًّا من بغايا بني إسرائيل، وهي الزانية، مرّت على كلبٍ قد خرج لسانه من العطش، وهو على رأس بئر. فلمّا نظرت إلى حاله؛ نزعت خُفَّها، وملأته بالماء من البئر، وسقت الكلب؛ فشكر الله فعلها؛ فغفر لها بكلب».

وأخبرني الحسن الوجيه المدرس بملطيّة الفارسيّ عن والي بخارى، وكان ظالما مُسْرِفًا على[3] نفسه، فرأى كلبا أجرب في يوم شديد البرد، وهو ينتفض من البرد، فأمر بعض شاكريّته؛ فاحتمل الكلبَ إلى بيته، وجعله في موضع حارّ، وأطعمه وسقاه، ودفئ الكلب. فرأى (الوالي) في النوم، أو سمع هاتفا -الشكُّ

1 ص 42ب
2 [النساء : 59]
3 ص 43

منّي- يقول له: "يا فلان؛ كنتَ كلبا فوهبناك لكلب" فما بقي إلّا أيّاما يسيرة ومات؛ فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب! وأين المسلم من الكلب؟!

فافعل الخير ولا تبالِ فيمن تفعله؛ تكن أنت أهلًا له، ولتأت كلّ صفة محمودة من حيث ما هي من مكارم الأخلاق؛ تتحلّى بها، وكن محلّا لها؛ لشرفها عند الله، وثناء الحقّ عليها. فاطلب الفضائل لأعيانها، واجتنب الرذائل العرفيّة لأعيانها، واجعل الناس تبعا؛ لا تقف مع ذمّهم ولا حمدهم، إلّا أنّك تقدّم الأَوْلى فالأَوْلى إن أردت أن تكون من الحكماء المتأدّبين بآداب الله التي شرعها للمؤمنين على ألسنة الرسل - عليهم السلام-. واعلم أنّ «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا» وما في العالَم إلّا مؤمن؛ لأنّ ما في العالَم إلّا مَن هو ساجد لله، إلّا بعض الثقلين من[1] الجنّ والإنس؛ فإنّ في الإنسان الواحد منهم كثير ممن يسبّح الله ويسجد لله، وفيه مَن لا يسجد لله؛ وهو الذي حَقّ عليه العذاب.

انظر في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾[2] فسمّاهم مؤمنين، وأمرهم بالإيمان. فالأوّل عمومُ الإيمان؛ فإنّ الله قال في حقّ قوم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾[3] والثاني خصوص الإيمان، وهو المأمور به. والأوّل إقرار منهم من غير أن يقترن به تكليف بل ذلك عن علم، وأيسرُه في بني آدم حين أشهدهم على أنفسهم، كما قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[4] فخاطبهم بالمؤمنين حين أيّهَ بهم، ثمّ أمرهم بالإيمان في هذه الحالة الأخرى، وما تعرّض للتوحيد المطلَق؛ رحمة بهم، فإنّه القائل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[5] الشركَ الخفيّ، وقد ذكرناه. فلذلك قال لهم: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾[6] ولم يقل: "بتوحيد الله" فمن آمن بوجود الله فقد آمن، ومن آمن بتوحيده فما أشرك. فالإيمانُ إثباتٌ، والتوحيدُ نفيُ شريك. ومن أسماء الله: "المؤمن" وهو يشدّ من المؤمن المخلوق. قال ﷺ: «يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد» وهو الاسم: "المؤمن". فالمؤمن[7] يشدّ من المؤمن، فافهم.

1 ص 43ب
2 [النساء : 136]
3 [العنكبوت : 52]
4 [الأعراف : 172]
5 [يوسف : 106]
6 [النساء : 136]
7 ص 44

وصيّة: (كن عُمَرِيّ الفعل)

كن عُمَرِيّ الفعل؛ فإنّ عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "مَن خَدَعَنا في الله انخدعنا له" فاحذر -يا أخي- إذا رأيت أحدا يخدعك في الله، وأنت تعلم بخداعه إيّاك؛ فمِن كرم الأخلاق أن تنخدع له، ولا توجِدَه أنّك عرفت بخداعِه، وتَبَالَهْ له حتى يغلب على ظنّه أنّه قد أثّر فيك بخداعه، ولا يدري أنّك تعلم بذلك. لأنّك إذا قمت في هذه الصفة؛ فقد وفّيت الأمر حقّه؛ فإنّك ما عاملت إلّا الصفة التي ظهر لك بها، والإنسان إنّما يعامِل الناس لصفاتهم، لا لأعيانهم. ألا تراه لو كان صادقا غير مخادِع؛ لوجب عليك أن تعامله بما ظهر لك منه؟ وهو ما يَسعدُ إلّا بصدقه، كما أنّه يشقى بخداعه ونفاقه؛ فإنّ الخادع منافق.

فلا تفضحه في خداعه، وتجاهل له، وانصبغ له باللون الذي أراده منك أن تنصبغ له به، وادعُ له وارحمه؛ عسى الله أن ينفعه بك، ويجيب فيه صالح دعائك. فإنّك إذا فعلت هذا كنتَ مؤمنا حقّا؛ فإنّ «المؤمنَ غِرٌّ كريم»؛ لأنّ خُلُق الإيمان تعطي المعاملة بالظاهر، «والمنافق[1] خِبٌّ لئيم»، أي لئيم على نفسه؛ حيث لم يسلك بها طريق نجاتها وسعادتها.

كن رداء وقميصا لأخيك المؤمن، وحُطْهُ من ورائه، واحفظه في نفسه، وعِرْضِه، وأهله، وولده؛ فإنّك أخوه بنصّ الكتاب العزيز، واجعله مرآةً ترى فيها نفسك؛ فكما تزيل عنك كلّ أذى تكشفه لك المرآة في وجهك، كذلك فَلْتُزِلْ عن أخيك المؤمن كلّ أذى يتأذّى به في نفسه؛ فإنّ نفسَ الشيء وجهُه وحقيقتُه.

* * *

وصيّة: (احفظ حقّ الجار والجوار)

واحفظ حقّ الجار والجوار، وقدّم الأقرب دارا إليك فالأقرب، وتفقّدْ جيرانك مما أنعم الله به عليك؛ فإنّك مسؤول عنهم، وادفع عنهم ما يتضرّرون به، كان الجيران ما كانوا. وما سُمّيتَ جارا له، و(سمّي) جارا لك؛ إلّا لميْلِك إليه بالإحسان، وميله إليك، ودفع الضرر مشتقٌّ من جار، إذا مال؛ فإنّ الجَوْرَ (هو) الميلُ. فمن جعله من الجور، الذي هو الميل إلى الباطل والظلم في العرف، فهو كمن يسمّي اللديغَ سليما، في النقيض، وفي هذا، فغلبت حقّ الجوار كان الجار ما كان، كأنّه يقول: وإن كان الجار من أهل الجور، أي المَيل[2] إلى الباطل؛ بِشركٍ أو كفرٍ؛ فلا يمنعنك ذلك منه عن مراعاة حقّه؛ فكيف بالمؤمن؟! فحقُّ الجار إنّما

1 ص 44ب
2 ص 45

هو على الجار.

وأعجب ما رويته في ذلك عن بعض شيوخنا، فذكر من مناقب بعض الأعراب؛ أنّ جرادا نزل بفناء بيته؛ فخرجت الأعراب إليه بالعُدد ليقتلوه ويأكلوه. فقال لهم صاحب البيت: ما تبتغون؟ فقالوا له: نبتغي جارَك. فقال: بعد أن سمّيتموه جاري؛ فوالله لا أترك لكم سبيلا إليه. وجرّد سيفه يذبُّ عنه؛ مراعاةً لحقّ الجوار. فهذا كما سئل مالك بن أنس عن أكل خنزير البحر. فقال: هو حرام. فقيل له: إنّه سمكٌ من حيوان البحر الذي أحلّ الله أكلَه لنا. فقال لهم مالك: أنتم سمّيتموه خنزيرا، ما قلتم: ما تقول في سمك البحر؟.

فاهجر ما نهاك الله عنه، وقد نهاك عن أذى الجار؛ فاهجر أذاه، و﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1]. وفيما روينا من الأخبار في سبب نزول هذه الآية «أنّ أعرابيا[2] جاء إلى رسول الله ﷺ من المشركين من فصحاء العرب، وقد سمع أنّ الله قد أنزل عليه قرآنا عجز عن معارضته فصحاءُ العرب[3]. فقال له: يا رسول الله؛ هل فيما أنزل عليك ربُّك مثل ما قلته؟ فقال له رسول الله ﷺ وما قلتَ؟ فقال الأعرابي: قلت:

وَحَيِّ ذَوِي الأَضْغانِ تَسْبِ عُقُولَهُمْ	تَحِيَّتَكَ القُرْبَى فَقَدْ تَرْفَعِ النَّغَلْ[4]
وإنْ جَهَرُوا بِالقَولِ فَاعْفُ تَكَرُّمَا	وإنْ سَتَرُوا عَنْكَ المَلامَةَ لَمْ تُبَلْ
فَإنّ الذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ اسْتِمَاعُهُ	وإِنّ الَّذِي قَدْ قِيلَ خَلْفَكَ لَمْ يُقَلْ

فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. فقال الأعرابي: هذا -والله- هو السّحر الحلال. والله ما تخيّلت، ولا كان في علمي؛ أنّه يُزاد أو يؤتَى بأحسن مما قلته. أشهد أنّك رسولُ الله، والله ما خرج هذا إلّا مِن ذِي إلٍّ». فمثل هؤلاء عرفوا إعجاز القرآن.

أترى -يا وليّ- يكون هذا الأعرابيّ فيما وصف به نفسَه بأكرم من الله في هذا الخُلُق في تحمّل[5] الأذى، وإظهار البِشر، والمخالفات عن العقوبة، والعفو مع القدرة، وتهوين ما يقبح على النفس، والتغافل عمّن أراد

1 [فصلت: 34، 35]
2 هو العلاء بن الحصين
3 ص 45ب
4 في الهامش تعريف النغل بقلم آخر: النغل بالتحريك الفساد، يقال: نغل الـ.. إذا عفن وتهرّى في الدباغ فسد وهلك.
5 ص 46

التستّر عنك بما يشينه لو ظهر به؟! بل والله أكرم منه، وأكثر تجاوزا وعفوا وحلما، وأصدق قيلا. فإنّ هذا القول من العربي، وإن كان حسنا، لما يُدرى عند وقوع الفعل ما يكون منه، والحقّ صادقُ القول بالدليل العقلي. لما يأمر بمكرمة إلّا وهي صفته التي يعامل بها عباده، ولا ينهى عن صفة مذمومة لئيمة إلّا وهو أنزه عنها، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، الغفور الرحيم.

أنصر أخاك ظالما أو مظلوما: فنُصرةُ الظالم من حيث ما هو مظلوم؛ فإنّ الشيطان ظلَمه؛ بما وسوس إليه به في صدره مِن ظُلم غيره؛ فتنصره بأن تعينه على دفع ما ألقى الشيطان عنده من تزيينه ظلمَ الغير، حتى سُمّي بظالم. لما نصرته إلّا لكونه مظلوما؛ لمن وسوس في صدره، وحال بينه وبين الهدى الذي هو له مِلك؛ فابتاعه منه الشيطان بالضلالة؛ فاشترى الضلالة بالهدى؛ فسمّي ظالما. فإذا أبنتَ له أنتَ بنُصحك، وأفتيتَه أنّ هذا البيعَ مفسوخ، لا يجوز شرعا؛ فلا[1] ينعقد، وأنّ صفقته خاسرة، وتجارته بائرة؛ فقد نصرتَه مع كونه ظالما؛ فرجع عن ظلمه وتاب؛ وذلك هو فسخ البيع. يقول الله في مثل هؤلاء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[2].

فإيّاك أن تخذل مَن استنصر بك، وقد قال (تعالى) مع غناه عنك: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾[3] فطلب منكم أن تنصروه، وما هو إلّا هذا. ولا تظلمه؛ فإنّ «الظلم ظلمات يوم القيامة»، ومَن كان سعيه في ظلمة؛ لا يدري متى يقع في مهواة، أو ما يؤذيه في طريقه مِن هوامٍ يكون في أذاه هلاكُه. وأوصيك: لا تحقَر أحدا من خلق الله؛ فإنّ الله ما احتقره حين خلقه.

لا تَحْقَرَنَّ عِبادَ اللهِ إنّ لَهُمْ ... قَدْرًا وَلَوْ جُمِعَتْ لَكَ المَقاماتُ

فلا يكون اللهُ يُظهر العناية بإيجاد مَن أوجده من عدم، وتحقّره أنت؛ فإنّ في ذلك تسفيهَ مَن أوجده واحتقارَه، نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين؛ فإنّ هذا من أكبر الكبائر، فالكلّ نِعَمُ الله يتغذّى بها عباد الله، كانوا ما كانوا.

قال ﷺ: «لا تحقَرنّ إحداكنّ ما تهديه لجارتها، ولو فِرْسَنَ شاة» فإنّ[4] الاحتقارَ جهلٌ محضٌ. ولا تكن لعّانا، ولا سبّابا، ولا سخّابا؛ فإنّ لعنَ المؤمن مِثْلُ قتلِه سَواء.

---

1 ص 46ب
2 [البقرة : 16]
3 [محمد : 7]
4 ص 47

لقي عيسى عليه السلام خنزيرا، فقال له: انجُ بسلام. فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: «ما أريد أن أعوّد لساني إلّا قول الخير». كن حديثا حسنا. وفي ذلك قلت:

إنّمَا النَاسُ حَدِيثٌ كُلُّهُمْ فَلْتَكُنْ خَيْرَ حَدِيثٍ يُسْمَعُ
وإذا شاكَتْكَ مِنْهُمْ شَوْكَةٌ فَلْتَكُنْ أَقْوَى مِجَنٍّ يَدْفَعُ
وإذا ما كُنتَ فِيهِمْ هَكَذا أنْـتَ واللهِ إمـامٌ يَنْفَـعُ
إنّمَا الشَّمْعَةُ تُؤْذِي نَفْسَها وَهْيَ لِلنَّاظِرِ نُورٌ يَسْطَعُ[1]
إنّمَا اللُّـؤْمُ الذِي نَعْرِفُـهُ نِعْمَـةٌ فِي يَـدِ شَخْصٍ يَمْنَعُ

* * *

وصيّة: (إيّاك والخيلاء)

إيّاك والخيلاء، وارفع ثوبك فوق كَعْبك، أو إلى نصف ساقك. روي[2] عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أُزْرَةُ المؤمن إلى نصف ساقه» أو كما قال. ولعليّ بن أبي طالب في ذلك:

تَقْصِيرُكَ الثَّوْبَ حَقًّا أَنْقَى وأَبْقَى وأَتْقَى

فأمّا قوله: "أنقى" فلارتفاعه عن القاذورات التي تكون في الطرق والنجاسات. وأمّا قوله: "أبقى" فإنّ الثوب إذا طال حكّ في الأرض بالمشي؛ فيسارع إليه التقطيع؛ فيقلّ عمر الثوب؛ فإنّه يَخْلَقُ بالعجلة إذا طال بما يصيب الأرض منه. وأمّا قوله: "أتقى" فإنّه مشروع، أعني تقصير الثوب إلى نصف الساق، والمتقي مَن جعل الشرعَ له وقايةً وجُنّةً يتقي به ما يؤذيه من شياطين الإنس والجنّ، «وإنّ الله لا ينظر لمن يجرّ ثوبه خُيلاء».

وإيّاك أن تسأل الناس تكثّرا وعندك ما يغنيك في حال سؤالك؛ فإنّ المسألةَ خُدوشٌ أو خُموشٌ في وجهك يوم القيامة. فإذا اضطررتَ، ولم تقدر على شغل؛ فَسَلْ قوتَك لا تتعدّاه إذا لم يرزقك الله يقينا وثقة به، وكفّارةُ ذلك السؤال عدمُ تكثُّرك واقتصارُك في المسألة على بُلْغَةِ وقتِك. فإنّ مسألةَ المؤمن حَرَقُ النار، ومعنى ذلك أنّ المؤمن يجد عند سؤاله مخلوقا مثله في دفع ضرورته مثل[3] حَرَقِ النار في قلبه من الحياء في ذلك، حيث لم يُنزل مسألته ودَفْع ضرورته بربّه الذي بيده ملكوت كلّ شيء، وهو الذي يسخّر

1 "للناظر نور يسطع" كتب مقابلها في الهامش بقلم الأصل: "للعين سراج يسطع"
2 ص 47ب
3 ص 48

له هذا المسؤول منه حتى يعطيه. ومَن وجد ذلك (أي حَرَق النار) تعزُّزا وتكبّرا حيث التجأ إلى مخلوق مثله؛ فذلك من شرف همّته من حيث لا يشعر، وشرفُ الهمّة أحسنُ من دناءة الهمّة؛ فإنّ العبدَ يتعزّز على عبد مثله، كما أنّ فخرَه وشرفَه (هو) في فقره إلى سيّده، وسؤاله في دفع ضروراته، ومُلِمّاته، وقضاء مهمّاته.

* * *

وصيّة: (في حُبّ الأنصار)

إذا رأيت أنصاريّا أو أنصاريّة، وإن كان عدوّا لك، فلتحبّه الحبّ الشديد، واحذر أن تبغضه فتخرج من الإيمان؛ فإنّ النبيّ ﷺ «لقي امرأة من الأنصار في طريقه، فقال لها: إنّكم لَمِن أحبّ خلق الله إليّ» وثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق بغضُ الأنصار».

واعلم أنّ كلّ مَن نصر دين الله في أيّ زمان كان؛ فهو من الأنصار، وهو داخل في حكم هذا الحديث. واعلم أنّ الأنصار لدين الله رَجُلان[1]: الواحدُ نَصَر دينَ الله ابتداء من نفسه، من غير أن يعرف وجوب ذلك عليه، ورجلٌ عَرف وجوب[2] نصرة الدين عليه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾[3] فأمرهم بنصرة الله، فأدّى واجبا في نصرته؛ فله أجرُ النصرة، وأجرُ[4] أداء الواجب بما نواه من امتثال أمر الله في ذلك وتعيّن عليه، ولو كفاه غيرُه مؤونةَ ذلك؛ فلا يتأخّر عن أمر الله. ونصرةُ الله قد تكون بما يعطي من العلم المُظهِر للحقّ، الدافع للباطل؛ فهو جهاد معنويٌّ محسوس. فكونه معنويّا؛ لأنّ الباطن يقبله؛ فإنّ العلم متعلَّقُه النفس. وأمّا كونه محسوسا؛ لما يتعلّق بذلك من العبارة عنه باللسان أو الكتابة؛ فيحصل للسامع أو الناظر؛ بطريق السمع من المتكلّم، أو بطريق النظر من الكتابة.

وجهادُ العدوّ نصرةٌ محسوسة، ما هي معنويّة. فإنّه ما نال العدوُّ من المقاتل له شيئا في الباطن يردُّه عن اعتقاده، كما ناله من العالِم إذا عَلّمه، وأصغى إليه، ووفّقه الله للقبول، وفتحَ عينَ فَهْمِه لما يورده عليه العالِمُ في تعليمه، وهي أعظم نصرة، وهو أعظم أنصاريّ لله. يقول النبيّ ﷺ: «لأن يهدي اللهُ بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس» وقد طلعت الشمس على كلّ عالِم عامل بخير؛ فأنت خيرٌ منه إذا نصرتَ بتعليم

---

1 ق: "رجلين" وفي الهامش بقلم آخر: "رجلان" ومعها حرف ظ
2 ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب، وحرف ظ
3 [الصف : 14]
4 ص 48ب

العلم دينَ الله في نفس هذا المخاطَب.

وعليك بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصدق الوعد. فاجتنب الكذب، والخيانة، وخلف الوعد. وإذا خاصمتَ أحدا فلا تفجُر عليه؛ فإنّ علامةَ المنافق وآيته: «إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان، وإذا خاصم فجر». وأعظمُ الخيانة[1] أن تحدّث أخاك بحديثٍ يرى أنّك صادق فيه، وأنت على غير ذلك. وأنّ الإنسان إذا كذب الكذبةَ تباعَدَ منه الملَك ثلاثين ميلا مِن نَتْنِ ما جاء به. وكذلك الشيطانُ إذا أمرَ ابنَ آدم بالمعصية؛ فعصى؛ تبرّأ منه الشيطانُ خوفا من الله تعالى.

فاعمل على ذوق هذه الروائح المعنويّة واستنشاقها؛ فإنّ له حجبا على أنفك تمنعك من إدراك نتن ذلك. فلا يكن الشيطانُ مع كفره أدْرَكَ للأمور وأخوفَ من الله منك. واعتبر في تبرِّيه من ذلك؛ فإنّها خميرة من الله في قلبه إلى زمانٍ مّا يظهر حكمها فيه، مع كونه مجبولا على الإغواء، كما هو مجبول على التبرّي والخوف من الله. أخبر اللهُ عنه أنّه يقول للإنسان: ﴿اكْفُرْ﴾ فإذا كفر يقول الشيطان: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[2] لما أُخِذ الشيطانُ قطّ بعمله؛ لشرف عِلمه؛ وإنما يؤخذ لصدق الحقّ فيما قاله فيما شرعه في «مَن سَنّ سنّة سيّئة فعليه[3] وزرها ووزر من عمل بها» فالشيطانُ يوم القيامة يحملُ أثقال غيره؛ فإنّه في كلّ إغواء يتوب عقيبه، ثمّ يشرع في إغواءٍ آخر؛ فيؤخذ بعمل غيره لأنّه من وسوسته. والإنسان الذي لا يتوب؛ إذا سنّ سنّةً سيّئةً يحمل ثقلها وأثقال مَن عمل بها. فيكون الشيطان أسعد حالا منه بكثير.

وإيّاك أن[4] تخلِف وعدَك، ولتخلِف إيعادك، ولكن سَمِّ إخلافَ إيعادِك تجاوزا، حتى لا تتسمّى بأنّك مخلِف ما أوعدتَ به من الشرّ، وهذه شبهة المعتزلة، وغاب عنها قوله -تعالى-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[5] وما تواطؤوا عليه، أعني الأعراب، إذا أوعدت أو وعدت بالشرّ التجاوز عنه، وجعلت ذلك من مكارم الأخلاق؛ فعامَلهم الحقُّ بما تواطؤوا عليه.

فزلّت هنا المعتزلة زلّة عظيمة، أوقعها في ذلك استحالةُ الكذب على الله -تعالى- في خبره، وما عَلِمَتْ أنّ مثل هذا لا يسمّى كذبا في العرف الذي نزل به الشرع. فحجبهم دليلٌ عقليٌّ، عن علم وضع حِكَمي،

---

1 ص 49
2 [الحشر : 16]
3 ق: فله
4 ص 49ب
5 [إبراهيم : 4]

وهذا من قصور بعض العقول، ووقوفها في كلّ موطن مع أدلّتها. ولا ينبغي لها ذلك، ولتنظر إلى المقاصد الشرعيّة في الخطاب، ومَن خاطب؟ وبأيّ لسان خاطب؟ وبأيّ عرف أوقع المعاملة في تلك الأمّة المخصوصة؟.

يقول بعض الأعراب في كرم خلقه:

وإنّي إذا أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفُ إِيْعادِيْ ومُنْجِزُ مَوْعِدِي

لكن لا ينبغي أن يقال: مخلِف، بل ينبغي أن يقال: إنّه عفوٌّ متجاوز عن عبده.

* * *

وصيّة: (عليك بالبذاذة)

عليك بالبذاذة؛ فإنّها من الإيمان، وهي عدم الترفُّه في[1] الدنيا. وقد ورد قوله (ص): «اخشوشنوا» وهي من صفات الحاجّ، وصفة أهل يوم القيامة؛ فإنّهم شُعْثٌ غُبْرٌ حفاة؛ فإنّ ذلك كلّه أنقى للكِبر، وأبعد من العُجب والزهو والخُيَلاء والصلَف، وهي أمور ذمّها الشرع، وكَرِهها، وهي مذمومة في العرف عند الناس وعند الله. ولذلك جعل النبيّ ﷺ «البذاذة من الإيمان»، وألحقها بشُعَبِه؛ فإنّ النبيّ ﷺ يقول: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». ولا شكّ أنّ الزهوَ والعُجبَ والكبر أذى في طريق سعادة المؤمن، ولا يماط هذا الأذى إلّا بالبذاذة؛ فلهذا جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان.

* * *

وصيّة: (عليك بالحياء)

وعليك بالحياء؛ فـ«إنّ الله حييّ»، و«الحياء من الإيمان» و«الحياء خيرٌ كلّه» و«إنّ الله يستحي من ذي الشيبة يوم القيامة» فإنّ العبدَ إذا اتّصف بالحياء من الله؛ تَرَكَ كلّ ما لا يرضي الله وما يَشِينه عند الله -تعالى- وعند رسول الله ﷺ والحياءُ معناه التّرْك. قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ يقول: إنّ الله لا يترك ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[2] في الصِّغر لقول من ضلّ بهذا[3] المثل من المشركين

1 ص 50
2 [البقرة : 26]
3 ص 50ب

الذين تكلّموا فيه، فإنّ الله قال: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي بهذا المَثل ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[1] فإنّهم حاروا فيه، والضلالةُ الحَيْرةُ، ورأوا عزّةَ الله، وجلالَه، وكبرياءَه، وحقارةَ البعوضة في المخلوقات؛ فاستعظموا جلال الله أن ينزل في ضرب المثل لعباده هذا النزول، وذلك لجهلهم بالأمور.

فإنّه لا فرق بين أعظم المخلوقات، وهو العرش المحيط، وبين الذرّة في الخَلْق والبعوضة، وإخراجها من العدم إلى الوجود. فما هي حقيرة إلّا مِن صِغر جسمها، إذا أضفته إلى ذي الجسم الكبير. بل الحكمة في البعوضة أتَمّ، والقدرة أنفذ؛ فإنّ البعوضة على صِغرها خلَقها الله على صورة الفيل على عِظَمِهِ، فخلْقُ البعوضة أعظمُ في الدلالة على قدرة خالقها من الفيل لأهل النظر والاعتبار. ولهذا لم يصف نفسَه بالحياء في ذلك لما فيها من الدلالة على تعظيم الحقّ.

ثمّ إنّ مواطن الحياء التي في الإنسان كثيرة؛ فإنّ الحياء صفةٌ يسري نفعُها ممن قامت به في أكثر الأشياء، ولهذا قال (ص): «الحياءُ خيرٌ كلُّه» و«الحياءُ لا يأتي إلّا بخير» وهو أن لا يفعل الإنسان ما يخجل فيه إذا عُرِف منه بأنّه فَعَله. وقد علِم المؤمنُ أنّ الله يعلم ويرى كلَّ ما يتحرّك فيه العبد؛ فيلزمه الحياء منه؛ لعلمه بذلك، ولإيمانه أنّه[2] لا بدّ أن يقرّره يوم القيامة على ما عمله؛ فيخجل؛ فيؤدّيه ذلك إلى ترك العمل فيه، وذلك هو الحياء؛ فمن هنا لا يأتي إلّا بخير، و«الله أحقّ أن يُستحيا منه».

* * *

وصيّة: (عليك بالنصيحة على الإطلاق فإنّها الدين)

وعليك بالنصيحة على الإطلاق فإنّها الدين. خرّج مسلم في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم» واعلم أنّ النصاح: الخيط، والمنصحة: الإبرة، والناصح الخائط، والخائط هو الذي يؤلّف أجزاء الثوب حتى يصير قميصا، أو ما كان، فينتفع به بتأليفه إيّاه، وما ألّفه إلّا بنُصحه.

والناصحُ في دين الله هو الذي يؤلّف بين عباد الله وبين ما فيه سعادتهم عند الله، ويؤلّف بين الله وبين خلقه، وهو قوله (ص): «النصيحة لله» وفيه تنبيه في الشفاعة عند الله؛ إذا رأى العبدُ الناصح أنّ الله يريد مؤاخذة العبد على جريمته، فيقول لله: يا ربّ؛ إنّك ندبتَ إلى العفو عبادَك، وجعلتَ ذلك من

1 [البقرة : 26]
2 ص 51

مكارم الأخلاق، وهو أوْلَى من جزاء المسيء بما يسوؤه، وذكرتَ للعبد أنّ أجر العافين عن الناس فيما أساءوا إليهم فيه مما توجّهتْ عليهم به الحقوق على الله؛ فأنت أحقّ بهذه الصفة؛ لما أنت عليه من الجود والكرم والامتنان، ولا مُكرِه لك؛ فأنت أهل العفو والتكرّم بالتجاوز عن[1] هذا العبد المسيء، المتعدّي حدودَك عن إساءته، وإسبال ذيل الكرم عليه.

واتّصافُ الحقّ بالجود، والعفو عن الجاني؛ أعظمُ من المؤاخذة على الإساءة. فإنّ المؤاخذة والعقوبة جزاء، وما في الجزاء على الشرّ فضلٌ، إلّا إذا كان في الدنيا؛ لِمَا في إقامة الحدود من دفع المضرّة العامّة، وما في ذلك من المصالح التي تعود على الناس، مثل قوله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[2]. وأمّا في الآخرة؛ لما ثمّ ما يندفع بجزاء المسيء ما يندفع به في الدنيا. فكأنّ العبدَ إذا قال هذا يوم القيامة، أو حيث قاله لله بطريق الشفاعة؛ كأنّه ناصح للمقام الإلهيّ في أن يثنى عليه إذا عفا عن المسيء بالكرم والطَّوْل والفضل؛ فإنّ في ذلك عين الامتنان. فهذا معنى قوله: «الدين النصيحة.. لله» أي في حقّ الله. فإنّه يسعى في أن يثنى على الله إذا عفا بما يكون ثناء حسنا، ولا سيما وقد ورد في الحديث الثابت: «إنّه لا شيء أحبّ إلى الله من أن يُمدح» فكما أنّه مُدِح في الدنيا بما نَصب من الحدود التي درأ بها المضارّ عن عباده، إذا أقامها أئمّة المسلمين على المذنبين، كذلك يُمدح بالعفو والتجاوز في الدار الآخرة؛ لأنّه هنالك ما تمشي هذه المصلحة التي نُصِبَتْ من أجلها إقامة الحدود التي لا يتمكن الشفاعة فيها؛ كحدّ السارق، والزاني، وحقوق الله على الإطلاق.

وأمّا[3] ما هو حقّ للعبد؛ فإنّ اللهَ قد ندب فيه إلى العفو والتجاوز؛ فالعفو من وليّ الدم، أو قبول الديّة. فإنّ المظلوم هو المقتول، وقد مات. فالطالب قد تقدّم؛ كالشاكي الذي يمشي إلى السلطان رافعا على مَن ظلمه. فجعل الديّة كالإحسان لوليّ الدم؛ لعلّ ذلك الشاكي إذا بلغه إحسانه لذوي رَحِمِه يسكت عنه، ولا يطالبه عند الله الحَكَم العدل بشيء من دمه.

وأمّا النصيحة لرسول الله ﷺ؛ ففي زمانه: إذا رأى منه الصاحبُ أمرا قد قَرّر خلافَه، والإنسانُ صاحبُ غفلات؛ فينبّهُ الصاحبُ رسولَ الله ﷺ على ذلك؛ حتى يواصل فِعْلَه بالقصد؛ فيكون حكما مشروعا، أو فَعلَهُ عن نسيان؛ فيرجع عنه. فهذا من النصح لرسول الله ﷺ؛ مثل سهوِه في الصلاة،

---

1 ص 51ب
2 [البقرة : 179]
3 ص 52

فالواجب عليه في الرباعيّة أن يصلّيها أربعا، فسلّم من اثنتين؛ فقيل له في ذلك. فهذه نصيحة لرسول الله ﷺ فرجع، وأتمّ صلاته، وسجد سجدتي السهو، وكان ما قد روي في ذلك وأمثال هذا.

ولهذا أمر الله ﷻ نبيّه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يوحَ إليه فيه. فإذا شاورهم[1] تعيّن عليهم أن ينصحوه فيما شاورهم فيه، على قدر علمهم، وما يقتضيه نظرهم في ذلك أنّه مصلحة. كنزوله يوم بدر على غير ماء؛ فنصحوه، وأمروه أن يكون الماء في حيّزه ﷺ ففعل، ونصحه عمر بن الخطاب في قتل أسارى بدر حين أشار بذلك.

وأمّا بعد رسول الله ﷺ فلم تبق له نصيحة. ولكن إذا كانت هذه اللام لامُ الأجليّة؛ بقيت النصيحة. فهذا قد بيّنّا ما نصيحة رسول الله ﷺ أنّ المشير الناصح قد جمع بين رسول الله ﷺ وبين الرأي الذي فيه المصلحة، كما يجمع الناصح الذي هو الخائط بالخياطة بين قطعة الكُمّ والبدن في الثوب.

وأمّا النصيحة لأئمّة المسلمين، وهم ولاة الأمور منّا، القائمون بمصالح عباد الله الدينيّة؛ والحكام، وأهل الفتاوى في الدين من العلماء يدخلون في أئمّة المسلمين أيضا. فإن كان الحاكم عالما كان، وإن لم يكن من العلماء بتلك المسألة سأل مَن يعلم عن الحكم فيها؛ فيتعيّن على المفتي أن ينصح، ويفتيه بما يراه أنّه حقٌّ عنده، ويذكر له دليله على ما أفتاه به؛ فيخلّصه[2] عند الله؛ فهذه هي النصيحة لأئمّة المسلمين.

ولمّا لم تُفرض العصمة لأئمّة المسلمين، وعُلِم أنّهم قد يخطئون ويتّبعون أهواءهم؛ تعيّن على أهل الدين من العلماء بالدين أن ينصحوا أئمّة المسلمين، ويَرُدّوهم عن اتباع أهوائهم في الناس؛ فيؤلّفون بين ما هو الدين عليه وبينهم؛ فمثل هذا هو النصح لأئمّة المسلمين؛ فيعود على الناس نفعُ ذلك.

وأمّا النصيحة لعامّتهم فمعلومة؛ وهي أن يشير عليهم بما لهم فيه المصلحة التي لا تضرّهم في دينهم ولا دنياهم. فإن كان ولا بدّ من ضرر يقوم من ذلك؛ إمّا في الدين، أو في الدنيا؛ فيرجّحوا في النصيحة ضرر الدنيا على ضرر الدين؛ فيشيرون عليهم بما يَسلم لهم فيه دينهم؛ فإنّ الله يقول: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3] وقال (ص): «دين الله يسر» وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[4] وإن أضرّ بدنياهم. ومما

---

1 ص 52ب
2 ص 53
3 [الحج : 78]
4 [التغابن : 16]

قدروا على دفع الضرر في الدين والدنيا معًا بوجهٍ من الوجوه وعرفوه؛ تعيّن عليهم في الدين أن ينصحوه في ذلك ويبيّنوه، والمستفتي بالخيار في ذلك بحسب ما يوفّقه الله إليه.

والذي أقول به: إنّ النصيحة تعمّ؛ إذ هي عينُ الدين، وهي صفة الناصح؛ فتسري[1] منفعتُها في جميع العالَم كلّه من الناصح الذي يستبرئ لدينه، ويطلب معالي الأمور؛ فيرى حيوانا قد أضرّ به العطش، وقد حاد ذلك الحيوان عن طريق الماء؛ فتعيّن عليه أن يردّه إلى طريق الماء، أو يسقيه إن قدر على ذلك؛ فهذا من النصيحة الدينيّة. وكذلك لو رأى مَن ليس على ملّة الإسلام يفعلُ فعلا من سفساف الأخلاق؛ تعيّن على الناصح أن يردّه عن ذلك مهما قدر إلى مكارم الأخلاق، وإن لم يقدر عليه؛ تعيّن عليه أن يبيّن له عيب ذلك؛ فربما انتفع بتلك النصيحة ذلك الشخصُ بما له في ذلك من الثناء الحسن، وينتفع بتلك النصيحة مَن اندفع عنه ضرر هذا الذي أراد أن يَضُرّهُ، وإن لم يكن مسلما ذلك المدفوع عنه.

فيتعيّن على صاحب الدين نُصْحُ عبادِ الله مطلقا، ولهذا يتعيّن على السلطان أن يدعو عدوّه الكافر إلى الإسلام قبل قتاله؛ فإن أجاب، وإلّا دعاه إلى الجزية إن كان من أهل كتاب، فإن أجاب إلى الصلح بما شرط عليه قَبِل منه. يقول الله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2] فيبقي على المسلمين إن كانت المنفعة للمسلمين في ذلك. فإن أبوا[3] إلّا القتال؛ قاتَلَهم، وأمر المسلمين بقتالهم على أن تكون ﴿كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾[4] و﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾. إلّا أنّه مَن التزم النصح قَلّ أولياؤه؛ فإنّ الغالب على الناس اتّباعُ الأهواء. ولذلك يقول رسول الله ﷺ: «ما ترك الحقّ لِعُمَرَ من صديق» وكذلك قال أويس القرني: "وقولُك الحقّ لم يترك لك صديقا" ولنا في ذلك:

لَمَا لَزِمْتُ النُّصْحَ والتَّحْقِيقَا لَمْ يَتْرُكَا لِي فِي الوُجُودِ[5] صَدِيقَا

ويحتاج الناصح إلى علم كثير من علم الشريعة؛ لأنّه العلم العام الذي يعمّ جميع أحوال الناس، وعلم زمانه، ومكانه. وما ثَمّ إلّا الحالُ، والزمانُ، والمكانُ، ويبقي للناصح علمُ الترجيح إذا تقابلت هذه الأمور، فيكون ما يُصلح الزمانَ يُفسد الحالَ أو المكانَ، وكذلك كلٌّ واحد منها؛ فينظر في الترجيح؛ فيفعل بحسب ما يترجّح عنده، وذلك على قدر إيمانه.

1 ص 53ب
2 [الأنفال : 61]
3 ص 54
4 [التوبة : 40]
5 هناك استبدال بقلم آخر فوق الكلمة لتقرأ: الوَرَى

مثالُ ذلك أن يعلم أنّ الزمان قد أعطى بحاله في أمرين، هما صالحان في حقّ شخص، وضاق الزمان عن فعلهما معًا؛ فيعدِل إلى أولاهما؛ فيشير به على المستشير. وكذلك إذا[1] عَرف مِنْ حال شخصٍ المخالفةَ واللجاج، وأنّه إذا دلّه على أمرٍ فيه مصلحته؛ يفعل بخلافه. فمن النصيحة أنّه لا ينصحه، بل يشير عليه بخلاف ذلك؛ إذا علم أنّ الأمر محصور بين أن يفعل ذلك، أو هذا الذي فيه المصلحة، وشأنه المخالفة واللجاج؛ فيشير عليه بما لا ينبغي؛ فيخالفه؛ فيفعل ما ينبغي. والأَوْلَى عندي تركُه. ولقد جرى لي مع أشخاصٍ أظهرنا لهم أنّ في فعلهم ذلك الخير الذي نريده منهم نِكايتنا، وهم يريدون نكايتنا؛ فأشرنا عليهم أن لا يفعلوا ذلك، ولهم في فعله الخير العظيم لهم؛ فلم يفعلوا، وفعلوا ما نهيتهم عنه أن يفعلوه. فهذه نصيحة خفيّة لا يَشعر بها كلُّ أحد، وهذا يسمّى علمُ السياسة؛ فإنّه يسوس بذلك النفوس الجموحة، الشاردة عن طريق مصالحها.

فلذلك قلنا: إنّ الناصح في دين الله يحتاج إلى علم كثير، وعقل، وفكر صحيح، وروِيّة حسنة، واعتدال مزاج، وتؤدة. وإن لم تكن فيه هذه الخصال؛ كان الخطأ أسرعَ إليه من الإصابة. وما في مكارم الأخلاق أدقّ، ولا أخفى، ولا أعظم من النصيحة. ولنا فيه جزء سمّيناه "كتاب النصائح" ذكرنا فيه ما لا يعوّل عليه، وما يعوّل عليه، ولكنّ[2] أكثره فيما لا يعوّل عليه مما يعوّل الناس عليه، ولكن لا يعلمون.

* * *

وصيّة: (عليك بمراعاة حالك في الزمان بين الصلاتين)

وعليك بمراعاة حالك في الزمان بين الصلاتين، وأنت لا تخلو أبدا أن تكون بين صلاتين؛ فإنّ الأمرَ دَوْرٌ. فالزمانُ الذي بين الظهر والعصر زمانٌ بين صلاتين، وكذلك بين العصر والمغرب، وبين المغرب والعشاء، وبين العشاء والصبح، وبين الصبح والظهر. ودار النّوْر، وجاء الكَوْر. وإذا خرج وقتُ صلاةٍ دخلَ وقتُ صلاة الأُخرى؛ إلّا صلاة الصبح؛ فإنّه لا يدخل وقتُ صلاة الظهر بخروج وقتِ صلاة الصبح بلا خلاف، وكذلك العتمة والصبح بخلاف. إلّا أنّه لا يدخل وقت الظهر إلّا بعد خروج وقت الصبح، لا بدّ من ذلك؛ فلا يدخل وقتُ صلاة حتى يخرج وقتُ التي قبلها. فالداخلة أبدا على أثر الخارجة.

1 ص 54ب
2 ص 55

وقد يكون بعد طلوع الشمس وقتُ أداء الصبح بوجهٍ إلى أن تزول الشمس؛ فيدخل وقت الظهر، وذلك أنّ الإنسان قد يصلّي الركعة الأُولَى من الصبح مثلا قبل طلوع الشمس، ويقول الشارع فيه: "إنّه أدرك الصبح" فتطلع[1] الشمس عليه وقد شرع في الركعة الثانية من الصبح، فلو أطالها إلى حدّ الزوال؛ لجاز، وذلك وقتُها، وهو مُؤَدٍّ لها. فما خرج وقت صلاة الصبح في حقّ هذا حتى دخل وقت الظهر، وهكذا في جميع الصلوات. فإنّ أوقات هذه الصلوات فيها خلاف بين العلماء؛ فلهذا ذكرناها تنبيها على أنّ فيها خلافا. فيجوز على هذا أن تكون صلاةٌ على أثر صلاةٍ، ولا لغو بينهما. فقد جعل أنّ بين الصلاتين زمانا لا صلاة فيه، ذلك الزمان هو زمان اللغو، أو تركه.

وإنما قلنا: زمان اللغو أو تركه للحديث الثابت: «صلاةٌ على أثر صلاةٍ لا لغو بينهما؛ كتابٌ في عِلّيّين» ويدخل في هذا الحديث صلاةُ النافلة بعد النافلة، والنافلة بعد الفريضة، والفريضة بعد النافلة، والفريضة بعد الفريضة. واللغوُ من الكلام هو الساقطُ لا دخول له في الميزان، وهو المباح. فيقول رسول الله ﷺ في الرجل يصلّي الصلاة ثمّ يتبعها بصلاة أخرى، ولم يفعل بين هاتين الصلاتين، في الزمان الذي لا يكون فيه مصلّيا، فعلا مباحا من قول وعمل؛ بل كان مشتغلا بما يدخل الميزان؛ من أمرٍ مندوب إليه؛ مِن ذِكْرٍ أو غير ذِكْر، ثمّ يصلّي الصلاة الأخرى[2]؛ فإنّ ذلك كتاب في علّيّين؛ لأنّه لم يفعل بين الصلاتين لغوا أصلا، وهذا عزيز الوقوع. فإنّ أحمدَ أحوال الناس اليوم مَن يتصرّف في المباح؛ فلا عليه ولا له، والغالبُ من أحوال الناس التصرّفُ في المكروه أو المحظور؛ فلهذا أوصيتك بمراعاة الزمان الذي بين الصلاتين. وما رأيت أحدا نبّه عليه؛ إلّا إن كان وما وصل إلينا، إلّا رسول الله ﷺ ومنه أخذنا ذلك.

* * *

وصيّة: (عليك بالصلاة المكتوبة حيث ينادى بها مع الجماعة)

وعليك بالصلاة المكتوبة حيث ينادى بها مع الجماعة؛ فإنّ المساجد ما اتّخذت إلّا لإقامة الصلاة المكتوبة فيها، وما ينادى إلّا إلى الإتيان إليها؛ فإنّ ذلك سنّة رسول الله ﷺ والمراد بذلك: الاجتماع على إقامة الدين، وأن لا نتفرّق فيه. ولهذا اختلف الناس في صلاة الفذّ المكتوبة إذا قدر على الجماعة؛ هل تجزيه، أم لا؟ ومَن ترك سنّة رسول الله ﷺ ضلّ بلا شكٍّ؛ لأنّه ﷺ ما سَنّ إلّا ما هو المهداة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ

1 ص 55ب
2 ص 56

الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1].

فحافظ على المكتوبة في[2] الجماعات، والأرض كلّها مسجد؛ فحيث ما قامت الجماعة من الأرض لما قامت إلّا في مسجد. ولهذا ينبغي لمن صلّى في جماعة في مسجد بيته أن يؤذّن لها، وإن كانت الإقامة أذانا. وإنما سمّيت إقامة؛ لقيام المصلّي إلى الصلاة عند هذا الأذان الخاص؛ ففرّق بين الأذانين بالإقامة. والأذان معناه الإعلام، وأبقوا اسم الأذان على الأوّل المعلِم بدخول الوقت. فالأذان الأوّل للإعلام بدخول الوقت، والأذان الثاني الذي هو الإقامة للإعلام بالقيام إلى الصلاة، فزاد على الأذان بقوله: "قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة".

* * *

وصيّة: (عليك بالمحافظة على صلاة الأوّابين)

وعليك بالمحافظة على صلاة الأوّابين، وهي الصلاةُ في الأوقات المغفول عنها عند العامّة، وهي ما بين الضحى إلى الزوال، وما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء الآخرة. و(على) التهجّد؛ وهو أن ينام من أوّل الليل بعد صلاة العشاء الآخرة، ثمّ يقوم إلى الصلاة، ثمّ ينام، ثمّ يقوم إلى الصلاة إلى أن يطلع الفجر. فإذا طلع الفجر؛ فاركع ركعتي الفجر، ثمّ اضطجع على شقّك الأيمن من غير نوم، ثمّ قم إلى صلاة الصبح[3].

واجعل وِتْرَك ثلاث عشرة ركعة في تهجُّدك؛ فإنّ هذا كان وِتْر رسول الله ﷺ. وأطِل الركعتين الأُولتين من التهجّد، ثمّ اللتين بعدهما أقلّ منهما في الطول، والركعة الأُولَى من كلّ ركعتين؛ على قدر الثانية من اللتين تقدّمتها، والركعة الثانية من كلّ ركعتين على النصف من الركعة الأُولَى منها، أو قريب من ذلك، إلى أن توتر بركعة واحدة؛ إن شئت أن لا تجلس إلّا في آخر ركعة مِن وتر صلاتك وهي الإحدى عشرة، وإن شئتَ جلستَ في كلّ ركعتين، ولا تسلّم إلّا في آخر ركعة مفردة. وإن شئت خمّستَ، وسبّعتَ، وتسّعتَ؛ كلّ ذلك مباح لك. ولا تثلّث من أجل التشبّه بصلاة المغرب، وقد ورد في النهي عن ذلك خبرٌ، وكذلك في الركعة الواحدة، وتسمّى البتيراء. فاجتنب مواقع الخلاف ما استطعتَ، واهرب إلى محلّ الإجماع، مع أنّه ثبت أنّه (ص) أوتر بثلاث. فإن أوترتَ بثلاث؛ فلا تجلس إلّا في آخرها

---

1 [يونس : 32]
2 ص 56ب
3 ص 57

وتسلّم، حتى تفرّق في الشّبَه بينها وبين المغرب.

وإذا قمتَ إلى الصلاة بالليل، وتوضّأتَ؛ فاركع ركعتين خفيفتين، ثمّ بعدهما اشرع في صلاة الليل كما رسمتُ لك. وعند قيامك للتهجّد امسح عينيك من النوم بيديك، ثمّ اتلُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[1] وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2] الآيات بكمالها، ثمّ قم فتوضّأ، واستفتح صلاتك بركعتين خفيفتين، ثمّ اشرع في قيام الليل على ما وصفته لك، في باب الصلاة من هذا الكتاب وأذكاره، فانظره فيه وانظر اعتباره -إن شاء الله-.

وقد ثبت أنّ صلاة الأوّابين حين ترمض الفصال، واجتنبْ الصلاة عند الاستواء، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس. وحافظ على الصلاة في جماعة فإنها تزيد على صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة. وحافظ على أربع ركعات في أوّل النهار عند الإشراق، كما قال (تعالى): ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[3] والسبحةُ صلاةُ النافلة. يقول عبد الله بن عمر، وهو عربيّ في النافلة في السفر: "لو كنت مسبّحا أتممتُ". ثمّ صلاة الضحى ثمان ركعات بعد صلاة الإشراق، ثمّ أربع ركعات قبل الظهر وبعد الزوال، ثمّ أربع ركعات بعد صلاة الظهر، ثمّ أربع ركعات قبل صلاة العصر، ثمّ ستّ ركعات بعد المغرب، ثمّ ثلاث عشرة ركعة وِترك من الليل، فيها ركعتي الفجر، وتبقى إحدى عشرة ركعة هي صلاةُ الليل. هذا لا بدّ منه؛ لمن يريد اتّباع السنّة والاقتداء. وفي رواية: «ركعتين قبل المغرب» ثمّ إن زدتَ؛ فأنت وذلك؛ فإنّ «الصلاة خيرٌ موضوع؛ فمن[4] شاء فليستقلل، ومن شاء فليستكثر»؛ فإنّه يناجي ربّه. والحديثُ مع الله، والاستكثارُ منه؛ أشرفُ الأحوال. وأمّا الوصيّة بالصدقة والصوم، فقد تقدّم في باب الزكاة، وباب الصيام، وكذلك الحجّ من هذا الكتاب.

* * *

وصيّة: (عليك بالورع)

عليك بالورع في المنطق كما تتورّع في المآكل والمشرب، والورع عبارة عن اجتناب الحرام والشبهات. وأمّا الشبهة؛ فما حاك في صدرك. ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «الإثمُ ما حاك في صدرك» قال بعض

---

1 ص 57ب
2 [آل عمران : 190]
3 [ص : 18]
4 ص 58

العلماء من أهل الله: "ما رأيتُ أسهل عليّ من الورع؛ كلّ ما حاك له في نفسي شيء تركته" وقد ورد في الخبر: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وورد أيضا: «استفتِ قلبك وإن أفتاك المفتون» يعني بالحِلّ، وتجد أنت في نفسك وقفةً في ذلك؛ فاجتنبه؛ فهو أوْلَى بك، ولا تحرّمه.

وعليك بالهَدْي الصالح، وهو هدي الأنبياء؛ وهو اتّباع آثارهم الذي أُمِرَ رسول الله ﷺ باتّباعهم في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1] وكذلك السمتُ الصالح، والاقتصادُ في أمورك كلّها؛ فإنّ النبيّ ﷺ قد ثبت عنه: «أنّ[2] الهَدْيَ الصالحَ والسمتَ الصالح والاقتصادَ جزءٌ من خمسة وعشرين جزءا من النبوّة».

وتحفّظ من العجلة إلّا في المواطن التي أمرك رسول الله ﷺ بالعجلة فيها، والمسارعة إليها؛ مثل الصلاة لأوّل ميقاتها، وإكرام الضيف، وتجهيز الميّت، والبكر إذا أدركت، بل وكلّ عمل للآخرة؛ فالمسارعة إليه أوْلَى من التؤدة فيه. واجعل التسويف والتؤدة في أمور الدنيا؛ فإنّه ما فاتك من الدنيا ما تندم عليه؛ بل تفرح بفوته، وما فاتك من أمور الآخرة؛ فإنّك تندم عليه. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «التؤدة في كلّ شيء إلّا في عمل الآخرة» وقد ذكر مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال للأشجّ؛ أشجّ عبد القيس: «إنّ فيك لخصلتين يحبّهما الله ورسوله. قال: وما هما يا رسول الله؟ قال: الحلم والأناة» أراد: الحلم عمّن جنى عليك، والأناة في أمور الدنيا وأغراض النفس.

وإن كان لك عائلة فَكُدّ عليهم؛ فإنّ «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله». وكن خيرَ الرعاة في كلّ ما استرعاك الله فيه على الإطلاق. فـ«السلطان راع، وكلّ راع مسئول عن رعيّته»؛ ما فعل فيهم: هل اتّقى الله فيهم؟ أو لم يتّق؟ «والرجلُ راع على أهل بيته، والمرأة راعية[3] على بيت زوجها وولده، والعبد راع على مال سيّده».

ولا تغفل عن الصلاة على رسول الله ﷺ إذا ذكَرْتَه أو ذُكِرَ عندك؛ تأمن من البخل؛ فإنّه ثبت عنه ﷺ أنّه قال: «البخيلُ مَن ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ» ولو لم يكن في ذلك إلّا إطلاق البخل عليك، وهو من أذَمّ الصفات وأرداها. ومعنى البخيل هنا: بُخْلُه على نفسه؛ فإنّه قد ثبت فيمن صلّى على النبيّ صلّى

---

1 [الأنعام : 90]
2 ص 58ب
3 ص 59

الله عيه وسلّم- مرّة؛ صلّى اللهُ عليه عشرا. فمن ترك الصلاة على النبيّ ﷺ فقد بخل على نفسه؛ حيث حرمها صلاة الله عليه عشرا؛ إذا صلّى هو واحدة لما زاد.

* * *

وصيّة: (لا تعقد مع الله عقدا ولا عهدا؛ ثمّ تنقضه)

اللهَ اللهَ أن تعود في شيء خرجتَ عنه لله -تعالى-، ولا تعقد مع الله عقدا ولا عهدا؛ ثمّ تنقضه بعد ذلك، وتحلّه، ولا تفي به، ولو تركته لِمَا هو خير منه؛ فإنّ ذلك من خاطر الشيطان. فافعله، وافعل الخير الآخر الذي أخطره لك الشيطانُ حتى لا تفي بالأوّل؛ فإنّ غرضه أن توصف بوصف ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾[1].

وعليك بصلة الرحم؛ فإنّها «شجنةٌ من الرحمن» وبها[2] وقع النّسبُ بيننا وبين الله. فمَن وَصَل رَحِمَهُ وَصَله اللهُ، ومَن قطع رحمه قطعه الله.

وإذا استُشِرتَ في أمر فقد أَمَّنَكَ المستشيرُ؛ فلا تَخُنْهُ. فإن كان في نكاح؛ فإن شئت أن تذكر ما تعرفه فيمن سئلتَ عنه مما يكرهه لو سمعه؛ فإنّ ذلك الذِّكْر ليس بغيبة يتعلّق بها ذمّ. فإن كنت من أهل الورع الأشدّاء فيه، ويحوك في نفسك شيء من هذا الذكر؛ فلا تذكر ما تعرف فيه من القبيح، وقل كلاما مجملا، مثل أن تقول: "ما تصلح لكم مصاهرته" من غير تعيين، ويكفي هذا القدر من الكلام. فإن كنت تعلم من قرائن الأحوال أنّ هذا الأمر الذي تذمّه به في نظرك، لا يقدح عند القوم الذين يطلبون نكاحه؛ فما خنتَهم إذا لم تذكر له ما يقبح عندك؛ فإنّه ليس بقبيح عِندهم، وهم مقدِمون عليه، وهذا موقوف على معرفة أحوال الناس. ومثل هذا الكلام في الأسانيد في حديث رسول الله ﷺ؛ كان أحمد بن حنبل يقول ليحيى بن معين: "تعال نَغْتَبْ في الله"، والمستشار مؤتمن.

وإيّاك والأكل والشرب في أواني الذهب والفضة، وإيّاك والجلوسَ على مائدة يُدار عليها الخمر، ولا (أيّ) حرام أصلا. واجتنب لباس الحرير والذهب إن كنت رجلا، وهو حلال للمرأة.

وإذا رأيت رؤيا[3] تحزنك، واستيقظتَ؛ فاتفل عن يسارك ثلاث مرّات، وقل: "أعوذ بالله من شرّ ما

---

1 [البقرة : 27]
2 ص 59ب
3 ص 60

رأيت" وتحوّل عن جنبك الذي كنت عليه في حال رؤياك، إلى الجنب الآخر، ولا تحدّث بما رأيت؛ فإنّه لا تضرّك؛ لحافظ على مثل هذا ترَ برهانَه. فإنّ كثيرا من الناس، وإن استعاذوا، يتحدّثون بما رأوه، وقد ورد أنّ «الرؤيا معلّقة برجل طائر؛ فإذا قالها (صاحبها) سقطت لَمّا قيلت[1] له».

وعليك باستعمال الطِّيب؛ فإنّه سنّة. واستعمل منه إن كنت ذكَرا ما ظهر ريحه، وخفي لونه، وإن كنت امرأة؛ فاستعمل منه ما ظهر لونه، وخفي ريحه؛ فإنّ الحديث النبوي بهذا ورد. وعليك بالسّواك لكلّ صلاة، وعند كلّ وضوء، وعند دخولك إلى بيتك؛ فـ«إنّه مَطْهَرة للفم، ومرضاة للربّ». وقد ورد: «إنّ صلاةً بِسِوَاك تفضلُ سبعين صلاة بغير سِواك» ذكره ابن زنجويه في كتاب "الترغيب في فضائل الأعمال".

وإيّاك واليمين الغموس؛ فإنّها تغمس صاحبها في الإثم؛ فإنّ الناس اختلفوا في كفّارتها؛ فمنهم من ألحقها في الكفّارة بالأيمان، ومنهم من قال: إنّها لا كفّارة فيها، وهي اليمين التي تقطع بها حقّا للغير وجبَ عليك. وفي هذا فقهٌ عجيب دقيق لمن نظر وتفقّه في وجوب الحقّ؛ متى يكون؟ وبأيّ صفة يكون؟ وما منعني أن أبيّنه للناس إلّا سدّ الذريعة، حتى[2] لا يتأوّل فيه الجاهل، فيجاوز القدر الذي نذكره؛ فيقع في الإثم وهو لا يشعر، فإنّ الفقهاء أغفلوا هذا الوجه الذي أومأنا إليه، وما ذكروه.

وإيّاك والمِراء في القرآن؛ فإنّه كفْرٌ بنصّ الحديث؛ وهو الخوض فيه بأنّه محدَث أو قديم، أو هل هذا المكتوب في المصاحف، والمتلوّ المتلفَّظُ به؛ عينُ كلام الله؟ أو ما هو عين كلام الله؟ فالكلام في مثل هذا، والخوض فيه؛ هو الخوض في آيات الله، وهذا هو المِراءُ والجدالُ في القرآن، الداخل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[3] فسمّاه حديثا، وليس إلّا القرآن. فلو أراد آيات غير القرآن؛ لقال فيها بضمير الآية أو الآيات، فليس للذكوريّة هنا دخولٌ إلّا إذا أراد آيات القرآن، والقرآنُ خبرُ الله، والخبرُ عينُ الحديث، وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾[4] و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[5] والذِّكْرُ (هو) الحديثُ.

---

1 ق: قبلت
2 ص 60ب
3 [الأنعام : 68]
4 [الأنبياء : 2]
5 [الحجر : 9]

وصيّة: (اكظم التثاؤب)

اكظم التثاؤب ما استطعت؛ فإنّه من الشيطان، وإيّاك أن تصوّت فيه؛ فإنّ ذلك صوت الشيطان. والعُطاس في الصلاة من الشيطان أيضا، وفي غير الصلاة العطاسُ ليس من الشيطان. وإيّاك والطَّرْقَ؛ وهو الضرب بالحَصَى، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ[1] ما تَدْرِي الضَّوارِبُ بالحَصَى ... وَلا زَاجِراتِ الطَّيْرِ ما اللهُ صانِعُ

وكذلك العيافةُ والطّيرة، وعليك بالفأل، والطِّيَرَة شِرْكٌ. وإيّاك والبصاق في المسجد؛ فإن غفلتَ؛ فادفنها فذلك كفّارَتُها. وإيّاك أن تستقبل القِبلة ببصاقك ولا بِخَلائِكَ، ولا تستدبرها أيضا ببول ولا غائط؛ فإنّ ذلك من آداب النبوّة. وإذا أردتَ أن تأكل فاغسل يديك قبل الأكل وبعده، وزد المضمضة منه في الغسل بعده.

وعليك بالإحسان إذا مَلَكَتْ يمينُك؛ من جارية وغلام، ولا تكلّفهما فوق طاقتهما، وإن كلّفتهما؛ فأَعِنْهُما؛ فإنّهما من إخوانكم، وإنما الله مَلّككم رقابَهم، الكلُّ بنو آدم؛ فهم إخوتنا؛ فَرَاعِ اللهَ فيهم، واعلم أنّك مسئول عنهم يوم القيامة.

وإذا عاقبتَ أحدَهم على جناية؛ فاعلم أنّ الله يوم القيامة يوقِفُ العبدَ وسيِّدَهُ بين يديه، ويحاسبه على جنايته، وعلى عقوبته على ذلك؛ فإن خرجتَ رأسًا برأسٍ كان، وإن كانت العقوبةُ أكثرَ من الجناية؛ اقتُصّ للعبد من السيّد. فتحفّظ، ولا تزد في العقوبة على ثلاثة أسواط؛ فإن كثُرتَ فإلى عشرة، ولا تزد إلّا في إقامة حدٍّ من حدود الله؛ فذلك حدُّ الله لا تتعدّاه. وإن عفوت عن العبد في جنايته؛ فهو أَوْلَى بك، وأحوط لك.

وإذا جئتَ إلى بيت قوم؛ فاستأذِن ثلاث مرّات[2]؛ فإن أُذِن لك، وإلّا فارجع. ولا تنظر في بيت أخيك من حيث لا يَعرف بك؛ فإنّك إذا نظرتَ فقد دخلتَ، وإنما جُعل الإذن من أجل البصر. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾[3] وقال: ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ

---

1 ص 61

2 ص 61ب

3 [النور : 27]

لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾[1] وثبت في الحديث: «الاستئذانُ ثلاث؛ فإن أُذِن لك، وإلّا فارجع».

وإيّاك أن تتّخذ الجرَس في عنق دابّتك؛ فإنّ الملائكة تنفر منه، وقد ورد بذلك الحديث النبويّ. وكان بمكة رجلٌ من أهل الكشف يقال له: ابن الأسعد، من أصحاب الشيخ أبي مدين، صحبه ببجاية، فكان يوما بالطواف، وهو يشاهد الملائكة تطوف مع الناس، فنظر إليهم وإذا بهم قد تركوا الطواف، وخرجوا من المسجد سراعا! فلم يدر ما سبب ذلك، حتى بقيت الكعبة ما عندها مَلَك! وإذا بالجِمال؛ بالأجراس في أعناقها قد دخلت المسجدَ بالروايا تسقي الناس، فلمّا خرجوا؛ رجعت الملائكة. وقد ثبت أنّ الجرَس مزاميرُ الشيطان.

والذي أوصيك به أن تحافظ على أن تشتري نفسك من الله بعتقِ رقبتك من النار؛ بأن تقول: "لا إله إلّا الله" سبعين ألف مرّة؛ فإنّ الله يعتق رقبتك بها من النار، أو رقبةَ مَن تقولها عنه من الناس. ورد في ذلك خبرٌ نبويّ. ولقد أخبرني أبو العباس أحمد بن علي بن ميمون بن آب التوزري[2]، عُرِف بالقسطلاني بمصر، قال في هذا الأمر: إنّ الشيخ أبا الربيع الكفيف المالقي كان على مائدة طعام، وكان قد ذكَر هذا الذِّكر، وما وهبه لأحد، وكان معهم على المائدة شابٌّ صغيرٌ من أهل الكشف من الصالحين. فعندما مدّ يده إلى الطعام؛ بكى. فقال له الحاضرون: ما شأنك تبكي؟ فقال: هذه جهنّم أراها، وأرى أُمّي فيها. وامتنع من الطعام، فأخذ في البكاء. قال الشيخ أبو الربيع: فقلت في نفسي: "اللهمّ إنك تعلم أنّي قد هلّلتُ بهذه السبعين ألفا، وقد جعلتُها عِتْقَ أمّ هذا الصبيّ من النار" هذا كلّه في نفسي. فقال الصبيّ: الحمد لله؛ أرى أُمّي قد خرجت من النار، وما أدري ما سبب خروجها. وجعل الصبيُّ يبتهج سرورا، وأكل مع الجماعة. قال أبو الربيع: فصحّ عندي هذا الخبرُ النبويُّ بكشفِ هذا الصبيّ، وصحّ عندي كشفُ هذا الصبيّ بالخبر.

وقد عملتُ أنا على هذا الحديث، ورأيت له بركة في زوجتي لمّا ماتت.

وعليك بإصلاح ذات البَين؛ وهو الفراق؛ فإنّ الإصلاحَ بين الناس؛ من الخير المعيّن في الكتاب. وإذا كان الله قد رغّبَ، بل أمَر المسلمين إذا جنح الكفّارُ إلى السَّلْم أن يجنحوا لها؛ فأحرى الصلح بين المتهاجرين من المسلمين. وإيّاك وإفساد ذات البَين؛ فإنّها الحالقة» والبَيْنُ هنا هو الوصلُ، ومعنى قول

1 [النور : 28]
2 ص 62

النبيّ ﷺ: «الحالقة» أنّها تحلق الحسنات[1] كما يحلق الحلّاق الشعر من الرأس. قال الله تعالى-: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾[2] -بالرفع- يعني الوصل. والبَيْنُ في اللسان من الأضداد؛ كالجون.

يا وليّ؛ أطعِمْ عبدَك مما تأكل، واكسِهِ مما تلبس، وراعِ قدرَه، وانظر فيما ثبتَ فيهم من رسول الله ﷺ بقوله: «إخوانكم خَوَلُكُم؛ جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يده؛ فليُطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبَس». واغتنم صحّة البدن، والفراغ من شغل الدنيا، واستعِن بهاتين النعمتين، اللتين أنعم الله عليك بهما، على طاعة الله؛ فإنّه ما أَصَحَّ بدنَك، ولا فرّغك من هموم الدنيا؛ إلّا لطاعته، والقيام بحدوده؛ وإلّا كانت الحجّة عليك لله؛ فاحذر أن يكون اللهُ خصمَك.

ولتقل في كلّ يوم، عند كلّ صباح، مائة مرّة: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» فإنّ هذا الذّكر لا يُبقي عليك ذنبا.

* * *

وصيّة: (عليك بحفظ جوارحك)

عليك بحفظ جوارحك؛ فإنّه مَن أرسل جوارحَه أتعبَ قلبَه. وذلك أنّ الإنسان لا يزال في راحة؛ حتى يرسل جوارحه. فربما نظر إلى صورة حسنة تعلّق قلبُه بها، ويكون صاحب تلك الصورة من المنعةِ بحيث لا يقدرُ هذا الناظرُ على الوصول إليها؛ فلا يزال في تعبٍ من[3] حُبِّها: يسهرُ الليلَ، ولا يهنأ له عيش. هذا إذا كان حلالا؛ فكيف به إن كان أرسله فيما لا يحلّ له النظر إليه؟ فلهذا أمرنا بتقييد الجوارح؛ فإنّ زِنَى العيون النظرُ، وزنى اللسان النطقُ بما حرّم عليه، وزنى الأذن الاستماعُ إلى ما حجر عليه، وزنى اليد البطشُ، وزنى الرِّجل السعيُ. وكلُّ جارحةٍ تصرّفتْ فيما حرّم عليها التصرّف فيه؛ فذلك التصرّفُ منها على هذا الوجه الحرام هو زِناها.

فاللسانُ؛ يقول بعضهم: هو الذي أوردني الموارد المهلكة. وقال ﷺ: «وهل يُكِبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلّا حصائدُ ألسنتهم» قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4] يعني بها. فتقول اليد: بطش بي في كذا، يعني في غير حقّ فيما حرّم عليه البطش فيه. وتقول

---

1 ص 62ب
2 [الأنعام : 94]
3 ص 63
4 [النور : 24]

الرِّجلُ كذلك، واللسانُ، والبصرُ، وجميعُ الجوارح كذلك ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[1]. خرّج مسلم عن محمد بن أبي عمر، عن سفيان، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ لا تُضارّون في رؤية ربّكم؛ فيلقى العبد فيقول: أي فل؛ ألم أُكرمك، وأسوّدك، وأزوّجك، وأسخّر لك الخيل والإبل[2]، وأَذَرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا ربّ؛ فيقول: أفظننتَ أنّك ملاقيّ؟ فيقول: آمنتُ بك، وبكتابك، وبرسلك، وصلّيت، وصمت، وتصدّقت، ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ها هنا إذَنْ. قال: ثُمّ يقال له: الآن نبعثُ شاهدا عليك! ويتفكّر في نفسه: من ذا الذي يشهد عليّ؟ فيُختم على فيه، ويقال لفخذه: أنطقي. فتنطِقُ فَخذُهُ، ولحمه، وعظامه، بعمله؛ وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي سخط الله عليه».

وقد ورد في الحديث الثابت في أمر الدنيا: «إنّ الساعة لا تقوم[3] حتى تكلّمَ الرجلَ فَخذُهُ[4] بما فعل أهلُه وعذبَةُ سوطه»، وقد قيل في التفسير: إنّ الميّتَ الذي أحياه الله في بني إسرائيل في حديث البقرة في قوله: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[5] قال: ضُرِب بفخذها وإنّ الله ما عيّن ذلك البعض، فاتّفق أن ضربوه بالفخذ. فاحذر -يا أخي- يوما تشهد فيه عليك الجلود والجوارح، وأنصف من نفسك، وعامل جوارحك بما تشكرك به عند الله.

ولقد رأينا ذلك عيانًا في الدنيا في زمان الأحوال التي كنّا فيها، أعني نُطق الجوارح إذا أراد العبدُ أن يصرفها فيما لا يجوز شرعا، تقول له الجارحة: "يا هذا؛ لا تفعل، لا تجبرني على فعل ما حجر عليك فعله؛ فإنّي شهيد عليك يوم القيامة. فاجعلني شاهدا لك، لا عليك، واصحبني بالمعروف" وهو في غفلة لا يسمع. فإذا وقع منه الفعل، تقول الجارحة: "يا ربّ؛ قد[6] نهيتُه كما نهيتَه، فلم يسمع، اللهم إنّي أبرأ إليك مما وصل إليه من مخالفته بي" وعلى كلّ حال فإرسال الجوارح يؤدّي إلى تعب القلب؛ فإنّ الله خلقك لك، واصطفى منك لنفسه قلبَك، وذكر أنّه يسعه إذا كان مؤمنا تقيّا ذا ورع.

---

1 [الإسراء : 36]
2 ص 63ب
3 ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
4 ثابتة في الهامش بقلم آخر مع إشارة التصويب
5 [البقرة : 73]
6 ص 64

فإذا شغلته بما تصرّفتْ فيه جوارحُك؛ كنتَ ممن غصب الحقّ فيما ذكر أنّه له منك، وأيّ ظلم أعظم من ظلم الحقّ؟ فلا تجعل الحقّ خصمَك؛ فإنّ لله الحجّة البالغة، كما ذكر عن نفسه بكلّ وجهٍ[1]. وقد أشهدني الله حجّته على خلقه؛ كيف تقوم؛ وذلك في أنّ العلم يتبع المعلوم إن فهمتَ؛ فأكثر من هذا التصريح ما يكون.

* * *

وصيّة: (عليك بالأذان لكلّ صلاة)

وعليك بالأذان لكلّ صلاة، أو تقول ما يقول المؤذّن إذا أذّن. وإذا أذّنت فارفع صوتك؛ فإنّ المؤذّن يشهد له يوم القيامة مدى صوته من رطب ويابس، ولو علم الإنسان ما له في الأذان؛ ما تركه. قال ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأوّل ثُمّ لم يجدوا إلّا أن يستَهِموا عليه لاستهَموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا». فإن لم يؤذّن، وسمع الأذان؛ فليقل مثل ما يقول المؤذّن سَواء، وإن قال ذلك عند كلّ كلمة، إذا فرغ المؤذّن منها؛ قالها هذا السامع بحضور[2] وخشوع.

ولقد أذّنتُ يوما، فكلّما ذكرت كلمة من الأذان كشفَ الله عن بصري، فرأيت ما لها مَدَّ البصر من الخير. فعاينتُ خيرا عظيما لو رآه الناس العقلاء لذهلوا لكلّ كلمة، وقيل لي: "هذا الذي رأيتَ ثوابُ الأذان" وإنما ارتضينا ووصّينا أن يقول السامعُ مثل ما يقول المؤذّن عند فراغ كلّ كلمة، لِمَا رويناه من حديث الترمذي عن ابن وكيع، عن إسماعيل بن محمد بن جحادة يبلغ به النبيّ ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن قال: لا إله إلّا الله والله أكبر؛ صدّقه ربُّه، وقال: لا إله إلّا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلّا الله وحده، يقول الله: لا إله إلّا أنا، وأنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، قال الله: لا إله إلّا أنا وحدي، لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلّا الله له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلّا أنا لي المُلك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلّا الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، قال الله: لا إله إلّا أنا، ولا حول ولا قوّة إلّا بي» قال: وكان يقول: «مَن قالها في مرضه لم تطعمه النار».

ويكفي العاقلَ في الأمر بالأذان أمرُ النبيّ ﷺ: «مَن سمع المؤذّن يؤذّن أن يقول مثل قوله، فهو أذان»

1 لم ترد في ق، وأثبتناها من هـ، س
2 ص 64ب

لما رغّبه فيه إلّا وله أجره فإنّه مُعلِم لذلك نفسَه، وذاكِرٌ ربَّه بصورة الأذان؛ لما أمره إلّا بما له فيه خير كثير. وليؤذّن[1] على أكمل الروايات، وأكثرها ذِكرا؛ فإنّ الأجر يكثر بكثرة الذّكر. قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[2] وقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[3] وقد ورد أنّ الإنسان إذا كان بأرض فلاة، فدخل الوقت وليس معه أحد، قام فأذّن؛ فإذا أذّن صلّى خلفَه من الملائكة كأمثال الجبال، ومَن كانت جماعته مثل أولئك يؤمّنون على دعائه؛ كيف يشقى؟! وإنما وصّينا بمثل هذا لغفلة الناس عن مثله.

فالعاقل مَن لا يغفل عن فعل ما له فيه الخير الباقي عند الله ﷻ؛ فإنّ ذلك من رحمتك بنفسك. فإنّ اللهَ جعل رحمَتك بنفسك أعظمَ من رحمتك بغيرك، كما جعل أذاك نفسَك أعظمَ في الوزر مِن أذاك غيرَك. قال (ص) في قاتل الغير إذا لم يُقتل به: «أمرُه إلى الله؛ إن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذه» وقال في القاتل نفسَه: «حرّمت عليه الجنّة» وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن» فمَن رَحِم نفسَه؛ يسلكُ بها سبل هداها، ويحول بينها وبين هواها؛ فرحمه الله رحمةً خاصّةً خارجةً عن الحدّ والمقدار؛ فإنّه رَحِم أقربَ جار إليه؛ وهي نفسُه، ورحم صورةً خلقها الله على صورته؛ فجمع بين الحسنيين: مراعاة قرب الجوار، ومراعاة الصورة.

وأيُّ جار سِوَى نفسِه[4]، فهو أبعد منها، ولذلك أُمِر الداعي إذا دعا أن يبدأ بنفسه أوّلا؛ مراعاة لحقّها. والسرُّ الآخر أنّ الداعي لغيره يحصل في نفسه افتقارُ غيرِه إليه، ويذهل عن افتقاره؛ فربما يدخله زَهْوٌ وعُجب بنفسه لذاك، وهو داء عظيم؛ فأمره رسول الله ﷺ أن يبدأ لنفسه بالدعاء؛ فتحصل له صفة الافتقار في حقّ نفسه؛ فتزيل عنه صفةُ الافتقارِ صفةَ العُجبِ والمنّةِ على الغير، وفي أثر ذلك يدعو للغير على افتقار وطهارة. فلهذا ينبغي للعبد أن يبدأ بنفسه في الدعاء، ثمّ يدعو لغيره؛ فإنّه أقرب إلى الإجابة؛ لأنّه أخلص في الاضطرار والعبوديّة، ومثلُ هذا النظر مغفولٌ عنه. لا أحدَ أعظمُ من الوالدين، وأكبرُ بعد الرسل حقّا منهما على المؤمن، ومع هذا أُمِر الداعي أن يقدّم في الدعاء نفسَه على والديه، فقال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[5] وقال الخليلُ إبراهيم عليه السلام في دعائه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾[6] فقدّم نفسه ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[1] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

1 ص 65
2 [الأحزاب : 35]
3 [الأحزاب : 41]
4 ص 65ب
5 [نوح : 28]
6 [إبراهيم : 35]

وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[2] فبدأ بنفسه وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[3].

وإنما أوصيتُك بالأذانِ لِمَا[4] فيه عند الله يوم القيامة؛ فإنّ «المؤذّنين أطولُ الناس أعناقا في ذلك اليوم»، يقول: تمتدّ أعناقهم دون الناس؛ لينظروا ما أثابهم الله به، وما أعطاهم من الجزاء على أذانهم، هذا إن كان من الطُّول. فإن كان من الطَّوْل، الذي هو الفضل، والعُنُقُ الجماعةُ؛ فهم أفضل الناس جماعة. ومَن رواه بكسر الهمزة؛ فهو أفضلهم سيرا؛ لما يرونه من الخير الذي لهم على الأذان؛ فإنّ المؤذّن يحافظ على الأوقات؛ فهو يسرع إلى الإعلام بدخول وقت الصلاة؛ فإنّه مُراعٍ ذلك.

* * *

وصيّة: (إن كنت واليا فاقض بالحقّ بين الناس)

وإن كنت واليا فاقض بالحقّ بين الناس ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وسبيل الله هو ما شرعه لعباده في كتبه وعلى ألسنة رسله. فـ﴿الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[5] يعني به، والله أعلم، يوم الدنيا؛ حيث لم يحاسِبوا نفوسَهم فيه؛ فإنّ النِّسيانَ التركُ. يقول رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا». ولقد أشهدني الله في هذا مشهدا عظيما، بأشبيلية سنة ست وثمانين وخمسمائة.

ويوم الدنيا -أيضا- هو يوم الدين، أي يوم الجزاء؛ لما فيه من إقامة الحدود ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا[6] لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[7] وهذا عين الجزاء، وهو أحسن في حقّ العبد المذنِب من جزاء الآخرة؛ لأنّ جزاء الدنيا مذكِّر، وهو يوم عمل، والآخرة ليست كذلك، ولهذا قال في الدنيا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يعني إلى الله بالتوبة. فيوم الجزاء أيضا يومُ الدنيا، كما هو يوم الآخرة، وهو في يوم الدنيا أنفع. فاقْضِ بالحقّ؛ فإنّ الله قد قضى في الدنيا بالحقّ بما شرعه لعباده، وفي الآخرة بما قال؛ فإنّ «القضاة في الدنيا ثلاثة[8]: واحد في الجنّة، واثنان في النار».

---

1 [إبراهيم : 40]
2 [إبراهيم : 41]
3 [الأنعام : 90]
4 ص 66
5 [ص : 26]
6 ص 66ب
7 [الروم : 41]
8 رسمها في ق: ثلاث

والذي أوصيك به إذا فتح الله عينَ بصيرتك، ورزَقك الرجوع إليه المسمّى: توبة؛ فانظر لأيِّ حالة أنت عليها من الخير لا تزُل عنها: إن كنت واليا؛ أثبت على ولايتك، وإن كنت عَزَبا؛ أثبت على ذلك، وإن كنت ذا زوجة؛ فلا تطلّق، واثبت على ذلك مع أهلك، واشرع في العمل بتقوى الله في الحالة (التي) أنت عليها من الخير، كانت ما كانت. فإنّ لله في كلّ حالٍ بابُ قربةٍ إليه -تعالى- فاقرع ذلك الباب يُفتح لك، ولا تحرِم نفسَك خيرَه. وأقلُّ الأحوال أنّك في الحال التي كنت عليها في زمان مخالفتك؛ إذا ثبتٌّ عليها عند توبتك؛ تَحمدك تلك الحالة. فإن فارقتها؛ كانت عليك، لا لك؛ فإنّها ما رأت منك خيرا. وهذا معنى دقيقٌ لطيفٌ لا ينتبه له كلُّ أحد -فإنّها[1] لا تشهد لك إلّا بما رأته منك. فإذا رأتْ منك خيرا شهدتْ لك به- ويفوتك ما ذكرته لك من نَيْل ما فيها من الخير المشروع، وأعني بذلك كلَّ حال أنت عليها من المباحات؛ فإنّ توبتَك إنما كان رجوعك عن المخالفات.

وإيّاك أن تتحرّك بحركة إلّا وأنت تنوي فيها قربةً إلى الله. حتى المباح -إذا كنت في أمر مباح- فانْوِ فيه القربة إلى الله، من حيث إيمانك به أنّه مباح، ولذلك أتيته؛ فتؤجر فيه ولا بدّ. حتى المعصية إذا أتيتَها؛ إنْوِ المعصية فيها؛ فتؤجر على الإيمان بها أنّها معصية. ولذلك لا تخلص معصية لمؤمن أبدا، من غير أن يخالطها عملٌ صالح؛ وهو الإيمان بكونها معصية، وهم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[2] فهذا معنى المخالطة. فالعملُ الصالح هنا الإيمانُ بالعمل الآخر السيّئ؛ أنّه سيّء. و"عسى" من الله واجبةٌ؛ فيرجع عليهم بالرحمة؛ فيغفر لهم تلك المعصية بالإيمان الذي خلطها به[3]. فمتعلّقُ "عسى" هنا رجوعُه -سبحانه- عليهم بالرحمة، لا رجوعهم إليه؛ فإنّه ما ذكر لهم توبة. كما قال في موضع آخر: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[4] وهنا جاء بحكم آخر ما فيه ذكر توبتهم، بل فيه توبة الله -تعالى- عليهم.

والذي أوصيك به؛ أنّك لا تنقل مجلسا، ولا[5] تُبلغ ذا سلطان حديثا إلّا خيرا. خرّج الترمذي حديثا عن حذيفة أو غيره -أنا الشاكّ- أنّ رجلا مرّ عليه، فقيل له عنه: إنّ هذا يبلّغ الأمراء الحديثَ. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنّة قتّات» قال أبو عيسى: والقتّاتُ (هو) النمّامُ. وإذا حدّثك

---

1 ص 67
2 [التوبة : 102]
3 ق: بها
4 [التوبة : 118]
5 ص 67ب

إنسان، وتراه يلتفت يمينا وشمالا؛ يحذر أن يسمع حديثه أحدٌ؛ فاعلم أنّ ذلك الحديث أمانةٌ أودعك إيّاه؛ فاحذر أن تخونه في أمانته بأن تحدّث بذلك عند أحد؛ فتكون ممن أدّى الأمانة إلى غير أهلها؛ فتكون من الظالمين، وقد ثبت أنّ «المجالس بالأمانة». وأمّا وصيّتي لك أن لا تبلغ ذا سلطان حديثا بشرّ؛ فإنّ ذلك نميمة، قال -تعالى- في ذمّه: ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[1].

* * *

ومن الوصايا: (الحذر من الطعن في الأنساب)

الحذر من الطعن في الأنساب؛ فلا تَحُلْ بين شخص وبين أبيه صاحب الفراش؛ فإنّ ذلك كفرٌ بنصّ الشارع فيه.

وعليك بمراعاة الأوقات في الدعاء؛ مثل الدعاء عند الأذان، وعند الحرب، وعند افتتاح الصلاة؛ فإنّ المطلوب من الدعاء إنما هو الإجابة فيما وقع السؤال فيه من الله، وأسباب القبول كثيرة، وتنحصر في الزمان، والمكان، والحال، ونفس الكلمة[2] التي تذكر الله بها من الذِّكر حين تدعوه في مسألته. فإنّه إذا اقترن واحد من هذه الأربعة بالدعاء؛ أجيب الدعاء. وأقوى هذه الأربعة الاسمُ، ثمّ الحال.

وعليك بمراعاة حقّ الله وحقّ الخلق إن توجّه لهم عليك حقٌّ؛ فإنّ الله يؤتيك أجرك مرّتين: من حيث ما أدّيته من حقّه، ومن حيث ما أدّيت مِن حقّ مَن تعيّن عليك له حقٌّ من خلق الله. وإن كانت لك جارية، فأدّبتها وأحسنتَ أدبها؛ فإنّ لك في ذلك أجرا عظيما. ثمّ إن أعتقتها؛ فلك في العتق الأجرُ العظيمُ العامُّ لذاتك. فإن تزوّجتَ بها؛ فلك أجرٌ آخرُ أعظمُ من أنّك لو تزوّجت بغيرها. فإذا رأيت غازيا فأَعِنهُ بطائفة من مالك، وكذلك المكاتب، وكذلك الناكح يريد بنكاحه عصمةَ دينه والعفاف. فإنّك إذا فعلت ذلك، وأَعَنْتَهُم؛ فإنّك نائبُ الله في عونهم؛ فإنّ عونَ هؤلاء حقٌّ على الله بنصّ الخبر.

فمن أعانهم؛ فقد أدّى عن الله ما أوجبه الله على نفسه لهم؛ فيكون اللهُ يتولّى كرامتَه بنفسه. فما دام المجاهِد في سبيل الله مجاهدا بما أعنته عليه؛ فإنّك شريكه في الأجر، ولا ينقصه شيء. وكذلك إعانةُ الناكح؛ حتى إنّه لو وُلِد له ولد، فكان صالحا؛ فإنّ لك في ولده وفي عَقِبه أجرا وافرا، تجده يوم القيامة

---

1 [القلم : 11]
2 ص 68

عند الله، وهو أعظم من المكاتب والمجاهد. فإنّ النكاحَ أفضلُ نوافل الخيرات، وأقربُه[1] نِسبةً إلى الفضل الإلهيّ في إيجاده العالَم، ويَعظم الأجر بعظم النَّسب.

واعلم أنّ الإنسانَ مجبولٌ على الفاقة والحاجة؛ فهو مجبول على السؤال. فإن رزَقك اللهُ يقينا؛ فلا تسأل إلّا الله -تعالى- في طلب نفعٍ يعودُ عليك، أو دفع ضرر نزل بك. فإذا سألك أحدٌ بالله، لا بقرابة، ولا بشيء غير الله ﷻ فأعطه مسألته بحيث لا يعلم بذلك أحدٌ إلّا هو خاصّة، ولا بدّ لك في مثل هذه الأُعطية أن يَعرفها؛ فإنّه ينجبر في نفسه ما انكسر منها عند سؤاله. فإذا لم يعلم أنّ سؤاله نفع؛ انكسرَ؛ فلا بدّ أن تجيبه إلى مسألته على علم منه. فإن علمت بحاله من غير سؤال منه؛ فمثل هذا تعمّل أن تعطيه مسألته بالحال، من غير أن يعلم أنّك أعطيته؛ فإنّه يخجل بلا شكّ، ولا سيما إن كان من أهل المروءات والبيوت، وممن لم تتقدّم له عادة بذلك. وفرّق بين الحالتين؛ فإنّ الفرق بينهما دقيق. فإنّ السائل الأوّل يخجل إذا لم يعلم أنّك أعطيته، والثاني يخجل إذا علم أنّك أعطيته، والمقصودُ رفعُ الخجل عن صاحب الفاقة.

وعليك بذِكْر الله بين الغافلين عن الله، بحيث لا يعلمون بك؛ فتلك خلوة العارف بربّه، وهو كالمصلّي بين النائمين.

وإيّاك ومنع فضل الماء من ذي الحاجة إليه، واحذر من المنّ في العطاء؛ فإنّ المنّ في العطاء يؤذِن بجهل[2] المعطي من وجوهٍ، منها: رؤيته نفسَه بأنّه رَبُّ النعمة التي أعطى، والنعمة إنما هي لله خلقا وإيجادا. والثاني نسيانُه منّةَ الله عليه فيما أعطاه ومَلّكه مِن نِعمة، وأحوجَ هذا الآخر لما في يده. والثالث نسيانه أنّ الصدقة التي أعطاها إنما تقع بيد الرحمن. والآخر؛ ما يعود عليه[3] من الخير في ذلك. فلنفسه أحسن، ولنفسه سعى؛ فكيف له بالمنّة على ذلك الآخر أنّه ما أوصل إليه إلّا ما هو له؟ إذ لو كان رِزْقه؛ ما أوصله إليه؛ فهو مؤدّ أمانة من حيث لا يشعر. فجهْلُه بهذه الأمور كلّها جعله يمتنّ بالعطاء على مَن أوصل إليه راحة، وأبطل عملَه، فإنّ الله يقول: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[4] وقال الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ

1 ص 68ب
2 ص 69
3 ق: "عليك" وفوقها إشارة وفي الهامش بقلم الأصل: "عليه"
4 [البقرة : 264]

أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وإيّاك أن تتقدّم قوما في الصلاة إماما، وهم يكرهون تَقَدُّمَك عليهم في صلاة وفي غيرها. غير أنّ هنا دقيقة؛ وهي أن تنظر ما يكرهون منك؛ فإن كرهوا منك ما كره الشرعُ منك؛ فهو ذاك، وإن كرهوا منك ما أحبّه الشرع منك؛ فلا تُبالِ بكراهتهم. فإنّهم إذا كرهوا ما أحبَّ الشرعُ؛ فليسوا بمؤمنين، وإذا لم يكونوا مؤمنين؛ فلا مراعاة لهم؛ ولتتقدّم، شاءوا أم أبوا. فمن ذلك الصلاة: إذا كنتَ أقرأَ القوم؛ فأنت أحقّ بالإمامة بهم[2]، أو ذا سلطان؛ فإنّ الله قدّمك عليهم. ومع هذا فينبغي للناصح نفسَه أن لا يتّصفَ بصفة يُكْره منها تقدّمه في أمر دينيّ، وليَسْعَ في إزالة تلك الصفة عن نفسه ما استطاع. وحافِظ على الصلاة لأوّل ميقاتها، ولا تؤخّرها حتى يخرج وقتها.

وإيّاك أن تتعبّد حُرًّا وتسترقّه بشبهة، ولا ترى أنّ لك فضلا على أحد فإنّ الفضل لله ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3] وتعبُّد الحرّ على نوعين: إمّا أن تأخذ مَن هو حُرُّ الأصل فتبيعه، وإمّا أن تُعتق عبدا ولا تمكّنه من نفسه، وتتصرّف فيه وتصرّفه تَصَرُّف السيّد لعبده، وليس لك ذلك إلّا بإذنه أو إجارته. فإنّي رأيت كثيرا من الناس مَن يعتق المملوك، ولا يمكّنه من كتاب عتقه، ويستعبده مع حريّته. والسيّد إذا أعتق عبدَه؛ ما له عليه حكمٌ إلّا الولاء. فإذا أعتقتَ عبدا؛ فلا تستخدمه إلّا كما تستخدم الحرّ: إمّا برضاه، وإمّا بالإجارة، كالحرّ سواء؛ فإنّه حُرٌّ. ثبت عن رسول الله ﷺ الوعيد الشديد فيمن تعبّد مُحرَّرَهُ، وفيمن اعتَبَد حُرًّا، وفيمن باع حرّا؛ فأكل ثمنَه. والذي أوصيك به إذا استأجرتَ أجيرا، واستوفيتَ منه؛ فأعطه حقّه، ولا تؤخّره.

* * *

وصيّة: (إذا كنت جُنُبًا ولم تغتسل؛ فتوضّأ أو تيمّم)

إذا[4] كنت جُنُبًا ولم تغتسل؛ فتوضّأ إن كان لك ماء، وإلّا فتيمّم. وإذا أردتَ أن تعاود؛ فتوضّأ بينهما وضوءًا، وإذا أردتَ أن تنام وأنت جنبٌ؛ فتوضّأ، وإن لم تكن جنبًا؛ فلا تنم إلّا على طهارة. وإذا أردتَ أن تأكل أو تشرب، وأنت جنب، فتوضّأ. وإيّاك والتضمّخ بالخَلُوق؛ فإنّ الله لا يقبل صلاة أحد وعلى

1 [الحجرات : 17]
2 ص 69ب
3 [الحديد : 29]
4 ص 70

جسده شيء من خلوق، وثبت أنّ الملائكة لا تقربه، ولا تقرب الجنب إلّا أن يتوضّأ؛ إنّه قد ثبت أنّ الملائكة لا تقرب جيفة الكافر. فإيّاك أن تنزل نفسك -بترك الوضوء في الجنابة- منزلة جيفة[1] الكافر في بُعْد المَلَك منك؛ فإنّهم المطهّرون بشهادة الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[2] يعني بالكتاب المكنون الذي هو صُحُفٌ مُكَرَّمَة. مَرْفُوعَة مُطَهَّرَة. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ.

وإيّاك والغَدْرَ؛ وهو أن تعطي أحدا عهدا ثمّ تغدر به؛ فإنّ رسولَ الله ﷺ قَبِلَ إسلامَ المغيرة، وما قبل غَدْرَتَه بصاحبه، مع كون صاحبه كافرا؛ فكيف حال من يغدر بمؤمن؟ فإنّ الله قد أوعد على ذلك الوعيدَ الشديدَ، وليس من مكارم الأخلاق، ولا مما أباحته الشريعة.

وإيّاك وعقوق الوالدين إن أدركتَهما؛ فأشقى الناس مَن أدرك والديه ودخل النار. قال (تعالى): ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا[3] أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[4] وقال في الوالدين إذا كانا كافرين: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[5] وقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[6] ورجّح الأمَّ، وقدّمها في الإحسان والبرّ على أبيك. ثبت أنّ رجلا قال لرسول الله ﷺ: «مَن أبرُّ؟ قال له: أُمّك، ثمّ قال له: من أبرُّ؟ قال: أمّك، ثلاث مرّات، ثمّ قال في الرابعة: من أبرُّ؟ قال: أمّك، ثمّ أباك» فقدّمَ الأُمَّ على الأب في البِرّ، وهو الإحسان، كما قدّمَ الجارَ الأقرب على الأبعد، ولكلٍّ حقٌّ. وإن لم يكن لك أمّ، وكانت لك خالة؛ فبِرَّها؛ فإنّها بمنزلة الأمّ. فإنّ النبيّ ﷺ أوصى ببِرّ الخالة.

يا أخي؛ وما أوصيتك في هذه الوصيّة بشيء استنبطته من نفسي؛ فإنّي لا أحكم على الله بأمر في حقّ أحدٍ فيما أوصيتك في هذه الوصيّة إلّا بما أوصاك به اللهُ -تعالى- أو رسولُه ﷺ؛ إمّا معيَّنا فأذكره على التعيين، وإمّا مجملا فأُفصّله لك، غير ذلك ما أقول به.

وإيّاك -يا أخي- أن تزكّي على الله أحدا؛ فإنّ الله قد نهاك عن ذلك في قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي أمثالكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[7] ولكن قُل: أحسبه كذا، وأظنّه كذا، كما أمرك به رسولُ الله ﷺ قال:

---

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
2 [الواقعة : 77 - 79]
3 ص 70ب
4 [الإسراء : 23 ، 24]
5 [لقمان : 15]
6 [لقمان : 14]
7 [النجم : 32]

«ولا أزكّي على الله أحدا» فإنّه[1] من الأدب مع الله عدمُ التحكم عليه في خلقه؛ إلّا بتعريفه وإعلامه. وما هذا من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[2] فإنّ ذلك تحلية النفس، وتطهيرها من مذامّ الأخلاق، وإتيان مكارمها.

واعلم أنّ «الإيمانَ بضعٌ وسبعون شعبة؛ أدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، وأعلاها لا إله إلّا الله» وما بينهما وهو على قسمين من الله: عملٌ وتَرْكٌ، أي مأمورٌ به ومنهيٌّ عنه. فالمنهيُّ عنه هو الذي يتعلّق به الترك، وهو قوله: "لا تفعل" والمأمور به هو الذي يتعلّق به العمل، وهو قوله: "افعل" ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[3] وقال ﷺ: «ما نهيتكم عنه فانتهوا» وأَطلَق؛ لم يقيّد. وقال في الأمر: «وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم» فهذا من رحمته بأمّته، وهو لا ينطق عن الهوى؛ فهذا من رحمة الله تعالى بعباده.

وأمرُه بما وجب به الإيمان على نوعين: فرض ومندوب، والنهي على قسمين: نهي حظر ونهي كراهة. والفرض على نوعين: فرض كفاية وفرض عين. وكذلك الواجب أقول فيه: واجب موسّع، وواجب مضيّق. فالواجب الموسّع: موسّع بالزمان، وموسّع بالتخيير، وهو الواجب (المخيّر)؛ مثل كفّارة المتمتّع. وإتيان ما يؤتى من هذا كلّه، وترك ما يُترك من هذا كلّه؛ هو الإيمان الذي فيه سعادة العباد. فالبضع والسبعون من الإيمان هو الفرض منه مِن عمل وترك، وأمّا غَيْرُ الفرض[4] كالمندوبات والمكروهات؛ فيكاد لا تنحصر عند أحد؛ فابحث عليها في الكتاب والسنّة.

فمِن شُعب الإيمان: الشهادةُ بالتوحيد، وبالرسالة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والوضوء، والغسل من الجنابة، والغسل يوم الجمعة، والصبر، والشكر، والورع، والحياء، والأمان، والنصيحة، وطاعة أُولي الأمر، والذّكر، وكفّ الأذى، وأداء الأمانة، ونصرة المظلوم، وترك الظلم، وترك الاحتقار، وترك الغيبة، وترك النميمة، وترك التجسّس، والاستئذان، وغضّ البصر، والاعتبار، وسماع الأحسن من القول، واتّباعه[5]، والدفع بالتي هي أحسن، وترك الجهر بالسّوء من القول، والكلمة الطيّبة، وحفظ الفرج، وحفظ اللسان، والتوبة، والتوكّل، والخشوع، وترك اللغو، والاشتغال بما يعني، وترك ما لا

---

1 ص 71
2 [الشمس : 9]
3 [الحشر : 7]
4 ص 71ب
5 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

يعني، وحفظ العهد، والوفاء بالعقود، والتعاون على البرّ والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان، والتقوى، والبِرّ، والقنوت، والصدق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين، وترك إفساد ذات البين، وخفض الجناح، واللّين، وبرّ الوالدين، وترك العُقوق، والدعاء[1]، والرحمة بالخلق، وتوقير الكبير ومعرفة شرفه، ورحمة الصغير، والقيام لحدود الله، وترك دعوى الجاهليّة؛ فإنّ النبيّ ﷺ يقول: «دعوها فإنّها منتنة» والتودّد، والحبّ في الله، والبغض في الله، والتؤدة، والحلم، والعفاف، والبذاذة[2]، وترك التدابر، وترك التحاسد، وترك التباغض، وترك التناجش[3]، وترك شهادة الزور، وترك قول الزور، وترك الهمز واللمز والغمز، وشهود الجماعات، وإفشاء السلام، والتهادي، وحسن الخُلق، والسمت الصالح، وحسن العهد، وحفظ السرّ، والنكاح، والإنكاح، وحبّ الفال، وحبّ أهل البيت، وترك الطيرة، وحبّ النساء، وحبّ الطيب، وحبّ الأنصار، وتعظيم الشعائر، وتعظيم حرمات الله، وترك الغشّ، وترك حمل السلاح على المؤمن، وتجهيز الميّت، والصلاة على الجنائز، وعيادة المريض، وإماطة الأذى، وأن تحبّ لكلّ مؤمن ما تحبّ لنفسك، وأن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليك مما سِوَاهما، وأن تكره أن تعود في الكفر، وأن تؤمن بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وبكلّ ما جاءت به الرسل من عند الله إلى ما لا يحصى كثرة، يأتي -إن شاء الله- من ذلك في هذه الوصيّة ما[4] يذكّرني الله به، ويجريه على خاطري وقلمي.

ومَن تتبّع كتاب الله، وحديث رسوله ﷺ يجد ما ذكرناه وزيادة مما لم نذكره. وكلّ ما ورد فله أوقاتٌ تخصّه، وأمكنةٌ، ومحالٌّ، وأحوالٌ. والجامع للخير كلّه في ذلك أن تنوي في جميع ما تعمله أو تتركه؛ القربةَ إلى الله بذلك العمل أو الترك، وإن فاتتك النيّةُ فاتك الخيرُ كلُّه. فكثيرٌ مَا بين تاركٍ بنيّة القربة إلى الله، من حيث أنّ الله أمره بترك ذلك، وبين تاركٍ له بغير هذه النيّة، وكذلك في العمل ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾[5] والإخلاص هي النيّةُ، والعبادةُ عملٌ وتركٌ، والإخلاصُ مأمورٌ به شرعا.

وصيّة: (إذا كنتَ إمامَ قوم، فدعوتَ؛ فلا تخصّ نفسك بالدعاء دونهم)

إذا كنتَ إمامَ قوم، فدعوتَ؛ فلا تخصّ نفسك بالدعاء دونهم؛ فإنّك إن فعلت ذلك فقد خُنتهم، وفيه

---

1 ص 72
2 البذاذة: رثاثة الهيئة
3 التناجش: التزايد في البيع وغيره
4 ص 72ب
5 [البينة : 5]

من مذامّ الأخلاق؛ تبخيلُ الحقّ، وتحجيرُ الرحمة التي وسِعَتْ كلّ شيء، وإيثار نفسك على غيرك، وإنّ الله ما مدح في القرآن إلّا مَن آثر على نفسه. سمع رسول الله ﷺ رجلا من الأعراب يقول: «اللهم ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدا. فقال رسول الله ﷺ: لقد حجر هذا واسعا» يريد قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ[1] شَيْءٍ﴾[2].

والذي أوصيك به: إيّاك أن تصلّي وأنت حاقن؛ حتى تخفّف. وإذا حضر الطعام، وأقيمت الصلاة؛ فابدأ بالطعام، ثمّ تصلّي بعد ذلك إن كنت ممن يتناوله بعد الصلاة فحينئذ تفعل ذلك.

وارغب في دعاء الوالدين، ودعاء المسافر، واتّق دعوة المظلوم؛ فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب.

وعليك بالاستحداد؛ وهو حلقُ العانة، وتقليمِ الأظفار، ونتفِ الإبط، وقصّ الشارب، وإعفاءِ اللحية، وردّ السلام، وتشميتِ العاطس، وإجابةِ الداعي.

وعليك بالعدل في أمورك كلّها، والمحافظة على عبادة الله، وكسر الشهوتين، وتعاهد المساجد للصلاة، والبكاء من خشية الله، والاعتصام بحبل الله، وعليك بمحابّ الله ومراضيه؛ فاتّبعها، فمنها: تعاهد المساجد.

وعليك بصيام داود عليه السلام فهو أحبّ الصيام إلى الله، وأفضله، وأعدله؛ وهو صيام يوم وفطر يوم، وقد ذكرنا ما يختصّ من الأسرار والفوائد بالصوم، في باب الصيام من هذا الكتاب، وكذلك في الطهارة، والصلاة، والزكاة، والحجّ، فلتنظر هناك.

وأحبُّ الصلاة إلى الله بالليل صلاةُ داود: كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه؛ وذلك هو التهجّد.

وإن كان لك ولدٌ فسمّه عبد[3] الله، أو عبد الرحمن، وكنّه أبا محمد. أو سمّه محمدا، وكنّه بأبي عبد الله، أو بأبي عبد الرحمن.

وإذا عملت عملا من الخير؛ فداوِم عليه وإن قلّ؛ فهو أفضل فـ«إنّ الله لا يملّ حتى تملّوا» فإنّ في

---

1 ص 73
2 [الأعراف : 156]
3 ص 73ب

قطع العمل، وعدم المداومة عليه؛ قطعُ الوصلة مع الله. فإنّ العبد لا يعمل عملا إلّا بنيّة القربة إلى الله، وحينئذ يكون عملا مشروعا؛ فمتى تركه فقد ترك القربة إلى الله. ومن أراد أنّه لا يزال في حال قربة من الله دائمًا؛ فعليه بالحضور الدائم مع الله، في جميع أفعاله وتروكه. فلا يعمل عملا إلّا وهو به مؤمن بما لله فيه من الحكم، ولا يترك عملا إلّا وهو مؤمن بما في تركه من الحكم لله؛ فإذا كان هذا حاله فلا يزال في كلّ نفَس مع الله، وهو الذي يحرّم ما حرّم الله، ويحلّ ما أحلّ الله، ويكره ما كره اللهُ، ويبيح ما أباح الله؛ فهو مع الله في كلّ حال.

واحذر من الإلحاد في آيات الله، ومن الإلحاد في حَرَمِ الله إن كنت فيه، والإلحادُ: الميلُ عن الحقّ شرعا. ولذلك قال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾[1] فذكَر الظلم.

وعليك بأفضل الصدقات؛ و«أفضلُ الصدقات ما كان عن ظهر غنى»، ومعنى «عن ظهر غنى» أن تستغني بالله عن ذلك الذي تعطيه وتصدّقُ به وإن كنت محتاجا إليه. فإنّ الله مدح قوما فقال[2]: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3] وذلك أنّهم لم يؤثِروا على أنفسهم مع الخصاصة حتى استغنوا بالله. فإن نزلتَ عن هذه الدرجة؛ فلتكن صدقتُك بحيث أن لا تُتْبِعها نفسَك. فلتُغْنِ أوّلا نفسَك بأن تطعمها، فإذا استغنت عن الفاضل؛ فتصدّق بالفضل؛ فإنّك ما تصدّقت إلّا بما استغنيت عنه، وتلك هي الصدقةُ عن ظهر غنى في حقّ هذا، والأوّلُ أفضل.

وعليك بصيام رجب، وشعبان، وإن قدرتَ على صومهما على التمام فافعل؛ فإنّه ورد: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان صيامُ شهر الله المحرّم؛ وهو رجب» فإنّه يقال له شهرُ الله، هذا الاسم له دون الأشهر كلّها. وكان رسول الله ﷺ يكثر صومَ شعبان، يقول الراوي: "ربما صامه كلّه" وحافِظ على صوم سَرَرِه، ولا يفوتنّك إن فاتَك صومُه. وافطر السادس عشر من شعبان ولا بدّ، حتى تخرج من الخلاف؛ فإنّه أوْلَى؛ فإنّ فِطْرَه جائزٌ بلا خلاف، وصومه فيه خلاف، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا انتصف شعبان فأمسكوا عن الصوم». وعليك بقول الحقّ في مجلس مَن يُخافُ ويُرْجَى من الملوك، ولا يعظم عندك على الحقّ شيءٌ؛ إلّا ما أمرك اللهُ بتعظيمه.

---

1 [الحج : 25]
2 ص 74
3 [الحشر : 9]

وعليك بعمل البِرّ في يوم النحر؛ فإنّه[1] أعظمُ الأيّام عند الله، ورد في ذلك خبر نبويّ؛ فأكثِر فيه من ذِكْر الله، ومن الصدقة. وكلُّ فعل فيه لله رضى، وتقدر عليه في هذا اليوم؛ فلا تتخلّف عنه؛ فإنّه أفضلُ من يوم عرفة ويوم عاشوراء، وفيه خبر كما قلنا.

أعط كلّ ذي حقّ حقّه، حتى الحقّ أعطه حقّه، ولا ترى أنّ لك على أحد حقّا فتطلبه منه. فأنصف من نفسك، ولا تطلب النَّصَف من غيرك، واقبل العذر ممن اعتذر إليك، وإيّاك والاعتذار؛ فإنّ فيه سوء الظنّ منك بمن اعتذرت إليه، فإن علمت أنّ في اعتذارك إليه خيرا له، وصلاحا في دينه؛ فاعتذر إليه في حقّه، من غير سُوء ظنّ به، بل قضاء حقّ له تعيّن عليك. وأحقُّ الحقوق حقُّ الله.

* * *

وصيّة: (عليك بكثرة الدعاء في حال السجود)

وعليك بكثرة الدعاء في حال السجود؛ فإنّك في أقرب قربة إلى الله، لما ثبت من قوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجدٌ» فأكثِروا الدعاء. ولا قُرب أقربُ من قُرب السجود، ولا دعاء إلّا في القُرب من الله. فإذا دعوت في السجود؛ فادع في دوام الحال الذي أوجب لك القرب المطلوب من الله؛ فإنّك تعلم أنّه قريب من خلقه، وهو معهم أينما كانوا. والمطلوب أن يكون العبد قريبا من الله، وأن يكون مع الله في أيّ شأن يكون الله فيه[2]؛ فإنّ الشئونَ لله كالأحوال للخلق، بل هي عينُ أحوال الخلق التي هم فيها.

وعليك بصلة أهل وُدّ أبيك بعد موته؛ فإنّ ذلك مِن أَبَرّ البِرّ. ورد في الحديث: «إنّ مِن أبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل وُدّ أبيه» وأنّ ذلك من أحبّ الأعمال إلى الله؛ وهو الإحسان إليهم، والتودّد بالسلام، والخدمة، وبما تصل إليه يدك من الراحات، والسعي في قضاء حوائجهم.

وعليك بالتلطّف بالأهل والقرابة، ولا تعامل أحدا من خلق الله إلّا بأحبّ المعاملة إليه؛ ما لم تُسخط الله؛ فإن أرضاه ما يُسخط الله؛ فأرضِ الله.

وابدأ بالسلام على مَن عرفتَ، ومَن لم تَعرف. فإن عرفتَ مِن الذي تلقاه أنّه يسلّم عليك؛ فاتركه يبدأ بالسلام، ثمّ تردّ عليه؛ فيحصل لك أجر الوجوب؛ فإنّ ردّ السلام واجب، والابتداء به مندوب إليه،

---

1 ص 74ب
2 ص 75

وأحبّ ما تُقُرِّبَ به إلى الله؛ ما افترضه على خلقه. وإذا علمتَ مِن شخص أنّه يكره سلامك عليه، وربما تؤدّيه تلك الكراهة إلى أنّه لو سلّمت عليه لم يرد عليك؛ فلا تسلّم عليه ابتداء؛ إيثارا له على نفسك، وشفقة عليه؛ فإنّك تحول بينه وبين وقوعه في المعصية إذا لم يرد عليك السلام؛ فإنّه يترك أمر الله الواجب عليه، ومن الإيمان الشفقة على خلق الله؛ فبهذه النيّة اترك السلام عليه[1]. وإن عِلمت من دينه أنّه يردّ السلام عليك؛ فسلّم عليه وإن كَرِه، واجهر بالسلام عليه، وابدأه به؛ فإنّك تدخل عليه ثوابا بِرَدِّ السلام، وتسقط من كراهته فيك بسلامك عليه؛ بقدر إيمانه ونفسه الصالحة، إن كان ممن جُبل على خُلُق حسن.

وعليك بالنظر إلى مَن هو دونك في الدنيا، ولا تنظر إلى أهل الثروة والاتّساع؛ خوفا من الفتنة؛ فإنّ الدنيا حلوة خضرة، محبوبة لكلّ نفس. فإنّ النعيم محبوب للنفوس طبعا، ولولا النعيم الذي يجده الزاهد في زهده؛ ما زَهِد، والطائع في طاعته؛ ما أطاع. فإنّ أخوف ما خافه رسول الله ﷺ علينا ما يخرج الله لنا من زهرة الدنيا، قال الله -تعالى- لنبيّه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[2] ثمّ حبّب إليه رزق ربّه الذي هو خير وأبقى، وهو الحال الذي هو عليه في ذلك الوقت هو رزق ربّه الذي رزقه؛ فإنّه -تعالى- لا يتّهم في إعطائه الأصلح لعبده؛ لما أعطاه إلّا ما هو خير في حقّه، وأسعد عند الله؛ وإن قلّ. فإنّه ربما لو أعطاه ما يتمنّاه العبد؛ طغى، وحال بينه وبين سعادته، فإنّ الدنيا دار فتنة.

وإذا كان لأحد عندك دَيْنٌ، وقضيته؛ فأحسن[3] القضاء، وزده في الوزن وأرجح؛ تكن بهذا الفعل من خير عباد الله بإخبار رسول الله ﷺ فهو من السنّة، وهو الكرم الخفيّ اللاحق بصدقة السرّ. فإنّ المعطَى إيّاه لا يشعر بأنّه صدقة، وهو عند الله صدقةُ سِرٍّ في علانية، ويورث ذلك محبّة ووُدًّا في نفس الذي أُعطِيَه، وتخفي نعمتك عليه في ذلك، ففي حسن القضاء فوائدُ جمّة.

وعليك -يا أخي- بالذبّ والدفع عن أخيك المؤمن عن عِرضه، ونفسه، وماله، وعن عشيرتك، بما لا تأثم به عند الله. فلا يبرح من يدك ميزان مراعاة حقّ الله في جميع تصرّفاتك، ولا تتّبع هواك في شيء يسخط اللهَ؛ فإنّك لا تجد صاحبا إلّا الله؛ فلا تفرّط في حقّه، وحقُّه أحَقُّ الحقوق وأوجبُها علينا، كما ثبت: «حقُّ الله أحقُّ أن يُقضى».

---

1 ص 75ب
2 [طه : 131]
3 ص 76

وإن عزمت على نكاح فاجهد في نكاح القرشيّات، وإن قدرت على نكاح مَن هي من أهل البيت فأعظم وأعظم؛ فإنّه قد ثبت أنّ «خير نساءٍ رَكِبْنَ الإبل نساءُ قريش» وعاشرهنّ بالمعروف، واتّق الله فيهنّ، وأحقّ الشروط ما استحللتَ به فروجهنّ، وأحسِن إليهنّ في كلّ شيء.

وإيّاك أن تعذِّب ذا روح إذا كان في يدك؛ حتى الأضحية إذا ذبحتها؛ فَحُدَّ الشفرة، وأسرِع، وأرِح ذبيحتك، وادفع[1] الألم عن كلّ من يتألّم بجهد استطاعتك، كان ما كان؛ الألم الحسّي من كلّ حيوان وإنسان، ومن النفسي ما تعلم أنّه يُرضِي الله. واعلم أنّه مما يرضي الله؛ ما أباحه لك أن تفعله.

وإذا رأيت أنصاريًا من بني النجّار؛ فقدّمه على غيره من الأنصار، مع حبّك جميعهم. وعليك بأحسن الحديث، وهو كتاب الله، فلا تزل تاليا إيّاه بتدبّر وتفكّر عسى الله أن يرزقك الفهم عنه فيما تتلوه[2]. وعَلِّم القرآن تكن نائب الرحمن؛ فإنّ ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[3] وهو القرآن، فإنّه قال فيه: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ وهو القرآن ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] فعلَّم القرآن قبل الإنسان أنّه إذا خلق الإنسان لا ينزل إلّا عليه، وكذلك كان، فإنّه نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ وهو ينزل على كلّ قلبِ تالٍ، في حال تلاوته؛ فنزوله لا يبرح دائما. فعلّمَ اللهُ القرآنَ، كما علّمَ الإنسانَ القرآنَ؛ فخيرُكم مَن عَلَّم القرآن وعلَّمه. واتّق شحّ الطبيعة؛ فإنّ المفلح عند الله مَن يوق شحّ نفسه.

وكن شجاعا مقداما على إتيان العزائم التي شرع الله لك أن تأتيها؛ فتكن من أُولِي العزم، ولا تكن جبانا. فإنّ الله أمرك بالاستعانة به[5] في ذلك، وإذا كان الله المعين فلا تبال؛ فإنّه لا يقاومه شيء، بل هو القادر على كلّ شيء؛ لما ثَمّ مع الإعانة الإلهيّة قوّة تقاوي قوّة الحقّ. فإنّ الله يقول فيمن سأله الإعانة: «ولعبدي ما سأل» في الخبر الصحيح فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[6] يقول الله: «هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل» وإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[7] إلى آخر السورة، وهدايته من معونته، يقول الله: «هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل» وخبره صدق، وقد قال: «ولعبدي ما سأل» فلا بدّ من إعانته.

---

1 ص 76ب
2 حروفها المعجمة مهملة
3 [الرحمن : 1 - 4]
4 [آل عمران : 138]
5 ص 77
6 [الفاتحة : 5]
7 [الفاتحة : 6]

ولكن هنا شرط لا يغفل عنه العالِم إذا تلا مثل هذا؛ لا يتلوه حكاية؛ فإنّ ذلك لا ينفعه فيما ذهبنا إليه وفيما أُريدَ له، وإنما الله -تعالى- ما شرع له أن يقرأ القرآن، ويذكره بهذا الذِّكْر؛ إلّا ليعلّمه كيف يذكره؛ فيذكره ذِكْر طلب، واضطرار، وافتقار وحضور[1] في طلبه من ربّه ما شرع له أن يطلبه؛ فذلك هو الذي يجيبه الحقّ إذا سأله. فإن تلا حكاية؛ فما هو سائل، وإذا لم يسأل، وحكى السؤال؛ فإنّ الحقّ لا يجيب مَن هذه صفته. ولا جرم أنّ التالين الغالبُ عليهم الحكاية؛ لأنّه لا ثمرة عندهم. فهم يقرءون القرآن بألسنتهم[2]، لا يجاوز تراقيهم، وقلوبهم لاهية في حال التلاوة، وفي حال سماعه.

فإذا رأيت مَن يقدم على الشدائد في حقّ الله؛ فاعلم أنّه مؤمن صادق، وإذا رأيته قويّ العزم في دين الله، وفي غير دين الله؛ فتعلم أنّه قويّ النفس، لا قويّ الإيمان بالأصالة؛ فإنّ المؤمن هو القويّ في حقّ الله خاصة، الضعيف في حقّ الهوى، لا يساعد هواه في شيء. إذا جاءه الهوى النفسي. يطلب منه أن يعينه في أمر مّا؛ يريه من الضعف والخوف ما يقطع به يأسه منه؛ فينقمع الهوى إذ لا يجد معونة من قبول المؤمن عليه؛ فيعصم جوارحه من إمضاء ما دعاه إليه الهوى وسلطانه. فإذا جاءه واردُ الإيمان؛ وجدَ عنده من القوّة والمساعدة بالله ما لا يقاومه شيء؛ فإنّ الله هو المعين له. فإنّ الإنسان خُلِق هلوعا من حيث إنسانيّته، وإنّ المؤمن له الشجاعة والإقدام من حيث ما هو مؤمن.

كما حكي عن بعض الصحابة، وأظنّه عمرو بن العاص أنّ رسول الله ﷺ أخبره أنّه لا بدّ له أن يَلِيَ مِصر. فحضر في حصار بلد، فقال لأصحابه: اجعلوني في كفّة المنجنيق، وارموا بي إليهم؛ فإذا حصلتُ عندهم قاتلتُ حتى أفتح لكم باب[3] الحصن! فقيل له في ذلك، فقال: إنّ رسول الله ﷺ ذكر لي أنّي أَلِيَ مصر، وإلى الآن ما وليتها، ولا أموت حتى أَلِيَها. فهذا من قوّة الإيمان؛ فإنّ العادة تعطي في كلّ إنسان؛ أنّ شخصا إذا رمي في كفّة المنجنيق أنّه يموت؛ فالمؤمن أقوى الناس جأشا.

ومن أسمائه -تعالى- "المؤمن"، وقد ورد أنّ «المؤمنَ للمؤمنِ كالبنيان يشدّ بعضه بعضا» من كونه مؤمنا. فالمؤمن المخلوق يستعين بالمؤمن الخالق؛ فيشدّ منه، ويقوّي ما ضعف عنه، من كونه مخلوقا؛ فإنّ الله خلقه من ضعف، ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة؛ فهي إشارة، وذلك إن كانت قوّة الشباب تفسيرا؛ فهي قوّة الإيمان بما أمر من الإيمان به تنبيها، فاعلم.

---

1 ق: حضور
2 ص 77ب
3 ص 78

وصيّة: (كن فقيرا من الله كما أنت فقير إليه)

كن فقيرا من الله كما أنت فقير إليه، فهو مثل قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك» ومعنى فقرك من الله أن لا يشمّ منك رائحة من روائح الربوبيّة، بل العبوديّة المحضة، كما أنّه ليس في جناب الحقّ شيء من العبوديّة، ويستحيل ذلك عليه؛ فهو ربٌّ محضٌ؛ فكن أنت عبدا محضا. فكن مع الله بقيمتك، لا بعينك؛ فإنّ عينَك عليه روائحُ الربوبيّة بما خلقك عليه[1] من الصورة بالدعوى، وقيمتك ليست كذلك. بهذا أوصاني شيخي وأستاذي أبو العباس العُرَيْبي -رحمه الله- فلِقيمتك التصرّف بالحال لا بالدعوى؛ فكن أنت كذلك. فمتى قالت لك نفسُك: كن غنيّا بالله؛ فقد أمرتك بالسيادة، فقل لها: أنا فقير إلى الله، وإلى ما أفقرني الله إليه؛ فإنّ الله أفقرني إلى الملح يكون في عجيني.

* * *

وصيّة: (عليك بالرباط)

عليك بالرباط؛ فإنّه من أفضل أحوال المؤمن. فكلّ إنسان إذا مات يُختم على عمله، إلّا المرابط؛ فإنّه يُنمى له إلى يوم القيامة، ويأمن فتّانَيْ القبر، ثبت هذا عن رسول الله ﷺ. والرباط: أن يُلزم الإنسانُ نفسَه (الخير في سبيل الله) دائما من غير حدّ ينتهي إليه، أو يجعله في نفسه، فإذا ربط نفسه بهذا الأمر فهو مرابط، والرباط في الخير كلّه؛ ما يختصّ به خيرٌ من خيرٍ؛ فالكلُّ سبيلُ الله. فإنّ سبيلَ الله (هو) ما شرعه الله لعباده إن يعملوا به، فما يختصّ بملازمة الثغور فقط، ولا بالجهاد؛ فإنّ رسول الله ﷺ قال في انتظار الصلاة بعد الصلاة: إنّه «رباط» والله يقول في كتابه للمؤمنين: ﴿اصْبِرُوا[2] وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يعني في ذلك كلّه، أي اجعلوه وقاية تتّقوا به هذه العزائم، وذلك معونته في قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[3] و﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾[4] وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[5] فهذا معنى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6] أي تكون لكم النجاة من مشقّة الصبر والرباط.

وينبغي لك إذا ناجيتَ رسول الله ﷺ وذلك زمان قراءتك الأحاديثَ المرويّة عنه ﷺ أن تقدّم بين يدي نجواك صدقة، أيّ صدقة كانت؛ فإنّ ذلك خير لك وأطهر، بهذا أُمِرْتَ؛ فإنّ الصدقات التي نصّ

1 ص 78ب
2 ص 79
3 [البقرة : 153]
4 [الأعراف : 128]
5 [الفاتحة : 5]
6 [آل عمران : 200]

الشرع عليها كثيرة، ولذلك ورد أنّه «يصبح على كلّ سُلامَى منّا صدقة» في كلّ يوم تطلع فيه الشمس، ثمّ أخبر ﷺ أنّ: «كلّ تهليلة صدقة، وكلّ تكبيرة صدقة، وكلّ تسبيحة صدقة، وكلّ تحميدة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونَهي عن منكر صدقة» فانظر حالَك عندما تريد قراءة الحديث النبوي؛ فهي التي بقيت في العامّة من مناجاة الرسول. فالذي يعيّنُ لك حالُك عند ذلك من الصدقات فقدّمها بين يدي قراءتك الحديث، كانت ما كانت، فقد أوسع الله عليك في ذلك؛ فلم يبق لك عذرٌ[1] في التخلّف بعد أن أعلَمَك ﷺ بأنواع الصدقات؛ فقدّم منها بين يدي نجواك ما أعطاه حالُك، بلغ ما بلغ، وحينئذ تشرع في قراءة الحديث النبويّ.

وإيّاك أن تُحشر يوم القيامة مع المصوّرين، الذين يصوّرون ذوات الأرواح من الحيوانات. فإنّك إن صوّرتَ صورة من صور الحيوانات؛ تَبِعها روحُها من عند الله من حيث لا تشعر[2] بذلك في الدنيا. فإذا كان في الآخرة؛ يجعل الله لكلّ مصوّر في النار بكلّ صورةٍ صورةٍ أنفسا تعذّبه في نار جهنّم؛ فإنّ الخلق من اختصاص الله. لمن نازعه في خلقه؛ فإنّه يعذّبه بما خلق من ذلك، والخلق لله لا إليه؛ إذ لم يكن بإذن الله، كخلق عيسى ﷺ الطير من الطين بإذن الله، ونفخ فيه الروح بإذن الله. فلو أذن الله للمصوّر في ذلك؛ لكان طاعةً فِعْلُ ذلك، فاعلم أنّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.

* * *

وصيّة: (احذر أن تكفّر أحدا من أهل القبلة بذنب)

واحذر أن تكفّر أحدا من أهل القبلة بذنب، فقد ثبت أنّه من قال لأخيه: "كافر" فقد باء به أحدهما: إن كان كما قال، وإلّا رجعت عليه، ومعنى الرجوع عليه: أنّه هو الكافر؛ فإنّه مَن كفّر مسلما[3] لإسلامه فهو كافر. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ فقال الله تعالى- فيهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ والسفيه هو الضعيف الرأي. يقولون إنّهم ما آمنوا إلّا لضعف رأيهم وعقلهم؛ فحار ذلك عليهم لقول الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ أي هم الذين ضعفتْ آراؤهم؛ فحال ذلك الضعف بينهم وبين الإيمان ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

---

1 ص 79ب
2 رسمها في ق أقرب إلى: يشعر
3 ص 80
4 [البقرة : 13]

فتحفّظْ من الكلام القبيح؛ وهو أن تنسبَ صفةً مذمومةً لأخيك المؤمن، وإن كانت فيه؛ لا في حضوره ولا في غيبته. فإنّك إن واجهتَه بذلك فقد عيّرته، لما تأمن أن يعافيه الله من تلك الصفة ويبتليك بها، وقد ورد: «لا تُظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك» وإن كان غائبا فهي غيبة، وقد نهاك الله عن الغيبة، فإنّك إذا ذكرته بأمرٍ هو فيه، مما يسوؤه لو قابلته به؛ فقد اغتبته، وإن نَسبتَ إليه من القبيح ما ليس فيه؛ فذلك البهتان. ولا بدّ أن تجنيَ ثمرة غرسِك- إلّا أن يعفو اللهُ بإرضاء الخصم- وأن يعود عليك وبال ما نسبته إلى أخيك المؤمن مما ليس هو عليه.

وكذلك خِداع المؤمن؛ فلا تكن ممن يخادع الله. فإنّك إن اعتقدتَ ذلك[1]؛ كنت من الجاهلين بالله؛ حيث تخيّلتَ أنّك تُلَبِّس على الحقّ و﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2] وإن خادعتَ المؤمنَ لما تخادع إلّا نفسك كما قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[3] في خداعهم الذين آمنوا، (أي المؤمنين بغير الحقّ) فإنّهم مؤمنون أيضا بالباطل قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[4] فوصفهم بالإيمان بالباطل وقال في حديث الأنواء -فيمن قال: مُطرنا بِنَوء كذا-: «إنّه كافر بي مؤمن بالكوكب» فهذا قوله: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾[5] في خداعهم الذين آمنوا. وأمّا في خداعهم اللهَ؛ فإنّ الله هو خادعهم بخداعهم، أي هو خِداع الله بهم لكونهم اعتقدوا أنّهم يخادعون الله. فإيّاك والجهل؛ فإنّه أقبحُ صفة يتّصف بها الإنسان.

فإن كنت -يا وليّ- ذا زوجة؛ فأوصِها، بل لا تتركها، ولا أختا، ولا بنتا، ولا أيّ امرأة كانت ممن تحكم عليها، أو تعلم أنّها تسمع منك؛ فانصحها، كانت مَن كانت، أن لا تَستعطرَ إذا خرجتْ بطيبٍ يكون له ريحٌ؛ فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أيّما امرأة[6] استعطرت فمرّت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» وقد ورد مقيّدا في ذلك: «أيّما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العِشاء الآخرة» وذلك لأنّ الليل آفاتُه كثيرة، والظلمة ساترة، وما تدري إذا أصاب الرجل ريحها الطيّب في طريق المسجد ما تلقى منه إذا لم يتقّ الله، فلهذا نهاها رسول الله ﷺ عن شهود العِشاء الآخرة. وبالجملة فلا ينبغي للمرأة أن تخرج

1 ص 80ب
2 [فصلت : 22 ، 23]
3 [البقرة : 9]
4 [العنكبوت : 52]
5 [البقرة : 9]
6 ص 81

بطيب له رائحة، لا في ليل ولا في نهار.

وإيّاك والاستهزاء والسخريّة بأهل الله، استهزاءً بدين الله، ولا تتّخذهم ضحكة؛ فإنّ وبال ذلك يعود عليك يوم القيامة؛ فيسخر الله منك ويستهزئ بك، وهو أن يريك بالفعل ما فعلته أنت هنا -أعني في الدنيا- بالمؤمن إذا لقيته، تقول: "أنا معك" على طريق الهُزء به والسخريّة منه؛ فإذا كان يوم القيامة يجازيك الله عدلا، بقدر ما تراءيت به للمؤمنين من الإقبال عليهم، والإيمان بما هم عليه أهل الله ﷻ. وقد رأينا على ذلك جماعة من المدرّسين الفقهاء يسخرون بأهل الله، المنتمين إلى الله، المخبرين عن الله بقلوبهم ما يَرِدُ عليهم من الله فيها.

فيأمر بمن هذه صفته إلى الجنّة حتى ينظر[1] إلى ما فيها من الخير؛ فيُسرّون كما يُسَرُّ أهلُ الله في حال استهزائهم بهم، ويتخيّلون أنّهم صادقون فيما يظهرون به إليهم، فإذا وفّى الله جزاء عملهم، وانفهقت لهم الجنّة بخيرها؛ أمَرَ الله بهم أن يُصرفوا عنها إلى النار، فتصرفهم الملائكةُ إلى النار؛ فذلك استهزاء اللهِ بهم؛ كما أنّ هؤلاء المنافقين لمّا رجعوا إلى أهليهم قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[2] وقال: ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾[3] ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[4] كما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين لإيمانهم. وكذلك بعض المؤمنين يضحكون من أهل الله في الدنيا، ولا سيما الفقهاء إذا رأوا العامّة على الاستقامة يتحدّثون بما أنعم الله عليهم في بواطنهم؛ يضحكون منهم، ويظهرون لهم القبول عليهم، وهم في بواطنهم على خلاف ذلك.

فلا أقلّ -يا أخي- إذا لم تكن[5] منهم؛ أن تسلّم[6] لهم أحوالهم؛ فإنّك ما رأيت منهم ما ينكره دين الله، ولا ما يردّه العلم الصحيح النقلي والعقلي ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[7] هكذا والله رأيت فقهاء الزمان مع أهل الله؛ يتغامزون عليهم، ويضحكون منهم، ويظهرون القبول عليهم، وهم على غير ذلك[8]! فاحذر من هذه الصفة، ومن صحبة مَن هذه صفته؛ لئلّا يسرقك الطبع؛ فما أعظم حسرتهم يوم القيامة، فهم ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾[9]

---

1 ص 81ب
2 [البقرة : 14]
3 [هود : 38]
4 [المطففين : 34]
5 ق: يكن
6 ق: يسلم
7 [المطففين : 29 ، 30]
8 ص 82
9 [البقرة : 175]

و ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾[1] ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[2].

* * *

وصيّة: (احذر أن تكون من شرار الناس؛ فيتّقي الناسُ لسانَك)

واحذر -يا أخي- أن تكون من شرار الناس؛ فيتّقي الناسُ لسانَك؛ فإنّ من شرار الناس الذين يُكرَمون اتّقاء ألسنتهم، وأنت أعرفُ بنفسك في ذلك. أقبل رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ فيه قبل أن يصل إليه، وقد رآه مقبلا: «بئس ابنُ العشيرة» فلمّا وصل إليه بَشَّ في وجهه، وضحك له. فلمّا انصرف، قالت له عائشة: يا رسول الله؛ قلتَ فيه ما قلتَ، ثمّ بششتَ في وجهه! فقال: «يا عائشة؛ إنّ مِن شرّ الناس مَن أكرمه الناسُ اتّقاءَ شَرِّهِ» فاحذر أن تكون ممن هذه صفتهم؛ فتكون من شرّ الناس بشهادة رسول الله ﷺ.

وإن كانت لك زوجةٌ فإيّاك إذا أفضيتَ إليها، وكان بينك وبينها ما كان، أن تنشرَ سِرَّها؛ فإنّ ذلك من الكبائر عند الله، فإنّه ثبت عن رسول الله ﷺ: «إنّ من شرّ الناس عند[3] الله يوم القيامة الذي يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثمّ ينشر سِرَّها» فذلك من الكبائر.

وإيّاك أن تَسُبَّ أبا أحد أو أُمّه؛ فيسبّ أباك وأمّك؛ فإنّ ذلك من العقوق. وكذلك إذا جالستَ مشركا؛ فلا تسبَّ من اتّخذه إلها مع الله. وإذا جالست مَن تعرف أنّه يقع في الصحابة من الروافض؛ فلا تتعرّض ولا تُعرِّض بذِكرِ أحد من الصحابة التي تعلم أنّ جليسك يقع فيهم، بشيء من الثناء عليهم؛ فإنّ لَجَاجَه يجعله يقع فيهم؛ فتكون أنت قد عرّضتهم بذِكْرك إيّاهم للوقوع فيهم. يقول الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[4] ونهى رسول الله ﷺ عن شتم الرجل والديه، فقيل له: يا رسول الله؛ وكيف يشتم الرجل والديه؟ فقال ﷺ: «يسبّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسب أُمّه فيسبّ أُمّه». وإنّ «من الكبائر استطالةُ الرجل في عِرض رجل مسلم بغير حقّ» هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ.

وعليك بشهود العتمة والصبح في جماعة؛ فإنّه «مَن شهد العشاء في جماعة فكأنّما قام نصف ليلة، ومَن

1 [البقرة : 86]
2 [البقرة : 16]
3 ص 82ب
4 [الأنعام : 108]

شهد الصبح في جماعة فكأنما قام ليلة».

وعليك بالشفقة على عباد الله مطلقا، بل على كلّ حيوان؛ فإنّه «في كلّ ذي[1] كبد رطبة أجر» عند الله تعالى.

* * *

وصيّة: (احذر أن ترجّح نظرَك على علم الله في خلقه بمن قدّمه من الولاة)

احذر أن ترجّح نظرَك على علم الله في خلقه بمن قدّمه من الولاة في النظر في أمور المسلمين وإن جاروا؛ فإنّ لله فيهم سِرًّا لا تعرفه. وإنّ ما يدفع الله بهم من الشرور ويحصل بهم من المصالح؛ أكثرُ من جَوْرهم إن جاروا، وهذا كثير ما يقع فيه الناس؛ يرجّحون نظرهم على ما فعل الله في خلقه، ويأتيهم الشيطان؛ فيعلّق تسفيهَهم بالذين وَلَّوْهُ، ويحول بينهم وبين الصحيح من كون الله وَلّاهُم، وينسيهم أمرَ النبيّ ﷺ: «أن لا نخرج يدا من طاعة، وأن لا ننازع الأمرَ أهله» فيدخل عليهم الشيطان من التأويل في هذه الأحاديث وأمثالها بما يخرجهم بذلك من الإسلام، وينسيهم قولَه ﷺ: «فإن جاروا فلكم وعليهم، وإن عدلوا فلكم ولهم» و«إنّ الله يَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» لو لم يكن في هذه المسألة إلّا اعتراض الملائكة على الله -تعالى- في خلافة آدم عليه السلام لكان كافيا. وقد جعل رسول الله ﷺ من تمام الزكاة أن ينقلبَ المصدّق -وهو العامل الذي على الزكاة- راضيا عنك وإن ظلمك. وهذا باب قد أغفله الناس، وقد[2] أغلقوه على أنفسهم، فما يُرى أحد إلّا وله في ذلك نصيبٌ، ولا يعلم ما فيه عند الله، وقد رأينا على ذلك براهين من الله كثيرة. ومتى ذَمَمْتَ ولا بدّ؛ فذُمَّ الصفة بِذَمِّ الله، ولا تذمّ الموصوف بها إن نصحتَ نفسَك، ومتى حمدتَ؛ فاحمد الصفة والموصوف معا؛ فإنّ الله يحمدك على ذلك.

* * *

وصيّة: (أُوصِيتُ بها في مبَشّرة أُريتها)

أُوصِيتُ بها في مبَشّرة أُريتها، سمعتها من كلام الله -تعالى- بلا واسطة في البقعة المباركة التي كلّم الله فيها موسى عليه السلام مِن بِلّةٍ على قدر الكفّ، كلاما لا يكيّف ولا يشبه كلام مخلوق، عينُ الكلام هو عينُ الفهم من السامع. فممّا فهمتُ منه: "كن سماءَ وحيٍ، وأرضَ ينبوعٍ، وجبلَ تسكينٍ. فإذا تحرّكتَ فلتكن

---

1 ص 83

2 ص 83ب

حركة إحياء وَسَطِيّة بتحريكٍ عن وحيٍ سماويّ" ثمّ وقع في نفسي نظم فكنت أنشد:

جَعَلْتَ فِيَّ الذِي جَعَلْتَا   وقُلْتَ لِي أنْتَ قَدْ عَمِلْتَا
وأنْتَ تَدْرِي بِأنّ كَوْنِي   مـا فِيْـهِ غَيْرُ الذِي جَعَلْتَا
فَـكُلُّ[1] فِعْـلٍ تَـرَاهُ مِـنِّي   أنْـتَ إلَهِـي الذِي فَعَلْتَـا

* * *

وصيّة: (إذا قلتَ خيرا أو دللتَ على خير؛ فكن أنت أوّلَ عامل به)

إذا قلتَ خيرا أو دللتَ على خير؛ فكن أنت أوّلَ عامل به، والمخاطَبَ بذلك الخير. وانصح نفسك؛ فإنّها آكَدُ عليك؛ فإنّ نظرَ الخلق إلى فعل الشخص أكثرُ من نظرهم إلى قوله، والاهتداء بفعله أعظمُ من الاهتداء بقوله. ولبعضهم في ذلك:

وإذا المَقَالُ مَعَ الفِعَالِ وَزَنْتَهُ   رَجَحَ الفِعَالُ وَخَفَّ كُلُّ مَقَالِ

واجهد أن تكون ممن يُهْتَدَى بهديك؛ فتلحق بالأنبياء ميراثا، فإنّ رسول الله ﷺ يقول: «لأنْ يهتدي بهداك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك مما طلعتْ عليه الشمسُ» يقول الله -تعالى- في نقصانِ عقلِ مَن هذه صفته: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2] فإذا تلا الإنسانُ القرآنَ، ولا يرعوي إلى شيء منه؛ فإنّه مِن شرار الناس بشهادة رسول الله ﷺ فإنّ الرجلَ يقرأُ القرآنَ والقرآنُ يلعنُه، ويلعنُ نفسَه فيه. يقرأ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[3] وهو[4] يظلمُ فيلعنُ نفسَه، ويقرأ: ﴿لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[5] وهو يكذب؛ فيلعنه القرآنُ ويلعنُ نفسَه في تلاوته. ويمرّ بالآية فيها ذمّ الصفة، وهو موصوف بها؛ فلا ينتهي عنها. ويمرّ بالآية فيها حمد الصفة؛ فلا يعمل بها ولا يتّصف بها؛ فيكون القرآن حجّة عليه، لا له. قال ﷺ في الثابت عنه: «القرآنُ حجّةٌ، لك أو عليك، كلّ الناس يغدو فبائعٌ نفسَه فمعتِقُها أو موبِقُها».

وإذا كنت -يا أخي- ممن يجلس مع الله بترك الأسباب؛ فتحفّظْ من السؤال؛ فلا تسأل أحدا. وإيّاك أن تقتدي بهؤلاء أصحاب الزنابل اليوم؛ فإنّهم من أدنى الناس همّة، وأخسّهم قدرا عند الله، وأكذبهم على الله؛ فإمّا يقينٌ صادق، وإمّا حرفة فيها عِزُّ نفسِك؛ فإنّ ذلك خير لك عند الله. وقد ثبت عن رسول الله

---

1 ص 84
2 [البقرة : 44]
3 [هود : 18]
4 ص 84ب
5 [آل عمران : 61]

ﷺ أنّه قال: «لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب على ظهره فيها خيرٌ له من أن يسأل رجلا» وفي حديث: «أعطاه أو منعه» فإمّا يقين صادق وإمّا شغل موافق.

* * *

وصيّة: (عليك بإكرام الضيف)

عليك بإكرام الضيف؛ فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم[1] ضيفه» فإن كان الضيف مقيما؛ فثلاثة أيّام حقّه عليك، وما زاد فصدقة. فإن كان مجتازا؛ فيوم وليلة جائزته.

ولشيخنا أبي مدين في هذه المسألة حكاية عجيبة: كان ﷺ يقول بترك الأسباب التي يرتزق بها الناس، وكان قويّ اليقين، ويدعو الناس إلى مقامه والاشتغال بالأهمّ فالأهمّ من عبادة الله. فقيل له في ذلك، أي في ترك الأسباب والأكل من الكسب، وأنّه أفضل من الأكل من غير الكسب. فقال ﷺ: "ألستم تعلمون أنّ الضيف إذا نزل بقوم وجب بالنصّ عليهم القيام بحقّه ثلاثة أيّام إذا كان مقيما؟" فقالوا: نعم. فقال: "فلو أنّ الضيف في تلك الأيّام يأكل من كسبه؛ أليس كان العار يلحق بالقوم الذين نزل بهم؟" فقالوا: نعم. فقال: "إنّ أهل الله رحلوا عن الخلق، ونزلوا بالله أضيافا عنده؛ فهم في ضيافة الله ثلاثة أيّام ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[2] فنحن نأخذ ضيافته على قدر أيّامه؛ فإذا كملتْ لنا ثلاثةُ أيّام مِن أيّام الله، مِن نزلنا عليه ولا نحترف، ونأكل مِن كسبِنا؛ عند ذلك يتوجّه اللوم، وإقامة مثل هذه الحجّة علينا". فانظر -يا أخي- ما أحسن نظر هذا الشيخ، وما أعظم موافقته للسنّة؛ فلقد نوّر اللهُ قلب هذا الشيخ. فحقّ الضيف واجب[3]، وهو من شُعب الإيمان -أعني إكرام الضيف-.

وكذلك مِن شُعب الإيمان قولُ الخير، أو الصمت عن الشرّ. يقول الله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[4] هذا في النجوى ومخاطبة الناس، وذِكْرُ الله أفضلُ القول، والتلاوةُ أفضلُ الذِّكْر.

ومِن الإيمان وشُعَبِه اجتنابُ مجالس الشرب، فإنّه ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من كان يؤمن

---

1 ص 85
2 [الحج : 47]
3 ص 85ب
4 [النساء : 114]

بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يُدار عليها الخمر».

وعليك إذا عملتَ عملا مشروعا أن تحسّنه؛ فإنّه مَن حسّن عملَه بلَغَ أمَلَه. وحُسن العمل (هو) أن تعمله كما شرع اللهُ لك أن تعمله، وأن ترى الله -تعالى- في عملك إيّاه، فإنّ رسول الله ﷺ فسّر الإحسان بما ذكرناه، فقال في الثابت عنه: «الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه».

وإذا أردتَ أن تأتي الجمعة فاغتسل لها؛ فإنّ الغسل، وإن كان واجبا عليك يوم الجمعة لمجرّد اليوم، فإنّه قبل الصلاة للصلاة أفضل بلا خلاف. فإذا توضّأتَ، كما ذكرت لك في باب الوضوء من هذا الكتاب، فامش إلى الجمعة، وعليك السكينة والوقار، ولا تفرّق بين اثنين إلّا أن ترى فُرجة فتأوي إليها، وتقرب[1] من الخطيب، وأنصت لكلامه إذا خطب، ولا تمسح الحصى- فإنّ مسح الحصى- لغوٌ، ولا تقل لمتكلّم: "أنصت" والإمام يخطب؛ فإنّ ذلك من اللغو، وفرّغ قلبك لما يأتي به من الذِّكر؛ فإنّ المؤمن ينتفع بالذِّكرى، ولتلبس أحسن ثيابك، وتمسّ من الطيب إن كان معك، ولتهجّر ما إستطعتَ. وإن أردت الخروج من الخلاف في التهجير، فتسعى إليها في أوّل ساعة من النهار؛ تكن من أصحاب البُدْنِ، وتدنو من الإمام ما استطعتَ. وإن كان لك أهلٌ؛ فلتجعلهم يغتسلون يوم الجمعة كما اغتسلتَ. وإن كنت جُنبا؛ فاغتسل غسلين: غسل الجنابة، وغسل الجمعة؛ فهو أَوْلَى. فإن لم تفعل؛ فاغتسل للجنابة؛ فعسى- يجزيك عن غسل الجمعة؛ فإنّه قد ثبت: «مَن غسّل واغتسل، وبكّر وابتكر».

وعليك بالوضوء على الوضوء؛ فإنّه نور على نور. ولقيتُ على ذلك جماعة من الشيوخ ببلاد المغرب يتوضّأون لكلّ صلاة فريضة، وإن كانوا على طهارة. وأمّا التيمّم لكلّ فريضة؛ فالدليل في وجوب ذلك أقوى من قياسه على الوضوء، وإليه أذهب؛ فإنّ نصّ القرآن في ذلك. ولولا أنّ رسول الله ﷺ شرع في الوضوء ما شرع من صلاة فريضتين[2] فصاعدا بوضوء واحد؛ لكان حكم القرآن يقتضي- أن يُتوضّأ لكلّ صلاة، وبالجملة فهو أحسن بلا خلاف؛ فإنّ الوضوء عندنا عبادة مستقلّة، وإن كان شرطا في صحّة عبادة أخرى؛ فلا يُخرجه ذلك عن أن يكون عبادة مستقلّة في نفسه، مرادا لِعينه.

وتحفّظْ أن تؤذي شخصا قد صلّى الصبح؛ فإنّه في ذِمّة الله، فلا تُخفِر الله في ذمّته، وما رأيتُ أحدا يدّعي هذا القدر في معاملته الخلقَ، وقد أغفله الناس، فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَن

---

1 ص 86

2 ص 86ب

صلّى الصبح فهو في ذمّة الله» فإيّاك أن يتّبعك الله بشيء من ذمّته.

وحافظ كلّ يوم على صلاة اثنتي عشرة ركعة؛ فإنّه قد ثبت الترغيب في ذلك عن رسول الله ﷺ، وحافظ على صلاة العصر؛ فإنّه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله.

وإذا قعدتَ في مسجد أو في مجلسك، أو حيث كنت؛ فاقعد على طهارة منتظرا دخول وقت الصلاة، واجعل موضع جلوسِك مسجدَك؛ فإنّ الأرضَ كلَّها مسجدٌ بالنصّ. وإن كان في المسجد المعروف في العُرف كان أفضل؛ فإنّه «مَن غدا إلى المسجد، أو راح؛ أعدّ الله له نُزلا في الجنّة كلّما غدا أو راح». وقد ثبت عن رسول الله ﷺ[1] أنّه قال: «من تطهّر في بيته، ثمّ مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله؛ كانت خطوتاه إحداهنّ تحطُّ عنه خطيئة، والأخرى ترفع درجة».

وعليك من قيام الليل بما يزيل عنك اسم الغفلة، وأقلّ ذلك أن تقوم بعشر آيات؛ فإنّك إذا قمتَ بعشر آيات لم تُكتب من الغافلين، هكذا ثبت عن المبلّغ ﷺ عن الله. وحافظ في السّنة كلّها على القيام كلّ ليلة، ولو بما ذكرتُ لك. ولا تهمل الدعاء في كلّ ليلة، واجعل من دعائك السؤال في العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة؛ فإنّك لا تدري متى تصادف ليلة القدر من سَنَتِك؛ فإنّي قد أُريتُها مرارا في غير شهر رمضان؛ فهي تدور في السنة، وأكثر ما تكون في شهر رمضان، وأكثر ما تكون في ليلة وتر من الشهر، وقد تكون في شفع. وقد أُريتُها في ليلة الثامن عشر من الشهر، وقد أُريتُها في العَشر الوسط من رمضان. فإن زدتَ على عشر آيات في قيام الليل؛ فأنت بحسب ما تزيد، فإن زدتَ إلى المائة كُتِبتَ من الذاكرين، وإن زدتَ إلى ألف آية كُتِبتَ من المقسطين.

وعليك بصيام ستة أيّام من شوال، ولتجعلها من ثاني يوم من شوال متتابعات إلى أن[2] تفرغ؛ لتخرج بذلك من الخلاف. وإذا قضيتَ أيّام رمضان من مرض أو سفر؛ فاقضه متتابعا كما أفطرته متتابعا تخرج بذلك (من) الخلاف؛ فإنّ شهر رمضان متتابع الأيّام في الصوم. وإن قدرتَ أن تشارك في فطرك صائما، أو تفطّر صائما فافعل؛ فإنّ لك أجرَه، أي مثل أجره.

وعليك، إن كنت مجاورا بمكة، بكثرة الطواف؛ فإنّ طواف كلّ أسبوع يعدل عتق رقبة، فأعتق ما استطعتَ تلحق بأصحاب الأموال مع أجر الفقر. واجهد أن ترمي بسهم في سبيل الله، وإن تعلّمتَ الرمي

---

1 ص 87

2 ص 87ب

فاحذر أن تنساه؛ فإنّ نسيان الرمي بعد العلم به من الكبائر عند الله، وكذلك مَن حفظ آية من القرآن ثمّ نسيها؛ إمّا من محفوظه، وإمّا ترك العمل بها؛ فإنّه لا يعذّب أحد من العالمين يوم القيامة بمثل عذابه؛ لأنّه لا مِثل للقرآن الذي نسيه.

وعليك بتجهيز المجاهد بما أمكنك ولو برغيف إذا لم تكن أنت المجاهد، واخلُف الغزاة في أهلهم بخير؛ تُكتب معهم وأنت في أهلك. واحذر إن لم تَغزُ أن لا تحدّث نفسك بالغزو؛ فإنّك إن لم تغز، ولا تحدّث نفسك بالغزو؛ كنتَ على شُعبة من نفاق. واجهد في إعطاء ما يفضُل عنك لمعدِم ليس له[1] ذلك من طعام، أو شراب، أو لباس، أو مركوب.

وعليك بتعلّم[2] علم الدين إن عملتَ به عملتَ على علم، أو علّمته أحدا من الناس؛ كان ذلك التعليم عملا من أعمال الخير قد أتيته. وأسأل من الله ما تعلم أنّ فيه خيرا عند الله؛ فإنّه إن أعطاك ما سألتَ، وإلّا أعطاك أجرَ ما سألت، فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ ما يؤيّد ما ذكرناه، وذلك أنّه قال: «من سأل الشهادةَ بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه».

وعليك بالإحسان إلى كلّ مَن تعول، وادع إلى خيرٍ ما استطعتَ؛ فإنّك لن تدعوَ إلى خير إلّا كنتَ من أهله، ومَن أجابك إليه فَلَكَ مثل أجره فيما أجابك من ذلك. ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه: «مَن سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرُها وأجرُ من عمل بها بعده لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا» ولقد بلغني عن الشيخ أبي مدين أنّه سنّ لأصحابه ركعتين بعد الفراغ من الطعام، يقرأ في الأُولَى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[3] وفي الآخرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[4] ومشتْ سنّةً في أصحابه، وقد ثبتَ أنّه «مَن دلّ على خير فله مثل أجر فاعله».

وعليك بِصِلة الأرحام، وحافظ على النّسب الذي بينك وبين الله؛ فإنّه من الأرحام.

وعليك بإنظار المعسِر إلى ميسرة، فإنّ الله يقول: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ[5] إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾[6] وان

---

1 ق: "لك" وصححت في الهامش بقلم آخر
2 ص 88
3 [قريش : 1]
4 [الإخلاص : 1]
5 ص 88ب
6 [البقرة : 280]

وضعتَ عنه فهو أعظم لأجرك، فإنّه قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من أنظر معسرا أو وضع عنه؛ أظلّه الله في ظلّه» وأنّ الله يوم القيامة يتجاوز عمّن يتجاوز عن عباده. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أيضا أنّه قال: «مَن سَرّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفّس عن معسر أو يضع عنه».

واعلم أنّ من الإيمان أن تَسُرّك حسنتُك وتسوءَك سيّئتُك. واحذر من الكِبر والغِلّ والرين[1]. واستر عورة أخيك إذا أطلعك الله عليها؛ فإنّ ذلك يعدل إحياء موؤدة، هكذا ورد النصّ في ذلك عن رسول الله ﷺ فإنّ مقادير الثواب لا تدرَك بالقياس.

وعليك بالسعي في قضاء حوائج الناس، وقد رأينا على ذلك جماعةً من الناس يثابرون عليه، وهو من أفضل الأعمال.

وفرّج عن ذي الكربة كربتَه، واستر على مسلم إذا رأيته في زلّة يطلب التستّر بها ولا تفضحه، وأَقِلْ عثرةَ أخيك المسلمِ، وخذ بيده كلّما عثر، وأَقِلْهُ بيعتَه إذا استقالك؛ فإنّ ذلك كلّه مرغّبٌ فيه، مندوبٌ إليه، مأمورٌ به شرعا، وهو من مكارم الأخلاق.

وعليك بالزهد في الدنيا ولباس الخشن؛ فإنّه قد ورد أنّه «مَن ترك لِبْسَ ثوبِ جمالٍ وهو[2] يقدر عليه؛ كساه الله حلّة الكرامة» وهذا ثابت. وكن من الكاظمين الغيظ إذا قدرتَ على إنفاذه؛ فإنّ الله قد أثنى على الكاظمين الغيظ، العافين عن الناس، وقال ﷺ: «مَن كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ملأه الله أمنا وإيمانا» فمن الإيمان كظمُ الغيظ. واحمِ أخاك المؤمن ممن يريد ضُرّه ما استطعتَ، وبما قدرتَ عليه من ذلك. وإذا نزل بك ضُرٌّ؛ فلا تنزله إلّا بالله، ولا تسأل في كشفه إلّا اللهَ. وإن قلت بالأسباب؛ فلا يغب اللهُ عن نظرك فيها؛ فإنّ لله في كلّ سبب وجها؛ فليكن ذلك الوجه من ذلك السبب مشهودا لك.

وأعلم أنّه ما من نبيّ إلّا وقد أنذر أمّته الدجّال، وأنّ رسول الله ﷺ كان يستعيذ من فتنة الدجّال تعليما لنا أن نستعيذ من ذلك. وفي الاستعاذة من فتنته وجهان: الوجه الواحد الاستعاذة[3] من فتنته حتى لا نصدّقه في دعواه، وأن نُعْصَم منه. ومن أراد أن يعصمه الله من ذلك؛ فليحفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف؛ فإنّه يُعصم بها من فتنة الدجّال. والوجه الآخر أن تُعصم (من) أن يقوم بك من الدّعوى ما

---

1 رسمها في ق يقرب من: والدين
2 ص 89
3 ق: الاستعاد

قام بالدجّال؛ فتدّعي لنفسك دعوتَه؛ فإنّك مستعدّ لكلّ خير وشرّ يقبله الإنسان، من حيث ما هو إنسان.

وثابر ما استطعتَ على[1] أن تسأل اللهَ الوسيلةَ لرسوله ﷺ فإنّه ﷺ قد سأل منّا ذلك. فالمؤمن مَن أسعفه في سؤاله مع ما يعود عليه في ذلك من الخير، أدناه وجوب الشفاعة له يوم القيامة إن اضطرّ إليها. وإذا رأيتَ مَن يتعمّل في تحصيل خير فأَعِنْهُ على ذلك بما استطعتَ. ولا تمنع رِفْدَك ممن استرفدك.

وإيّاك أن تجلد عبدَك فوق جنايته، وإن عفوت فهو أحوط لك؛ فإنّك عبد الله، ولك إساءةٌ تطلب من الله العفوَ عنك لها؛ فاعف عن عبدك. ولا تأكل وحدك ما استطعت، ولو لقمةً تجعلها في فم خادمك من الطعام الذي بين يديك إذا لم يجبك إلى الأكل معك.

واستغنِ بالله صدقا من حالك؛ فإنّ الله لا بدّ أن يغنيك؛ فإنّ استغناءك بالله من القُرَب إلى الله، وقد ثبت أنّه «مَن تقرّب إلى الله شبرا تقرّب الله منه ذراعا» الحديث، وكذلك مَن يَسْتَعِفُّ بالله. روي أنّ بعض الصالحين لم يكن له شيء من الدنيا فتزّوج فجاءه ولد، وما أصبح عنده شيء. فأخذ الولد وخرج ينادي به: هذا جزاء من عصى الله! فقيل له: زنيتَ؟ فقال: لا، وإنما سمعتُ الله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2] فعصيتُ أمر الله وتزوّجتُ وأنا لا أجد نكاحا؛ فافتضحتُ. فرجع إلى منزله بخير كثير.

وإن[3] قدرت على العتق فاعتق، وإن لم تجد مالًا، ويكون لك علمٌ؛ فاهْدِ به رجلا منافقا أو كافرا، أورُدَّ به مسلما عن كبيرة؛ فإنّك تعتقه بذلك من النار، وهو أفضل من عتق رقبة مِن مِلك أحد في الدنيا. وفكاكُ العاني أَوْلَى من عتق العبد فإنّه عتقٌ وزيادة.

واعلم أنّ الفقير الذي لا يقدر على إحياء أرض ميتة؛ فليحيي أرض بدنه بما يعمل فيها من الطاعة لله -تعالى-، وليحيي مواضع الغفلة بذِكْر الله فيها، وليحيي العمل بالإخلاص فيه.

وإن أردت أن لا يضرّك في يومك سِحر ولا سُمٌّ؛ فلتَصبّح بسبع تمرات من العجوة أو تسحّر بها إن أصبحتَ صائمًا؛ فإنّه كذا ثبت عن رسول الله ﷺ.

---

1 ص 89ب
2 [النور : 33]
3 ص 90

وعليك بخدمة الفقراء إلى الله، ومجالسة المساكين، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب عموما وخصوصا، وصحبة الصالحين، والتحبّب إليهم، وانوِ في جميع حركاتك خيرا مشروعا؛ فإنّك لِمَا نويت. وإذا رأيت من أعطاه الله مالا، وفَعل فيه خيرا، وحرمك اللهُ ذلك المال؛ فلا تحرم نفسك أن تمنّى (أن) تكون مثله؛ فإنّ الله يأجرك مثل أجره وزيادة[1].

وإذا جلست مجلسا فاذكرِ الله فيه ولا بدّ.

وإيّاك أن تحرَم الرفق؛ فإنّك إن حُرمت الرفق فقد حُرمت الخير.

وأجِز مَن استجار بك إلّا في حدّ من حدود الله، فإن كان في حدٍّ من حدود الخلق؛ فأصلح في ذلك ما استطعت بينه[2] وبين صاحب الحقّ، ولا تسلِمه ولو مضى فيه جميع مالك. وإذا رأيتَ من يستعيذ بالله؛ فأعِذهُ؛ فإنّ النبيّ ﷺ تزوّج امرأة فلمّا دخل عليها استعاذت بالله منه لشقاوتها. فقال: «عُذْتِ بعظيم، إلحقي بأهلك» فطلّقها، ولم يقْربْها، وأعاذها.

وإذا سألك أحد بالله وأنت قادر على مسألته؛ فأعطه، وإن لم تقدر على مسألته؛ فادْعُ له؛ فإنّك إذا دعوت له مع عدم القدرة؛ فقد أعطيته ما بلغتْ إليه يَدُك من مسألته؛ فإنّ الله لا يكلّف نفسا إلّا ما آتاها.

وإذا أسدى إليك أحدٌ معروفا؛ فلتكافئه على معروفه، ولو بالدعاء إذا عجزت عن مكافأته بمثل ما جاءك به. وإذا أسديتَ أنت إلى أحد معروفا؛ فأسقط عنه المكافأة، ولتُعلِمه بذلك، ولتُظهر له الكراهة إن كافأك حتى تريح خاطرَه، ولا سيما إن كان من أهل الله. فإن جاءك بمكافأة على ذلك، وتعلم منه أنّه يعزّ عليه عدم قبولك لذلك؛ فاقبله منه. وإن علمت منه أنّه يفرح بردّك عليه، بعد أن وفّى هو ما وجب عليه من المكافأة؛ فَرُدَّ عليه بسياسة وحسن تلطُّف، واجعل لك الحاجة عنده في قبول ما رددتَ عليه من ذلك، حتى يتحقّق أنّه قد قضى لك حاجة في قبول ما رددتَ عليه من المكافأة.

وإيّاك أن تدّعي ما ليس لك؛ فإنّ ذلك ليس من المروءة، مع ما فيه من الوزر[3] عند الله.

---

1 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
2 ص 90ب
3 ص 91

وإن رُميتَ بشيء مذموم؛ فلا تنتصر لنفسك، واسكت ولا تتعرّض لمن رماك بأنّه يكذب، ولا تقرّ على نفسك بما لم تفعل مما نُسب إليك، وهكذا فعل ذو النون مع المتوكّل حين سأله عمّا يقول الناس فيه مِن رَمْيِهِ بالزندقة، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن قلتُ: لا؛ أكذبتُ الناس، وإن قلتُ: نعم؛ كذبتُ على نفسي. فاستحسن ذلك منه أمير المؤمنين، وما قَبِلَ فيه قولَ قائل، ورَدُّه مكرما إلى مصر.، واعتذر له، وحكايته في ذلك مشهورة ذكرها الناس. وقد ثبتت الأخبار الصحيحة في إثم مَن ادّعى ما ليس له، أو اقتطع ما لا يجب له من حقّ الغير.

واحذر في يمينك أن تحلف بملّةٍ غير ملّة الإسلام، أو بالبراءة من الإسلام؛ فإنّك إن كنتَ صادقا فلن ترجع إلى الإسلام سالما، ولتجدّد إسلاما إذا فعلتَ مثل ذلك، ومع هذا فلا تحلف إلّا بالله؛ فإنّك إن حلفتَ بغير الله كنتَ عاصيا؛ للنهي الوارد في ذلك. وإن حلفتَ على يمين، فرأيت غيرها خيرا منها؛ فكفّر عن يمينك، ولتأت الذي هو خير.

وإيّاك والكذبَ في الرؤيا، أو الكذب على الله، أو على رسول الله، أو تحدّث بحديث ترى أنّه كذب، فتحدّث به ولا تبيّن عند السامع أنّه كذب.

واحذر أن تسمع حديث قوم وهم يكرهون أن تسمعه؛ فإنّه نوع من التجسّس[1] الذي نهى الله عنه.

واحذر أن تخبّث امرأة على زوجها، أو مملوكا على سيّده.

واحذر أن تنام على سطح ما له احتجار؛ فإن فعلتَ فقد برئتْ منك الذمّة.

وإيّاك أن تحبّ قيامَ الناس لك، وبين يديك؛ تعظيما لك، وهذا كثير في هذه البلاد -أعني العراق وما جاوره- فما رأيتُ منهم أحدا يسلَم من حبّ ذلك، مع علمهم بما فيه، وقد جرت لنا معهم في ذلك حكايات مع علمائهم، فما ظنّك بعامّتهم؟ وقمت مرّة لأحدهم، فقال لي: لا تفعل، وقال لي: إنّ النهي قد ورد في ذلك. فقلت له: يا فقيه؛ أنت المخاطَب بذلك، أن لا تحبّ أن يتمثّل الناس بين يديك قياما، ما أنا المخاطب بذلك أنّي لا أقوم لمثلك! فتعجّب من هذا الجواب، واستحسنه، وكان من علماء الشريعة.

وإيّاك أن تقبل هديّةَ مَن شفعتَ فيه شفاعة، فإنّ ذلك من الربا الذي نهى الله عنه بنصّ رسول الله

---

1 ص 91ب

ﷺ في ذلك. ولقد جرى لنا مثل هذا في تونس، من بلاد أفريقية، دعاني كبير من كبرائها يقال له: ابن معتب إلى بيته لكرامة استعدّها لي، فأجبت الداعي. فعندما دخلتُ بيته وقدّم الطعام، طلب منّي شفاعة عند صاحب البلد، وكنت مقبول القول عنده متحكّمًا. فأنعمتُ له في ذلك، وقمت، وما[1] أكلتُ له طعاما، ولا قبلتُ منه ما قدّمه لنا من الهدايا، وقضيتُ حاجته، ورجع إليه مِلكه، ولم أكن بعدُ وقفتُ على هذا الخبر النبويّ؛ وإنما فعلتُ ذلك مروءة وأنفة، وكان عصمة من الله في نفس الأمر، وعناية إلهيّة بنا.

وإيّاك أن تشفع عند حاكم في حدّ من حدود الله. كُلّمَ ابن عباس في رجل أصاب حدًّا من حدود الله أن يكلّم الحاكم فيه. فقال ابن عباس: "لعنني الله إن شفعت فيه، ولعن الله الحاكم إن قبِل الشفاعة فيه. لو أردتم ذلك لجئتموني قبل أن يصل إلى الحاكم" وكان سارقا. ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَن حالت شفاعته دون حدود الله فقد ضادّ الله». وإيّاك أن تخاصم في باطل؛ فتسخط الله عليك. وكذلك لا تُعِن على خصومة بعلمٍ تدفع به حقّا، فإنّ النبيّ ﷺ يقول فيمن أعان على ذلك إنّه يَبوء بغضب من الله.

ولا تقل في مؤمن ما ليس فيه مما يشينه عند الناس، وقد ثبت أنّه «مَن رمى مسلما بشيء يريد شَينَه؛ حبسه الله على جسر جهنّم حتى يخرج مما قال» يعني يتوب.

واحذر أن تأكل الدنيا بالدين، أو تأكل مالَ أحد[2] بإخافته؛ فيعطيك اتقاء.

وإيّاك أن تُسمِّع، فيُسمِّع الله بك. سمعت شيخنا المحدّث الزاهد أبا[3] الحسين يحيى بن الصائغ[4]، بمدينة سبتة، ونحن بمنزله، يقول: لأكلُ الدنيا بالدفّ والمزمار؛ خير لي من أنّي آكلها بالدِّين.

وكفّ لسانك عن اللعنة ما استطعتَ؛ فإنّه مَن لعن شيئا ليس له بأهل؛ رجعتْ عليه اللعنةُ، أي بَعُد عنه الخير الذي كان له من ذلك الذي لعنه لو لم يلعنه. ولقد روينا عن رجل كان في غَزاة؛ فضاع له آلة من آلات دابّته، فسئل عن الضائع، فقال: راح في لعنة الله. ثمّ إنّ الرجل استشهد في تلك الغزاة، فرآه إنسان في النوم، فسأله ما فعل الله به؟ فقال: إنّ الله وزن لي كلّ ما عندي، حتى روث الفرس وبوله جعله في ميزاني، وأثابني به، فلم أر في الميزان سرج الدابّة الذي كان ضاع لي! فقلت: يا ربّ؛ وأين سرج

---

1 ص 92
2 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
3 ص 92ب
4 سبقت ترجمته في السفر 25

دابتي؟ فقال: هو حيث جعلتَه في لعنة الله، حيث سُئلتَ عنه. فحُرم خيرَه، فعادتْ لعنة السرج عليه بهذا المعنى.

وكان رسـول الله ﷺ في سـفر، فسـمع امـرأةً تلعـنُ ناقتَهـا. فـأمر بهـا فسـيّبت، وقـال: «لا يصـحبنا ملعون»، فطردتْ من الركب. قال الراوي: فلقد كنّا نراها تطلب أن تلحق بالركب، والناس يطردونها؛ فتركناها منقطعة. فكانت عقوبة صاحبتها أن بَعُدَ عنها خيرُها[1]، وهو ركوبُها؛ فحارت اللعنة عليها؛ فإنّ اللعنةَ: البُعْدُ.

واحذر أن تكفّر مؤمنا؛ فإنّ تكفير المؤمن كقتله.

ولا تهجر أخاك فوق ثلاث؛ فإذا لقيته بعد ثلاث فابدأه بالسلام؛ تكن خير الشخصين المتهاجرين. ولمّا هجر الحسنُ محمدَ بن الحنفيّة أخاه، وتهاجرا؛ نفذ إليه محمد بن الحنفيّة بعد ثلاث، فقال: يا أخي؛ يا ابن رسول الله؛ إنّ رسول الله ﷺ يقول: «لا يهجر (أحدكم) أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصدّ هذا ويصدّ هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» وقد فرغَتْ الثلاث؛ فإمّا أن تأتيني فتبدأني بالسلام؛ فإنّك خير منّي، وإن كنّا ابني رجل واحد؛ فأنت سبط رسول الله ﷺ؛ فإنّ خير الرجلين المتهاجرين من يبدأ بالسلام، وإن لم تفعل؛ جئتُ إليك فبدأتك بالسلام. فبلغ ذلك الحسن؛ فشكره، وركب دابّته، وقصد إلى منزله؛ فبدأه بالسلام». فانظر ما أحسن هذا؛ كيف آثر على نفسه مَن هو أفضل منه، يرجو بذلك المنزلة والمحبّة عند رسول الله ﷺ. فهكذا ينبغي للعاقل أن يحتاط لنفسه، ويأتي الأفضل فالأفضل، ويعرف الفضل لأهله. وقد ثبت أنّه «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه».

وإيّاك واللعِبَ بالنرد[2]؛ فإنّ في اللعب بالنرد معصيةَ اللهِ ورسولِه، وفي الشطرنج خلاف، وكلّ ما فيه خلاف فالاحتياط أن تخرج من الخلاف باجتنابه. واجتنب القمار بكلّ شيء مطلقا، وكلّ ما تغفل باللهو به عن أداء فرض من فروض الله عليك، أو عن ذِكْر الله؛ فاجتنبه.

دخل بعض أهل الله من العلماء على قوم يلعبون بالشطرنج. فقال: ﴿مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا

---

1 ص 93
2 ص 93ب

عَاكِفُونَ ﴾[1] وإن كان اللعب بالشطرنج حلالا[2]، فالمصوّر له مأثومٌ إثمَ المصوّرين.

مبشّرة[3]:

أخبرني الزكي شيخنا أحمد بن مسعود بن شدّاد المقري الموصلي، بمدينة الموصل، سنة إحدى وستمائة قال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله؛ ما تقول في الشطرنج؟ يعني في اللعب به. قال ﷺ: "حلال" وكان الرائي حنفيّ المذهب. قال: فقلت: والنرد؟ قال: "حرام". قال: قلت: يا رسول الله؛ ما تقول في الغناء؟ قال: "حلال" قلت فالشبّابة؟ قال: "حرام" قال: قلت يا رسول الله؛ ادع الله لي؛ فقد مسّتني الحاجة، أو كما قال مما هذا معناه. قال ﷺ: «رزقك الله ألف دينار كلّ دينار من أربعة دراهم» واستيقظت، فدعاني[4] الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب -رحمه الله- في شغل، فلمّا خرجت من عنده أمر لي بأربعة آلاف درهم، فما بِتُّ إلّا والدراهم عندي كاملة التي عيّنها لي في دعائه رسولُ الله ﷺ. قال: فاعتقدتُ من تلك الساعة تحليلَ الشطرنج الذي كنت أعتقد تحريمه، وتحريم الشبّابة، وكنت أعتقد النقيض في هذين الشيئين.

وإيّاك وتصديق الكُهّان، وإن صدقوا. واجتنبْ ما استطعتَ الاستمطار بالأنواء. وعلم النجوم اجتنبه مطلَقا احتياطا إلّا ما يحتاج منه إلى معرفة الأوقات.

والوقوف عند قول الشارع هو طريق النجاة، وتحصيل السعادة، وما ندندن إلّا على ذلك.

واحذر أن تنام وفي يدك دَسَم، أو على ظاهر فمك؛ من أجل الهوام والشياطين.

وإيّاك أن تشاقِق على أحد، ولا تضارِرْه.

ولا تكن ذا وجهين؛ تأتي قوما بوجه، وقوما بوجه.

واحذر من الاحتكار لانتظار الغلاء لأمّة محمد ﷺ.

ولا تتّخذ كلبا؛ إلّا أن تكون في أمر تطلب الحراسة فيه، أو صيد.

---

1 [الأنبياء : 52]
2 ق: حلال
3 ثابتة في الهامش بقلم الأصل
4 ص 94

ولا[1] تَغْصِب مسلما شيئا، ولا ذِمّيًا، ولا ذا عهد.

وإذ ضربتَ مملوكا أو مملوكة حَدًّا لم يأتِه، أو لطمتَه في وجهه؛ فأعتقه؛ فإنّ كفّارة فعلِك به ذلك عِتْقُه. ولا تَرْمِ مملوكَك ولا مملوكتك بالزنا من غير علم؛ فإنّ الله يقيم عليك الحدّ في ذلك يوم القيامة.

واحذر من اتّباع الصيد، والمداومة عليه، ولزوم البادية؛ فإنّ الصيد يورث الغفلة، وسُكنى البادية تورث الجفاء.

وإيّاك وصحبة الملوك؛ إلّا أن تكون مسموع الكلمة عندهم؛ فتنفعَ مسلما، أو تدفعَ عن مظلوم، أو تردَّ السلطان عن فعل ما يؤدّي إلى الشقاء عند الله.

وعليك بالوفاء بالنذر إذا نذرتَ طاعة؛ فإن نذرت معصية فلا تعص الله، وكفّر عن ذلك كفّارة يمين؛ فإنّه أحوط وأرفعُ للخلاف.

وعليك بطاعة أُولِي الأمر من الناس ممن ولّاه السلطانُ أمرَك؛ فإنّ طاعة أُولِي الأمر واجبةٌ بالنصّ في كتاب الله[2]. وما لهم أمرٌ يجب علينا امتثال أمره فيه إلّا المباح، لا الأمر بالمعاصي. فإن غصبوك؛ فاقبل غصبَهم في بعض أحوالك، وإن أمروك بالغصب؛ فلا تغصب. ولا تفارق الجماعة، ولا تخرج يدا من طاعة[3]؛ فتموت[4] ميتة جاهليّة بنصّ رسول الله ﷺ ولا تخرج على الأمّة، ولا تنازع الأمرَ أهلَه، وقاتل مع الأعدل من الاثنين. وأوفِ لذي العهد بعهده، ولذي الحقّ بحقّه.

ولا تحمل السلاح في الحرم لقتال، وإذا دخلتَ السوق بسهام؛ فأمسك على نصالها لا تعقر أحدا وأنت لا تشعر، ولا تمازح أخاك بحمل السلاح عليه.

وأكرِمْ شعرَك، وغِبَّ بترجيله، واكتحل. وإذا اكتحلتَ؛ فاكتحل وترا. واشرب مَصًّا، ولا تتنفّس في الإناء إذا شربتَ، وأزل الإناء عن فمك.

وكُلْ بثلاث أصابع، وصغِّر اللقمة، وكثِّر مضغَها، ولا تشرع في لقمة أخرى حتى تبتلع الأُولَى، وسَمِّ

---

1 ص 94ب
2 "بالنص.. الله" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
3 أضيف في الهامش بقلم آخر: الإمام
4 ص 95

الله عند قطع كلّ لقمة، واحمد الله إذا ابتلعتها، واشكره على أنّه سوّغك إيّاها.

ولا تجلس في مجلس أحد إذا قام منه بنيّة الرجوع إليه؛ إلّا أن يفارقه ولا يريد الرجوع إليه. وكان ابن عمر ﷺ إذا قام أحدٌ إليه من مكانه ليجلسه فيه؛ يمتنع عليه ولا يجلس؛ فإنّ القائم أحقُّ به بنصّ رسول الله ﷺ.

ولا تردّ طِيبا إذا عُرِض عليك، ولا لَبَنًا، ولا وسادة؛ إذا[1] قُدّم إليك شيء من هذا كلّه.

وإذا أخذتَ دَينا فانوِ قضاءه ولا بدّ؛ فإنّ الله يقضيه عنك إذا نويتَ ذلك.

واعدل بين نسائك، وفي رعيّتك إن كنت راعيا تسعد -إن شاء الله-.

* * *

وصيّة: (إن كنت عالما؛ فحرام عليك أن تعمل بخلاف ما أعطاك دليلك)

والذي أوصيك به إن كنت عالما؛ فحرام عليك أن تعمل بخلاف ما أعطاك دليلك، ويحرم عليك تقليد غيرك مع تمكّنك من حصول الدليل. وإن لم تكن لك هذه الدرجة، وكنتَ مقلّدا؛ فإيّاك أن تلتزمَ مذهبا بعينه؛ بل اعمل كما أمرك الله؛ فإنّ الله أمرك أن تسأل أهلَ الذِّكْر إن كنت لا تعلم، وأهل الذِّكْر هم العلماء بالكتاب والسنّة؛ فإنّ الذِّكْرَ: القرآنُ بالنصّ. واطلب رفع الحرج في نازلتك ما استطعت؛ فإنّ الله يقول: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] وقال ﷺ: «دينُ الله يُسر» فاسأل عن الرخصة في المسألة حتى تجدها؛ فإذا وجدتها اعمل بها. وإن قال لك المفتي: "هذا حكم الله، أو حكم رسوله في مسألتك" فخذ به. وإن قال لك: "هذا[3] رأيي" فلا تأخذ به، وسل غيره. وإن أردت أن تأخذ بالعزائم في نوازلك؛ فافعل، ولكن فيما يختصّ بك. ورفع الحرج هو السنّة. وإذا علِمتَ علما من علوم الشريعة؛ فبلّغه مَن لا يعلمه؛ تكن من حملة العلم لمن لا يعلم. وإيّاك أن تكتم ما أنزل اللهُ من البيّنات للناس إذا علمتَ ذلك.

وعليك بالسماحة في بَيعك وابتياعك، وإذا اقتضيتَ فكن سمحا في اقتضائك.

واجتنب الوَشْمَ أن تعمله أو تأمر به، وكذلك التنميص؛ وهو إزالة الشعر من الوجه بالمنماص، والمنماص

---

1 ص 95ب
2 [الحج : 78]
3 ص 96

هو الذي يسمّونه العوام: الجفت. وكذلك التفليج، فإنّ رسول الله يقول: «لعن الله الواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتنمّصة، والواشرة والمستوشرة» وهي التي تفلج أسنانها «والواصلة والمستوصلة، المغيّرات خلقَ الله» والواصلة هي التي تصل شعرها.

واحذر أن تعيّر عباد الله بما ابتلاهم الله به في خَلْقِهم وفي خُلُقهم، وما قدّر عليهم من المعاصي.

واسأل الله ﷻ العافية ما استطعتَ، وكن على نفسك، لا تكن لها؛ إن أردت أن تسعدها عند الله. وإيّاك وما تستحليه النفس[1]؛ إلّا أن يكون معها الشرع في ذلك؛ فهو الميزان.

وإيّاك أن تذبح ذبيحة لغير الله، ولا تأكل مما أُهِلّ لغير الله، وما لم يُذكر اسم الله عليه فإنّه فسق بنصّ القرآن.

ولا يستميلونك، أهلُ الذمّة، إلى ما يتبرّكون به في دينهم؛ فإنّ ذلك من الأمور المهلكة عند الله. ولقد رأيتُ بدمشق أكثر نسائها يفعلن ذلك، ورجالهنّ يسامحونهنّ في ذلك؛ وهو أنّهم يأخذون الصبيان الصغار، ويحملونهم إلى الكنيسة حتى يبارِكَ[2] القسُّ عليه، ويرشّونهم بماء المعموديّة بِنيّة التبرُّك، وهذا قرين الكفر؛ بل هو الكفر عينُه، وما يرتضيه مسلم ولا الإسلام، ويقرّبون القرابين لذلك.

واحذر أن تؤوي محدِثا أحدث في دين الله أمرا يبعّد عن الله ويردُّه الدين، مثل هذا الذي ذكرناه.

وإيّاك أن تغيّر حدود الأرض؛ فإنّ ذلك غصب، وقد لَعن رسول الله ﷺ مَن غيّر منار الأرض. واحذر أن تمثّل بحيوان، أو تتّخذه غرضا، أو يتّخذه غيرك، ولا تنهاه عنه.

وإيّاك ونكاح البهائم. ولقد كان عندنا رجل صالح، قليل العلم، قد انقطع في بيته، فاشترى حمارة لم تُعْلَمْ له حاجة إليها[3]. فسأله بعض الناس بعد سنين، وقال له: ما تصنع بهذه الحمارة، وما لك حاجة إليها ولا تركبها؟ فقال: يا أخي؛ ما اشتريتها إلّا عصمة لديني أنكحها حتى لا أزني. فقال له: إنّ ذلك حرام. فبكى وتاب إلى الله من ذلك، وقال: والله ما علمتُ. فعليك بالبحث عن دينك؛ حتى تعلم ما يحلّ لك أن تأتي منه، مما لا يحلّ لك أن تأتيه في تصرّفاتك.

---

1 ص 96ب
2 رسمها في ق: يبرك
3 ص 97

وصيّة: (إذا سألت المغفرةفاسأل أن يسترك عن الذنب أن يصيبك)

إذا سئلت المغفرة، وهي طلب الستر، فاسأل أن يسترك عن الذنب أن يصيبك؛ فتكون معصوما أو محفوظا. وإن كنت صاحب ذنب؛ فاسأله أن يسترك أن يصيبك عقوبة الذنب.

وإيّاك أن تظهر إلى الناس بأمر يعلم الله منك خلافه، فلقد أخبرني الثقة عندي عن الشيخ أبي الربيع الكفيف المالقي، كان بمصر يخدمه أبو عبد الله القرشيّ المبتلى، فدخل عليه الشيخ، وسمعه يقول في دعائه: اللهمّ يا ربّ؛ لا تفضح لنا سريرة. فصاح فيه الشيخ وقال له: الله يفضحك على رؤوس الأشهاد يا أبا عبد الله، ولأيّ شيء تظهر لله بأمر، وللناس بخلافه؟ أصدق مع الله ﷻ في[1] جميع أحوالك، ولا تضمر خلاف ما تظهر. فتاب إلى الله من ذلك، ورجع.

وليس للمغفرة متعلّق إلّا أن يسترك من الذنب، أو يسترك من العقوبة عليه. يقول الله -سبحانه- لنبيّه ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2] لما تقدّم لا يعاقبك عليه، وما تأخّر لا يصيبك، وهذا إخبار من الله بعصمته ﷺ. أخبرني سليمان الدنبلي، وكان عبدا صالحا فيما أحسب، كثير البكاء، وكان له أنس بالله، فقعدت معه بمقصورة الدولعي، زاوية عائشة بجامع دمشق، وجرى بيني وبينه كلام. فقال لي: يا أخي؛ لي والله أكثر من خمسين سنة، ما حدّثتني نفسي بمعصية قطّ، لله الحمد على ذلك.

واحذر -يا أخي- من التنطّع في الكلام، والتشدّق، وإيّاك أن يستعبدك غير الله مِن عَرَضٍ من عروض الدنيا؛ فإنّك عبد لمن استعبدك. وإيّاك والتكبّر والجبروت.

وتفقّد مصالح ما عندك من الحيوانات؛ من بهيمة، وفرس، وجمل، وهِرّة، وغير ذلك، ولا تغفل عنهم؛ فإنّهم خُرس، وأمانات بأيديكم؛ إذا أنتم حبستموها عن مصالحها.

وإيّاك أن تحدّث أخاك[3] بحديث يرى أنّك فيه صادق، فيصدّقك، وأنت فيه كاذب.

لا تحقّر أخاك شيئا من نعيم الله وإن قلّ، ولا تزدَرِ أحدا من عباد الله، واملِك نفسك عند الغضب.

وعليك بتحمّل الأذى من عباد الله، والصبر عليه؛ فـ«ليس أحد أصبر على أذى يسمعه[4] من الله»؛

---

1 ص 97ب

2 [الفتح : 2]

3 ص 98

4 ثابتة في الهامش بقلم الأصل

إنّهم ليدّعون له ولدا، وهو يرزقهم ويعافيهم؛ فاجعل الحقّ أمامك إمامَك، وعامِل عبادَه بما عامَلَهم به. نزل مشركٌ بإبراهيم الخليل، فاستضافه، فقال له إبراهيم عليه السلام: "حتى تُسْلِمْ" فقال: يا إبراهيم؛ لا أفعل، وانصرف. فأوحى الله إليه: «يا إبراهيم؛ من أجل لقمة يترك دينه ودين آبائه! إنّه ليشرك بي منذ سبعين سنة، وأنا أرزقه». فخرج إبراهيم عليه السلام في أثر الرجل، فعرض عليه الرجوع. فاستخبره عن ذلك؛ فأخبره بِعَتْبِ الله له في ذلك؛ فأسلم المشرك.

وعليك بترتيل القرآن والتغنّي به، وذلك بأن تحبّرَه وتستوفِيَ حروفَه.

وإيّاك أن تدعو إلى عصبيّة؛ بل ادعُ إلى الله.

وإذا كنت في سفر؛ فلا تَصُمْ؛ فإنّ ذلك ليس من البِرّ عند الله -تعالى-.

وإن كنت ولا بدَّ صاحبَ لَهْوٍ؛ فبامرأتك، وفرسك، وسهامك.

واجتنب الاسترقاء، والاكتواء، والطِّيرة؛ إن أردت أن تكون من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنّة بغير حساب.

وعليك بفعل البِرّ في[1] يوم الاثنين ويوم الخميس؛ فإنّهما يومان تُعرض فيهما الأعمال على الله -تعالى-، وكان رسول الله ﷺ لا يترك صومهما، ويقول: «إنّي أحبّ أن يُرفع عملي وأنا صائم» فإنّ الصومَ عبادةٌ تستغرقُ النهارَ كلَّه، سَوَاء غفل العبد عن عبادةٍ في ذلك اليوم أو لم يغفل؛ فإنّه في عبادة صومه بما نواه.

وإيّاك والشحناء؛ فإنّه نظير الشرك في عدم المغفرة عند الله.

واعلم أنّ العبد يُبعث على ما مات عليه؛ فلا تمت إلّا وأنت مسلِم.

إيّاك وصحبة مَن تفارقه، ولا تصحب إلّا من لا يفارقك؛ وهو العمل. فاجعل عملك صالحا تأنس به وتُسَرُّ، واجعله لك، لا عليك. واعلم أنّ القبر خزانة أعمالك؛ فلا تخزِن فيه إلّا ما إذا دخلتَ إليه يسرّك ما تراه، يقول بعضهم[2]:

---

1 ص 98ب
2 القائل هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

يا مَنْ بِدُنْياهُ اشْتَغَلْ	أَغَـرَّهُ طُـولُ الأَمَـلْ
وَلَـمْ يَـزَلْ فِي غَفْـلَةٍ	حَتَّى دَنا مِنْهُ الأَجَلْ
المَـوْتُ يَـأْتِي بَغْتَـةً	والقَبْرُ صُنْدُوقُ العَمَلْ

«يرجع عن الميّت أهلُه ومالُه، ويبقى معه عمله».

أشقى الناس يوم القيامة مَن أمر بالمعروف ولم يأته، ونهى عن المنكر وأتاه. وعليك بكسب الحلال، وطِيب المطعم، وفِرّ بدينك من الفتن إذا وقعتْ في[1] الناس وظهرتْ. وإيّاك والحرص على المال، واحذر أن تسبّ الدهرَ «فإنّ اللهَ هو الدهر» وإن أردت به الزمان؛ لما بيد الزمان شيء، بل الأمر بيد الله. لا تقل: مالي؛ «وهل لك من مالك إلّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدّقتَ فأمضيتَ» وما بقي بعد ذلك فعليك لا لك، وأنت مسئول عمّا جمعتَ: من أين جمعت؟ وفيمَ أنفقت؟ ولِمَ اختزنت؟.

لا تتزوّج من النساء إلّا ذات الدّين؛ فإنّ من أعظم النّعم على العبد المرأة الصالحة؛ تعينُ على الدين، ولا تكفُر العشير.

كن من حملة الدّين تكن عدلا بشهادة الرسول ﷺ فإنّه قال: «يحمل هذا العلم مِن كلّ خَلَفٍ عُدُولُهُ».

ابدأ بالسلام على مَن هو أكبر منك، وابدأ بالسلام على الماشي إن كنت راكبا، وعلى القاعد إن كنت ماشيا. ولقد جرى لي مع بعض الخلفاء ﷺ ذات يوم، كنّا نمشي ومعنا جماعة، وإذا بالخليفة مقبلٌ؛ فتنحّينا عن الطريق، وقلت لأصحابي: مَن بدأه بالسلام أرذلتُ به عنده. فلمّا وصل، وحاذانا بفرسه؛ انتظرَ أن نسلّم عليه كما جرت عادة الناس في السلام على الخلفاء والملوك، فلم نفعل. فنظر إلينا، وقال: "سلام عليكم ورحمة الله وبركاته" بصوت جهير. فقلنا له بأجمعنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. فقال[2]: جزاكم الله عن الدين خيرا، وشكرنا على فِعلنا، وانصرف. فتعجّب الحاضرون!.

«لا تَؤُمّنّ رجلا في سلطانه، ولا تقعد على تَكْرِمَتِه إلّا بإذنه»، ولا تدخل بيته إلّا بإذنه، ولا تَجُزْ مقدّم دابته إلّا بإذنه، «وليكن إمامَ القوم أقرؤهم لكتاب الله»، هذه وصيّة رسول الله ﷺ.

إذا استيقظتَ من نومك؛ فامسح النوم من عينيك، واذكر الله؛ تَحُلّ بذلك عقدة واحدة من عُقَد

1 ص 99

2 ص 99ب

الشيطان؛ فإنّه «يَعقِد على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَد، يضربُ مكان كلّ عقدة: عليك ليلٌ طويل؛ فارقد. فإن توضّأتَ حللتَ بوضوئك العقدة الثانية، فإن صلّيتَ حللتَ العُقَد كلَّها».

إيّاك أن تطلب الإمارة؛ فتُوكَل إليها.

وعليك بالصِّباغ، واجتنب السواد فيه؛ فإنّ رسول الله ﷺ أمر به، ورغّب فيه، وأعجبه.

واعلم أنّ «القلوب بيد الله بين إصبعين من أصابع الرحمن» كقلب واحد يصرّفه كيف يشاء. وقلوب الملوك بيد الله كذلك؛ يقبضها عنّا إذا شاء، ويعطف بها علينا إذا شاء، ليس لهم من الأمر شيء. فاعذروهم، وادعوا لهم، ولا تقعوا فيهم؛ فإنّهم نوّاب الله في عباده، وهم من الله بمكان؛ فاتركوا وُلاته له -تعالى- يعاملهم كيف شاء: إن شاء عفا عنهم فيما[1] قصّروا فيه، وإن شاء عاقبهم؛ فهو أبصر بهم. وعليك بالسمع والطاعة لهم، وإن كان عبدا حبشيّا مجدّع الأطراف.

دخل رجل نصرانيّ مشركٌ بعضَ البلاد، فبينا هو يمشي، وإذا بالناس يهرعون من كلّ مكان، ويقولون: هذا السلطان قد أقبل. فوقف المشرك ليراه؛ فإذا به أسود، كان مملوكا لبعض الناس، وأعتقه، مجدّع الأطراف، أقبح الناس صورة. فلمّا نظر إليه قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له في مُلكه، يفعل ما يريد، ويحكم ما يشاء. فقيل له: ما الذي دعاك إلى الإسلام والتوحيد؟ فقال: سلطنة هذا العبد الأسود؛ فإنّي رأيت من المحال أن يجتمع اثنان على تولية مثل هذا على الناس والأشراف والعلماء وأرباب الدين؛ فعلمت أنّ الله واحد يحكم بعلمه في عباده كيف يشاء، لا إله إلّا هو.

ورأيت هذا أنا من تصديق الله -تعالى- رسولَه ﷺ فيما مثّل به لنا في قوله: «وإن كان عبدا حبشيّا مجدّع الأطراف» فإنّي جرّبت المخبِرين عن الله إذا ضربوا الأمثال بأمر مّا؛ فإنّه لا بدّ من وقوع ذلك المضروب به المَثل.

كان أبو يزيد البسطامي يشير عن نفسه أنّه قطب الوقت، فقيل له يوما عن بعض الرجال إنّه يقال فيه: إنّه قطب الوقت. فقال: الولاةُ كثيرون، وأميرُ المؤمنين واحد، لو أنّ رجلا شقّ العصا، وقام[2] ثائرا في هذا الموضع -وأشار إلى قلعة معيّنة- وادّعى أنّه خليفة؛ قُتِل، ولم يتمّ له ذلك، وبقي أميرُ المؤمنين أميرَ

---

1 ص 100
2 ص 100ب

المؤمنين. فما مرّت الأيّام حتى ثار في تلك القلعة ثائر، ادّعى الخلافة وقُتِل، وما تمّ له ذلك، فوقع ما ضرب به أبو يزيد المثل عن نفسه.

فإيّاك والوقوع في ولاة أمور المسلمين، وإيّاك أن تنزل أحدا من الله منزلةً لا تعرفها، لا بتزكية عند الله فيه، ولا بتجريح؛ إلّا أن تكون على بصيرة من الله -تعالى- فيه؛ فإنّ ذلك افتراء على الله، ولو صادفتَ الحقّ؛ فقد أسأتَ الأدب، وهذا داء عضال؛ بل حسّن الظنّ به، وقل: فيما أحسب وأظنّ هو كذا وكذا، ولا تزكّي على الله أحدا. فهذا رسول الله ﷺ ولا يدري ما يُفعلُ به، ولا بنا؛ بل يتّبع ما يوحى إليه؛ فما عُرِّف به من الأمور عرّفها، وما لم يُعرَّف به من الأمور لم يُعرّفه، وكان فيه كواحد من الناس.

فكم رجُلٍ عظيم عند الناس يأتي يوم القيامة لا يزنُ عند الله جناح بعوضة؟. وفكّر في يوم القيامة وهَوْلِه، وما يلقى الناس فيه، وهو يوم التنادي ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[1] تلجؤون إليه. ولقد ثبت أنّ العَرَقَ يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين ذراعا، وأنّه ليبلغ أفواه الناس. وعليك بالدعاء؛ أن[2] يعيذك الله من فتنة القبر، ومن فتنة الدجّال، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرّ ما صنعت، ومن شرّ ما خلق.

وقد أوصيتك بتغطية الإناء؛ فإنّه ثبت: «إنّ لله في السنة ليلةً غيرَ معيّنةٍ ينزل فيها وباءٌ لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء؛ إلّا دخل فيه من ذلك الوباء، أو سِقاء ليس عليه وكاء».

وإنّ للشيطان فتنة؛ فاستعذ بالله منها، وراقبْ قلبَك وخواطرك، وَزِنْها بميزان الشريعة الموضوع في الأرض لمعرفة الحقّ؛ فإنّك إذا فعلتَ ذلك؛ كنت في أمورك تجري على الحقّ؛ فإنّ إبليسَ يضع عرشه على الماء؛ لِمَا علم أنّ العرش الرحمانيّ على الماء، يلبّس بذلك على الناس أنّه الله، كما فعل بابن صيّاد، وقد قال له رسول الله ﷺ: ما ترى؟ قال: أرى عرشا على البحر. فقال (ص): «ذلك عرشُ إبليس» يقول الله -تعالى- في عرشه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[3] ثمّ قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ والابتلاء فتنةٌ. فإبليس ما له نظرٌ إلّا في الأوضاع الإلهيّة الحقيقيّة، فيقيم في الخيال أمثلتها، ليقال: "هي عينُها" فيغترُّ بها مَن نظر إليها، وما ثَمّ شيء؛ فإنّ الله قد أعطاه السلطنة على خيال[4] الإنسان؛ فيُخيّل إليه ما يشاء. فإذا وضع عرشه على الماء؛ بعث

---

1 [غافر : 33]
2 ص 101
3 [هود : 7]
4 ص 101ب

سراياه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا إلى قلوب بني آدم: إلى الكافر ليثبت على كفره، وإلى المؤمن ليرجع عن إيمانه، وأدناهم مِن إبليس منزلةً أعظمُهم فتنةً، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

* * *

وصيّة: (ادعُ الله أن يجعلك من صالحي المؤمنين)

ادعُ الله أن يجعلك من صالحي المؤمنين تكنْ وليّ رسول الله ﷺ وناصِرَه؛ فإنّ الله قرَن صالحَ المؤمنين مع نفسه، وجبريل، والملائكة في نُصرة رسول الله ﷺ، وقال رسول الله ﷺ: «إنما وليّيَ اللهُ وصالحُ المؤمنين».

وإن كنتَ واليا فلتُساوِ في إقامة الحدود الشرعيّة على مَن تعيَّنَتْ؛ من شريف ووضيع، ومَن تحبّه وتكرهه؛ فإنّ رسول الله ﷺ ثبت عنه أنّه قال: «إنما هَلَك مَن كان قبلكم أنّهم كانوا يقيمون الحدود على الوضيع ويتركون الشريف».

وإيّاك -يا أخي- أن تحجر عناية الله عن إماء الله[1] لمّا سمعت أنّ ﴿لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[2] فتلك درجة الانفعال (بحكم الأصل)؛ فإنّ حوّاء خُلقت من آدم؛ فلمّا انفعلت عنه كان له عليها درجة السبق. فكلّ أنثى مِن سَبْقِ ماءِ المرأة ماءَ الرجل، وعلوّه على ماء الرجل. هذا هو الثابت عن رسول الله ﷺ فاعلم ذلك؛ فللرجال عليهنّ درجة؛ فإنّ الحكم لكلّ أنثى لماء أمّها. وهنا سِرٌّ عجيب دقيق روحانيّ، من أجله كان «النساء شقائق الرجال» لخُلقت المرأة من شِقّ الرجل؛ فهو أصلها؛ فله عليها درجة السببيّة. ولا تقل: "هذا مخصوص بحوّاء"؛ فكلّ أنثى -كما أخبرتُك- من مائها، أي مِن سَبْق مائها، وعلوّه على ماء الرجل. وكلُّ ذكرٍ مِن سَبْقِ ماءِ الرجل، وعلوّه على ماء الأنثى. وكلُّ خنثى لِمِن مساواة المائين، وامتزاجهما من غير مسابقة.

واحذر من فتنة الدنيا وزينتِها. وفرّق بين زينة الله، وزينة الشيطان، وزينة الحياة الدنيا. إذا جاءت الزينة مهملةً، غيرَ منسوبة؛ فإنّك لا تدري مَن زيّنها لك؛ فانظر ذلك في موضع آخر، واتّخذه دليلا على ما انبهم عليك، مثل قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾[3] ومثل قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾[4] ولم يذكر مَن زيّنه؛

1 هناك إشارة شطب على حرف الألف الأولى، ثم كلمة "صح" فوق لفظ الجلالة
2 [البقرة : 228]، ص 102
3 [النمل : 4]
4 [فاطر : 8]

فتستدلّ على مَن زيّنه من[1] نفس العمل. فزينة الله غير محرّمة، وزينةُ الشيطان محرّمة، وزينة الدنيا ذات وجهين: وجهٌ إلى الإباحة والندب، ووجهٌ إلى التحريم. والحياةُ الدنيا وطنُ الابتلاء؛ لجعلها الله حلوة خضرة، واستخلف فيها عبادَه؛ فناظِرٌ كيف يعملون فيها، بهذا جاء الخبر النبويّ. فاتّقِ فتنتَها، وميِّز زينتها، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

وإذا لجأك أمرٌ تكرهه؛ فاصبر له عندما يفجؤك؛ فذلك هو الصبر المحمود. ولا تتسخّط[3] له ابتداء، ثمّ تنظر[4] بعد ذلك أنّ الأمر بيد الله، وأنّ ذلك من الله؛ فتصبر عند ذلك؛ فليس ذلك بالصبر المحمود عند الله الذي حرّض عليه رسول الله ﷺ. ولقد مرّ رسول الله ﷺ بامرأة وهي تصرخ على ولدٍ لها مات، فأمرها أن تحتسبه عند الله وتصبر، ولم تعرف (المرأةُ) أنّه رسول الله ﷺ فقالت له: إليك عنّي؛ فإنّك لم تُصَبْ بمصيبتي. فقيل لها: هذا رسول الله ﷺ فجاءت تعتذر إليه مما جرى منها. فقال لها رسول الله ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة[5] الأولَى» ينبّه ﷺ العبدَ أنّه لا يزال حاضرا مع الله أبدا؛ فهو أوْلَى به.

وعليك برحمة الضعيف المستضعف؛ فإنّه قد ثبت «أنّ الله ينصر عباده ويرزقهم بضعفائهم».

وإذا اقترضت من أحدٍ قرضا؛ فأحسِن الأداءَ، وأرجِح إذا وَزَنْتَ له، واشكره على قرضِه إيّاك، وانظر الفضلَ له ولكلّ مَن أحسن إليك، أو أهدَى لك هديّة، أو تصدّق عليك ولو بالسلام؛ فإنّ له الفضل عليك بالتقدّم[6]. وما عرف مقدار السلام -الذي هو التحيّة- إلّا الصدر الأوّل؛ فإنّي رويت أنّهم كانوا إذا حالت بين الرجلين شجرةٌ، وهما يمشيان في الطريق، فإذا تركاها والتقيا سلَّمَ كلٌّ واحد منهما على صاحبه؛ لمعرفته بسرعة تقلّب النفوس، وما يبادر إليها من الخواطر القبيحة من إلقاء إبليس. فيكون السلامُ بشارةً لصاحبه أنّه سلِم من ذلك، وأنّه معه على ما افترقا عليه من حسن المودّة؛ فانظر إلى معرفتهم بالنفوس ﷺ.

ومن قال لك أنّه يحبّك؛ فلو أحببته ما عسى أن تحبّه؛ لن تبلغَ درجة تقدُّمه في حبّه إيّاك؛ فإنّ حبَّك نتيجةٌ عن ذلك الحبّ المتقدّم. وما قلت لك ذلك إلّا أنّي رأيت وسمعت من فقراء زماننا؛ مِن[7] جمّالهم، لا

---

1 ص 102ب
2 [طه : 114]
3 ق: يتسخط
4 ق: ينظر
5 ص 103
6 "فإن له.. بالتقدم" ثابتة في الهامش بقلم الأصل
7 ص 103ب

من علمائهم؛ يرون الفضل لهم على الأغنياء؛ حيث كانوا فقراء لما يأخذونه منهم؛ إذ لولا الفقراء ما صحّ لهم هذا الفضل. وهذا غلط عظيم؛ فإنّ الثناء على المعطي ما هو من حيث ما وَجَد من يأخذ منه، وإنما هو لقيام صفة الكرم به، ووقايته شُحَّ نفسه، سواء وَجد مَن يأخذ منه، أو لم يجد.

ألا ترى إلى النصّ الوارد في المتمنّي مع العدم، إذا تمنّى ويقول: لو أنّ لي مالا؛ فعلتُ فيه من الخير مثل ما فعل هذا المعطي؛ فأجرهما سَوَاء، وزاد عليه بارتفاع الحساب عنه والسؤال؟ ولهذا قلنا: بأن ترى الفضل عليك لمن أعطى؛ بما أعطى؛ فهو أَوْلَى بك، وأنّ «اليد العليا هي خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفِقة، واليد السفلى هي السائلة» هذا السؤال[1]؛ ولكن إذا لم تر اللهَ في سؤالها؛ لأنّ الحقّ قد سأل عباده في أمره إيّاهم أن يُقرضوه ويذكروه. وهنا أسرار في التنزّل الإلهيّ إلى عباده.

* * *

وصيّة: (إذا قرأتَ فاتحةَ الكتاب؛ فَصِلْ بَسْمَلَتَها معها في نَفَس واحد من غير قطع)

إذا قرأتَ فاتحةَ الكتاب؛ فَصِلْ بَسْمَلَتَها معها في نَفَس واحد من غير قطع؛ فإنّي أقول: بالله العظيم، لقد حدّثني أبو الحسن علي بن أبي الفتح المعروف والده بالكناري، بمدينة الموصل، سنة[2] إحدى وستمائة، وقال: بالله العظيم، لقد سمعت شيخنا أبا الفضل عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب يقول: بالله العظيم لقد سمعت والدي أحمد يقول: بالله العظيم لقد سمعت المبارك بن أحمد بن محمد النيسابوري المقري يقول: بالله العظيم، لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضل بن محمد الكاتب الهروي، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثنا أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي من لفظه، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني عبد الله المعروف بأبي نصر السرخسي، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثنا أبو بكر محمد بن الفضل، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى الورّاق الفقيه، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني محمد بن يونس الطويل الفقيه، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني موسى بن عيسى وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني أبو بكر الراجعي وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني عمّار بن موسى البرمكي وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني أنس بن مالك، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني عليّ بن أبي طالب، وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني أبو بكر الصدّيق، وقال[3]: بالله

---

1 "هذا السؤال" ثابتة في الهامش بقلم الأصل

2 ص 104

3 ص 104ب

العظيم، لقد حدّثني محمد المصطفى -صلّى الله عليه وسلّم تسليما- وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني جبريل عليه السلام وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني ميكائيل عليه السلام وقال: بالله العظيم، لقد حدّثني إسرافيل عليه السلام وقال: قال الله -تعالى- لي: «يا إسرافيل؛ بعزّتي وجلالي، وجودي وكرمي؛ من قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[1] متّصلة بفاتحة الكتاب مرّة واحدة؛ اشهدوا عليّ أنّي قد غفرت له، وقبلت منه الحسنات، وتجاوزت عنه السيّئات، ولا أُحرق لسانه بالنار، وأجيره من عذاب القبر، وعذاب النار، وعذاب القيامة، والفزع الأكبر، ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين».

* * *

وصيّة: (كن غيورا لله -تعالى)

كن غيورا لله -تعالى-، واحذر من الغيرة الطبيعيّة الحيوانيّة أن تستفزّك وتلبّس عليك نفسك بها، وأنا أعطيك في ذلك ميزانا؛ وذلك أنّ الذي يغار لله دينا؛ إنما يغار لانتهاك محارم الله على نفسه وعلى غيره. فكما يغار على أُمّه أن يزني بها أحدٌ، كذلك يغار على أمّ غيره أن[2] يزني هو بها، وكذلك البنت، والأخت، والزوجة، والجارية. فإنّ كلّ امرأة يُزنى بها قد تكون أمّا لشخص، وبنتا لآخر، وأختا لآخر، وزوجة لآخر، وجارية لآخر. وكلّ واحد منهم لا يريد أن يزني أحدٌ بأُمّه، ولا بأخته، ولا بابنته، ولا بزوجته، ولا بجاريته كما لا يريد هذا الغَيْرَان الذي يزعم أنّه يغار لله دينا. فإن فعل شيئا من هذا، وزَنَى، وادّعى الغيرة في الدين، أو المروءة؛ فاعلم أنّه كاذب في دعواه. فإنّه ليس بذي دين ولا مروءة؛ مَن يكره لنفسه شيئا، ولا يكرهه لغيره؛ فليس بذي غَيْرَة إيمانيّة. يقول النبيّ ﷺ في سعدٍ والحديث مشهور: «إنّ سعدا لغيور، وإنّي لأغْيَر من سعد، وإنّ الله أغيرُ منّي؛ ومن غيرته حرّم الفواحش» ولقد مات رسول الله ﷺ وما مسّتْ يدُه يدَ امرأة لا يحلُّ له لمسُها، وهو رسول الله. وما كانت تبايعه النساء إلّا بالقول، وقولُه للواحدة قولُه للجميع. فاجعل ميزانك في الغيرة للدين هذا؛ فإن وفّيت به فاعلم أنّك غيور للدين والمروءة، وإن وجدت خلاف ذلك؛ فتلك غَيْرة طبيعيّة حيوانيّة، ليس لله ولا للمروءة فيها دخول؛ حتى تغار منك كما تغار عليك. وقد ثبت: «ما من أحد أغْيَرُ من الله أن يَزْنِيَ عبدُه[3] أو تزني أمَتُه».

وإذا أصابتك مصيبة فقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[4] فلا تُنزل ما تجدُ منها إلّا بالله، ثمّ قل: «اللهم

1 [الفاتحة : 1]
2 ص 105
3 ص 105ب
4 [البقرة : 156]

أجبرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها» فإنّه ثبت عن رسول الله ﷺ: «إنّ العبد إذا قال هذا أخلف الله له خيرا منها». ولقد مات أبو سلمة؛ فقالت امرأتُه هذا القول، وهي تقول: ومَن خيرٌ من أبي سلمة؟ فأخلفَها اللهُ خيرا من أبي سلمة، وهو رسول الله ﷺ فتزوّج بها، وصارت من أمّهات المؤمنين. ولم يكن أصلُ هذه العناية الإلهيّة بها إلّا هذا القول، عندما أصيبت بموت زوجها أبي سلمة.

وإذا مات لك ميّتٌ؛ فاجهد أن يصلّي عليه مائةُ مسلم، أو أربعون؛ فإنّهم شفعاءُ له عند الله، ثبت في ذلك عن رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصلّي عليه أمّةٌ من المسلمين يبلغون مائة كلّهم يشفعون له إلّا شُفّعوا فيه». وحديث آخر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت يقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا؛ إلّا شفّعهم الله فيه» ومعنى "لا يشركون بالله شيئا" أيْ لا يجعلون مع الله إلها آخر. وروينا عن بعض العرب أنّه مرّ بجنازة يصلّي عليها أمّةٌ كثيرة من المسلمين، فنزل عن دابّته[1]، وصلّى عليها. فقيل له في ذلك، فقال: إنّها من أهل الجنّة. فقيل: ومَن لك بذلك؟[2] فقال: وأيُّ كريم يأتي إليه جماعة يشفعون عنده في شخص؛ فيردّ شفاعتهم؟! لا والله؛ لا يردّها أبدا؛ فكيف الله الذي هو أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء؟! فما دعاهم ليشفعوا فيه إلّا ويقبل شفاعتهم؛ إذ الكريم يقبلها وإن لم يَدْعُهم إلى الشفاعة فيه؛ فكيف وقد دعاهم؟!

اعلم أنّ الله أمرك أن تتّقي النار، فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾[3] أي اجعل بينك وبينها وقاية؛ حتى لا يَصل إليك أذاها يوم القيامة. فإنّه ثبت أنّه «ما من أحدٍ إلّا سيكلّمه الله ليس بينه وبينه ترجمان. فينظر أيمَنَ منه؛ فلا يرى إلّا ما قدّم، وينظر أشأمَ منه؛ فلا يرى إلّا ما قدّم، وينظر بين يديه؛ فلا يرى إلّا النار؛ فاتّقوا النار ولو بشقّ تمرة». ولقد وُشي ببعض شيوخنا بالمغرب عند السلطان بأمرٍ فيه حتفُه، وكان أهلُ البلد قد أجمعوا على ما وُشِي به وما قيل فيه مما يؤدّي إلى هلاكه. فأمر السلطان نائبَه أن يجمع النّاس ويحضر هذا الرجل؛ فإن أجمعوا عليه على ما قيل فيه؛ أمَر الواليَ أن يقتله، وإن قيل غير ذلك؛ خلّى سبيله. فَجُمع الناس لميقات يوم معلوم، وعرفوا ما جُمعوا له، وكلّهم على لسان واحد أنّه فاسقٌ يجب قتله بلا مخالف. فلمّا جيء[4] بالرجلِ مَرّ في طريقه بخبّاز؛ فاقترض منه نصف رغيف؛ فتصدّق به من ساعته.

---

1 ص 106

2 هناك تعليق في الهامش بقلم آخر هو: "مما يحفظ جدّا"

3 [آل عمران : 131]

4 ص 106ب

فلمّا وصل إلى المحفل، وكان الوالي مِن أكبر أعدائه، أُقيم في الناس، وقيل لهم: ما عندكم في هذا الرجل؟ وما تقولون فيه؟ وسَمّوه. فما بقي أحد من الناس إلّا قال: "هو عدلٌ رضا" عن آخرهم. فتعجّب الوالي من قولهم خلاف ما كان يعلمه منهم، وما كانوا يقولون فيه قبل حضوره! فعلم أنّ الأمر إلهيٌّ، والشيخ يضحك. فقال له الوالي: مِمّ تضحك؟ فقال: من صِدق رسول الله ﷺ تعجُّبًا به وإيمانا. واللهِ؛ ما من أحد من هذه الجماعة إلّا ويعتقد فِيّ خلاف ما شَهِد به، وأنت كذلك، وكلّكم عليّ، لا لي. فتذكّرتُ النار، ورأيتها أقوى غضبا منكم، وتذكّرت نصف رغيف، ورأيته أكبر من نصف تمرة، وسمعت عن رسول الله ﷺ يقول: «اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة»؛ فاتّقيت غضبكم بنصف رغيف؛ فدفعت الأقلّ من النار بالأكثر من شقّ التمرة.

وعليك -يا أخي- بالصدقة؛ فإنّها تطفئ غضب الربّ، ولها ظلٌّ يوم القيامة يقي من حرّ الشمس في ذلك الموقف، وإنّ الرجل يكون يوم القيامة في ظلّ صدقته حتى يُقضى بين الناس. وما من يوم يصبح فيه العبد[1] إلّا ومَلَكان ينزلان، كذا جاء وثبت عن رسول الله ﷺ «يقول أحدهما: اللهمّ أعط منفقا خلفا، وهو قوله -تعالى-: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[2] ويقول الآخر: اللهمّ أعط ممسكا تلفا» يدعو له بالإنفاق مثل الأوّل المنفق، لا يدعو عليه؛ فإنّهم لا يدعون إلّا بخير؛ فهم الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[3] وهم الذين قال الله فيهم إنّهم ﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[4] فما أراد المَلَك بالتلف في دعائه إلّا الإنفاق، وهذا خلاف ما يتوهّمه الناس في تأويل هذا الخبر، وليس إلّا ما قلناه. فإنّ النبيّ ﷺ يقول في الرجل الذي آتاه الله مالا فسلّطه على هلَكته؛ فيتصدّق به يمينا وشمالا؛ فجعل صدقته هلاكَ المال، وهذا معنى تلفه. والإنفاق ليس إلّا هلاك المال؛ فإنّه مِن نَفقتِ الدابّةُ إذا هَلَكتْ، فالمال المنفوق هو الهالك؛ لأنّه هلَك عن يد صاحبه؛ ولهذا دعا للمنفِق بالخلَف وهو العِوَض لما مرّ منه، مع ادّخار الله له ذلك عنده إلى يوم القيامة؛ إذا قصد به القربةَ، واقترنت بعطائه النيّة الصالحة.

---

1 ص 107
2 [سبأ : 39]
3 [غافر : 7]
4 [الشورى : 5]

وصيّة: (احذر أن يراك الله حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمَرَك)

احذر أن يراك الله حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمَرَك. واجهد[1] أن يكون لك خبيئة عمل؛ لا يعلم بها إلّا الله؛ فإنّ ذلك أعظم وسيلة لخلوص ذلك العمل من الشَّوْب، وقليل من يكون له هذا.

وعليك بصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، وثابر على عمل الخير في عَشر ذي الحجّة، وفي عَشر المحرّم. وإذا قدرتَ على صوم يوم في سبيل الله؛ بحيث لا يؤثّر فيك ضعفا في بلائك في العدوّ؛ فافعل.

وإذا علمتَ أنّ النفس تحبّ أن تمشي في خدمتها؛ فاجهد أن تجعل الملائكة تمشي في خدمتك، وتضع أجنحتها لك في طريقك؛ وذلك بأن تكون من طلّاب العلم. وإن كان بالعمل فهو أَوْلَى، وأحقّ، وأعظم عند الله، وهو قوله: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[2]. وكذلك إذا خرجت تعود مريضا مُمسِيًا أو مصبِحا أو معًا؛ فأنت إذا خرجت من عنده خرج معك سبعون ألف مَلَك يستغفرون لك؛ إن كان صباحا حتى تمسي، وإن كان مساء حتى تصبح.

واجهد أن تقرأ في كلّ صباح ومساء: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم" ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ[3] الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4] تقرأ ذلك ثلاث مرّات على صورة ما قلناه، تتعوّذ في كلّ مرّة بالتّعوذ الذي ذكرناه.

وكذلك بعد صلاة المغرب، وبعد صلاة الصبح قبل أن تتكلّم وعندما تسلّم من الصلاة تقول[5]: "اللهم أجرني من النار" سبع مرات. وكذلك إذا صلّيت المغرب بعد أن تسلّم وقبل أن تتكلّم؛ تصلّي ست ركعات؛ ركعتان منها تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ست مرّات والمعوّذتين في كلّ ركعة من الركعتين. فإذا سلّمت، تقل عقيب السلام: "اللهم سدّدني بالإيمان، واحفظه عليّ: في حياتي، وعند وفاتي، وبعد مماتي". وكذلك تقول في أثر كلّ صلاةٍ فريضة إذا سلّمت منها وقبل الكلام: "اللهم إنّي

---

1 ص 107ب
2 [الأنفال : 29]
3 ص 108
4 [الحشر : 22 - 24]
5 "تتكلم.. تسلم.. تقول" هي في ق: "يتكلم.. يسلم.. يقول"

أقدّم إليك بين يدي كلّ نفَس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض، وكلّ شيء هو في علمك كائن أو قد كان، اللهم إنّي أقدّم إليك بين يدي ذلك كلّه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ [1] وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[2].

وإيّاك والإصرار؛ وهو الإقامة على الذنب؛ بل تب إلى الله في كلّ حال، وعلى أثر كلّ ذنب.

ولقد أخبرني بعض الصالحين، بمدينة قُرْطُبَة من أهلها، قال: سمعت أنّ بمرسيّة رجلا عالما -أعرفُه، ورأيته، وحضرتُ مجلسه سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمرسيّة، وكان هذا العالم مسرفا على نفسه، وما منعني أن أُسمّيه إلّا خوفي أن يُعرف إذا سمّيته- فقال لي ذلك الفقير الصالح: قصدتُ زيارة هذا العالم؛ فامتنع من الخروج إليّ؛ لراحة كان عليها مع إخوانه؛ فأبيت إلّا رؤيته. فقال: أخبروه بالذي أنا عليه. فقلت: لا بدّ لي منه. فأمر؛ فدخلت عليه، وقد فرغ ما كان بأيديهم من الخمر. فقال له بعض الحاضرين: اكتب إلى فلان يبعث إلينا شيئا من الخمر. فقال: لا أفعل؛ أتريدون أن أكون مُصِرًّا على معصية الله، والله ما أشرب كأسا إذا تناولته إلّا وأتوب عقيبه إلى الله -تعالى-، ولا أنتظر الكأس الآخر، ولا أحدّث به نفسي. فإذا وصل الدور إليّ، وجاء الساقي بالكأس ليناولني إيّاه؛ أنظر في نفسي؛ فإن رأيت أن أتناولَه منه تناولته وشربته، وتبت عقيبه، فعسى الله أن يمنّ عليّ بوقت لا يخطر لي فيه أن أعصي الله. قال الفقير: فتعجّبت منه مع إسرافه على نفسه؛ كيف لم[3] يغفل عن مثل هذا، ومات -رحمه الله-.

وصيّة: (إذا صلّيت فلا ترفع بصرك إلى السماء)

إذا صلّيت فلا ترفع بصرك إلى السماء؛ فإنّك لا تدري: يرجعُ إليك بصرُك، أم لا؟ وليكن نظرك إلى موضع سجودك أو قِبلتك، وحافظ على تسوية الصفّ في الصلاة، وإذا رأيت مَن برز بصدره عن الصفّ؛ رُدّه إليه.

واحذر أن تأتي أمرا إلّا عن بصيرة وعلم، ولا تدخل في عملٍ لا تعرف حكمه عند الله، وأدّ الحقوق في

1 ص 108ب
2 [البقرة : 255]
3 ص 109

الدنيا؛ فإنّه لا بدّ من أدائها. فإن أدّيتها هنا؛ شكر الله فِعلك، وأفلحتَ.

وعليك بمخالفة أهل الكتاب، وكلّ من ليس على دينك. ولو كان خيرا فاطلب على ذلك في الشرع؛ فإذا وجدته مجملا أو معيّنا؛ فاعمل به من حيث ما هو مشروع لك؛ تكن مؤمنا. وإذا رأيت ما تنكره ولا تعرفه؛ فسلّمه إلى صاحبه، ولا تعترض عليه؛ فإنّ الله ما ألزمك إلّا بما تعرف حكم الله فيه؛ فتحكم فيه بحكم الله، ولا تنظر إلى إنكارك فيه مع عدم علمك به؛ فقد يكون ذلك الإنكار من الشيطان وأنت لا تعرف، ورأيتُ كثيرا من الناس يقعون في مثل هذا.

وإيّاك والاعتداءَ في الدعاء والطهور؛ فإنّ ذلك مذموم وليس بعبادة. ومثل الاعتداء في الدعاء: أن تدعوَ بقطيعة[1] رحم، وشبه ذلك. والاعتداء في الطهور: الإسراف في الماء، والزيادة على الثلاث في الوضوء. وإذا توضّأتَ فاعزم أن تجمع بين مسح رجليك، وغسلها؛ فإنّه أَوْلَى. ولا تترك شيئا من سنن الوضوء؛ فإنّ من سننه ما فيه خلاف بين وجوبه وعدم وجوبه؛ كالمضمضة، والاستنثار.

وإذا صلّيت فاسكن في صلاتك، ولا تلتفت يمينا وشمالا، ولا تعبث بلحيتك في الصلاة، ولا بشيء من ثيابك، ولا تشتمل الصمّاء في الصلاة، وليكن ظهرك مستويا في ركوعك، ولا تدبج كما يدبج الحمار.

واحذر أن تكون مكّاسا، وهو العَشّار، أو مدمنَ خمر، أو مُصِرًّا على معصية. وإيّاك والغُلول والربا.

وعليك بالدعاء بين الأذان والإقامة.

وعليك بذِكْر لفظة: "اللهُ اللهُ" من غير مزيد؛ فإنّ نتيجة هذا الذِّكْر عظيمة. قلت لبعض الحاضرين مع الله من شيوخنا وكان ذِكْرُه: "اللهُ اللهُ" من غير مزيد. فقلت له: لِمَ لا تقول: "لا إله إلّا الله" أطلب بذلك الفائدة. فقال لي: يا ولدي؛ أنفاسُ المتنفّس بيد الله، ما هي بيدي، وكلّ حرف نفَس؛ فنخاف إذا قلت: "لا" أريد: "لا إله إلّا الله" فربما يكون النفَس بـ"لا" آخرَ نَفَسي؛ فأموت في وحشة النفي، وكلمة "الله" فيها من الفائدة ما لا يكون في غيرها؛ فإنّه ما ثَمّ[2] كلمة تحذف منها حرفا فحرفا؛ إلّا ويختلّ ما بقي؛ إلّا هذه الكلمة، كلمة "الله" فلو زال الألِف بقي: "لله" كلمة مفيدة، فلو زالت اللام الأُولَى؛ بقي: "له"

---

1 ص 109ب
2 ص 110

وقد قال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾[1] وقال: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] فلو زال اللامان والألف؛ بقي: "الهاء"، وهو قولك: "هُو" وقد جاء: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾[3] وفي غير هذه الكلمة -فيما أظنّ- ما تجد غير هذا، وكان رجلا أُمّيًا من عامّة الناس، وكان نظره مثل هذا واعتباره[4].

وعليك بالتباهي في الأمور الدينيّة، وتزيين المصاحف والمساجد، ولا تنظر إلى قول الشارع في ذلك إنّه من أشراط الساعة، كما يقول من لا علم له[5]؛ فإنّ رسول الله ﷺ ما ذمّ ذلك. وما كلّ علامة على قرب الساعة تكون مذمومة؛ بل ذَكَر رسول الله ﷺ للساعة أمورا ذمّها، وأمورا حمِدها، وأمورا لا حمد فيها ولا ذمّ. فمن علامات الساعة المذمومة: أن يعقّ الرجلُ أباه، ويبرّ صديقه، وارتفاع الأمانة. ومن المحمود: التباهي في المساجد[6]، وزخرفتها، فإنّ ذلك من تعظيم شعائر الله، ومما يغيظ الكفّار. ومما ليس بمحمود ولا مذموم؛ كنزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابّة؛ فهذه من علامات الساعة، ولا يقترن بها ذمٌّ ولا حمد؛ لأنّها ليست من فعل المكلّف، وإنما يتعلّق الذمُّ والحمد بفعل المكلّف[7]. فلا تجعل علامات الساعة من الأمور المذمومة كما يفعله مَن لا علم له، ورأيت من القائلين بذلك كثيرا.

وحافِظ على الصفّ الأوّل في الصلاة ما استطعتَ؛ فإنّه قد ثبت: «لا يزال قوم يتأخّرون عن الصفّ الأوّل حتى يؤخّرهم الله في النار». وإذا دعوتَ الله فلا تستبطئ الإجابة، ولا تقل: إنّ الله ما استجاب لي؛ فإنّه الصادق، وقد قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[8] فقد أجابك، إن كان سَمْعُ إيمانك مفتوحا؛ فقد سمعتَه، وإلّا فاتّهم إيمانك بذلك. فإن دعوتَ بإثم أو قطيعة رحم؛ فإنّ مثل هذا الدعاء لا يستجيب الله لصاحبه؛ فإنّه -تعالى- قد شرع لنا ما ندعوه فيه، وهذا هو الاعتداء في الدعاء «وأنّ الله يستجيب للعبد ما لم يقل العبد الداعي: لم يستجب لي» -بما يجوز فيه الدعاء-. فإنّه إذا قال: "لم يستجب لي" فقد كذّب اللهَ في قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ومَن كذّب اللهَ؛ فليس بمؤمن، وله الويل مع المكذّبين؛ إلّا أن يتوب.

---

1 [البقرة : 284]
2 [البقرة : 107]
3 [الكهف : 38]
4 رسمها في ق: واعتبار
5 ثابتة في الهامش بقلم آخر، مع إشارة التصويب وحرف خ
6 رسمها في ق: المسجد
7 ص 110ب
8 [البقرة : 186]

وعليك، إذا لم تواصل صومك، بتعجيل الفطر، وتأخير أكلة السحور.

وأمّا العبد إذا صلّى؛ أقبل الله عليه في صلاته ما لم يلتفِت؛ فإذا التفتَ أعرض الله عنه، وكان لِمَا التفت. إلّا إذا التفت لأمر مشروع؛ ليقيم -بذلك الالتفات- أمرا[1] يختصّ بالصلاة؛ كالتفات أبي بكر لَمّا سُبِّح به عند مجيء رسول الله ﷺ؛ فذلك ما أعرض عن الله.

واجتنِب دخول المسجد إن كنت جنبا، وقراءة القرآن، ومسّ المصحف، وكذلك الحائض؛ فإنّه أَخْرَجُ عن الخلاف. وكلّما قدرتَ أن لا تفعل فعلا إلّا ما يكون الإجماع عليه؛ فهو أَوْلَى ما لم تضطر إليه؛ مثل اجتناب أكل ثمن الكلب، وثمن[2] الحجام، وحُلوان الكاهن، ومهر البغيّ. ولا تقبل صدقة إن كنت ذا غِنى، أو قادرا على الكسب.

وإيّاك أن تتقدّم على قوم إلّا بإذنهم، ولا تروّع مسلما بما يَروعه منك، أيّ شيء كان.

وعليك بمجالس الذِّكْر.

ولا تتصدّق إلّا بطيّب، أعني بحلال.

وإن كنت مجاورا بالمدينة[3]؛ فلا يخرجنّك منها ما تلقاه من الشدّة فيها؛ من الغلاء، واللأواء. ولا تُرِدْ أهلَ المدينة بسوءٍ، بل ولا مسلما[4] أصلا. وإذا أُصبت من جهة فاجتنبها.

وانظر في محاسن الناس، ولا تنظر من إخوانك من المؤمنين إلّا محاسنهم؛ فإنّه ما من مسلم إلّا وفيه خلق سيّئٌ وخلق حسنٌ؛ فانظر إلى ما حسُن من أخلاقه، ودع عنك النظر فيما يسوء من أخلاقه.

وإذا صلّيت فأقم صلبَك في الركوع والسجود.

واشكر الله على قليل النِّعم كما تشكره على كثيرها، ولا تستقلل من الله شيئا من نِعمه.

ولا تكن لعّانا ولا[5] سبّابا.

وإيّاك وبغضَ من ينصر اللهَ ورسولَه، أو يحبّ اللهَ ورسولَه. ولقد رأيت رسول الله ﷺ سنة تسعين

---

1 ص 111

2 أثبت في الهامش بقلم آخر: "أجرة" وبجانبها "ظن"

3 هي المدينة المنورة

4 رسمها في ق: "مسلم" وصححت في الهامش بقلم آخر، وبجانبها: ظن

5 ص 111ب

وخمسمائة في المنام بتلمسان، وكان قد بلغني عن رجل أنّه يقع في الشيخ أبي مدين، وكان أبو مدين من أكابر العارفين، وكنت أعتقد فيه، وكنت فيه على بصيرة؛ فكرهت ذلك الشخص لبغضه في الشيخ أبي مدين. فقال لي رسول الله ﷺ: "لِمَ تكره فلانا؟" فقلت: لبُغضه في أبي مدين. فقال لي: "أليس يحبّ الله ويحبّني؟" فقلت له: بلى يا رسول الله؛ إنّه يحبّ الله ويحبّك. فقال لي: "فلِمَ بغضته لبغضه أبا مدين، وما أحببتَه لحبّه اللهَ ورسولَه" فقلت له: يا رسول الله؛ من الآن، إنّي واللهِ زللت وغفلت، والآن فأنا تائب، وهو من أحبّ الناس إليّ؛ فلقد نبّهتَ ونصحتَ -صلّى الله عليك-.

فلمّا استيقظت؛ أخذت معي ثوبا له ثمن كبير، أو نفقة، لا أدري. وركبت، وجئت إلى منزله، فأخبرته بما جرى؛ فبكى، وقَبِل الهديّة، وأخذ الرؤيا تنبيها من الله؛ فزال عن نفسه كراهته في أبي مدين، وأحبّه. فأردت أن أعرف سبب كراهته في أبي مدين، مع قوله بأنّ أبا مدين رجل صالح! فسألته، فقال: كنت معه ببجاية، فجاءته ضحايا في عيد الأضحى، فقسّمها على أصحابه وما أعطاني منها شيئا؛ فهذا سبب كراهتي[1] فيه ووقوعي، والآن فقد تبت. فانظر ما أحسن تعليم النبيّ ﷺ فلقد كان رفيقا رقيقا.

وإذا استرعاك اللهُ رعيّةً؛ مسلمين أو أهل ذمّة؛ فإيّاك أن تغشّهم، ولا تضمر لهم سوءا، وانظر فيما أوجب الله عليك من الحقوق لهم؛ فأدّها إليهم، وعاملهم بها ظاهرا وباطنا، سِرًّا وعلانية. ولا تجعل ذمّيًا خصمَك يوم القيامة.

وإذا رأيت من أحد حالةً سيّئة، يطلب أن تُشتَرَ عليه؛ فاستره فيها. ولو لم يُرد الستر؛ فاسترها أنت عليه، على كلّ حال.

وإذا أكلت طعاما؛ فلا تأكل أكل الجبّارين متّكئا، وكُلْ كما يأكل العبد؛ فإنّك عبدٌ على مائدة سيّدك؛ فتأدّب.

وإذا رأيت من يطلب ولاية عمل؛ فلا تَشفَعْ له في ذلك؛ فإنّ الولاية ندامة وحسرة في الآخرة، وقد أمرك الله بالنصيحة. وإذا رأيت قوما ولّوا أمرهم امرأة؛ فلا تدخل معهم في ذلك.

---

1 ص 112

وصيّة: (لا تُسْبَقْ إلى فضيلة)

لا تُسْبَقْ إلى فضيلة إذا وجدتَ السبيل إليها، وانظر في الدنيا نظرَ الراحل عنها، والمطالَب بما نال منها.

وإذا نكحتَ فأَوْلِمْ بما قدرتَ عليه. وإذا نمت، أو دخلت بيتك، أو أكلت، أو شربت، أو فعلت فعلا؛ فَسَمِّ الله عليه، واذكره. وتناول بيمينك أمورَك كلّها إلّا[1] ما ورد فيه النهي من الشارع، أو ما يجري مجرى النهي؛ مثل الاستنجاء، ومَسك الذَّكر باليمين أيضا عند البول، والامتخاط؛ فاجعل ذلك كلّه بيسارك.

وإذا أكلت مع جماعة طعاما واحدا؛ فكُلْ مما يليك، وإذا اختلف الطعام؛ فكُلْ من حيث شئت، وقلّل النظر إلى من يأكل معك، وصغِّر اللقمة، وشدِّد المضغ، وسَمِّ الله في أوّل كلّ لقمة[2]، واحمد الله في آخرها إذا ابتلعتها، واشكر الله حيث سوّغكَها، ولا تكثر الشره في الأكل.

وتعاهد المشي إلى المساجد؛ مساجد الجماعات في أوقات الصلوات، ولا سيما العتمة والصبح من غير سراج؛ تُبَشَّر بالنور التامّ يوم القيامة.

وإذا سمعت من يعطس وحَمِد الله؛ فشمّته، وإن لم يحمد الله فذكّره بحمد الله؛ فإذا حمد الله فشمّته. فإذا زاد في العطاس على ثلاثة فهو مزكوم؛ فادع الله له في الشفاء.

وإيّاك أن تخون مَن خانك، ولا تعتدِ على مَن اعتدى عليك؛ فإنّ ذلك أفضل لك عند الله. واعذُر ولا تعتذر؛ فإنّ اعتذارك يتضمّن سوء ظنّك بمن اعتذرت له. وابدأ في المعاملة مع الخلق بالأَوْلَى فالأَوْلَى، وإذا تساوت الأمور، وبدأ الله بذِكْر شيء منها؛ فابدأ بما بدأ الله به، كما فعل[3] رسول الله ﷺ في حجّته لمّا أراد أن يسعى بين الصفا والمروة، «وقف على الصفا وقرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[4] أبدأ بما بدأ الله به».

وإذا قمت في عبادة الله؛ فاعمل نشاطك، فإذا كسلتَ؛ فاترك، ولا تكن من الذين إذا قاموا إلى

---

1 ص 112ب
2 رسمها في ق: اللقمة
3 ص 113
4 [البقرة : 158]

الصلاة قاموا كسالى. وإذا صلّيت، وأحدٌ ينظر إليك؛ فانوِ في تحسين صلاتك تعليمَه، وأخلص لله عبادتك؛ فإنّه ما أمرك أن تعبده إلّا مخلِصا، وافعل ما أوجب الله عليك فِعله ولا بدّ، سواء كسلت أو كنت نشيطا، وإنما أمرتك بالترك في النوافل. ولا تعبد الله بكسل، وانتقل إلى نافلة غيرها، ولا تحسّن صلاتك في الملأ دون الخلا؛ فإن فعل ذلك مَن فعله؛ فإنّ ذلك الفعل استهانةٌ استهان بها ربّه، كذا ثبت. وإن كنت ممن يصلح للإمامة؛ فصلِّ خلف الإمام؛ فإنّه إن أحدث الإمام في الصلاة استخلفك، وإن لم تكن من أهلها؛ فصلّ في يمين الصف أو يساره. وحافظ على الصفّ الأوّل، وإذا رأيت فُرجة في الصفّ؛ فَسُدَّها بنفسك -فلا حرمة لمن رآها وتركها- وتَخَطَّ رقاب الناس إليها، وسارِع إلى الخيرات وكن لها سابقا، ونافس فيها قبل أن يحالَ بينك[1] وبينها.

وإيّاك أن تتخلّى[2] في طريق الناس، أو في ظلّهم، ولا تحت شجرة مثمرة، ولا في مجالس الناس. ولا تبُلْ في هَوِي، ولا في جُحْرٍ، ولا في ماء دائم ثمّ تتوضّأ منه، أو تغتسل فيه.

واتّق الله في زوجتك، وولدك، وخادمك، وفي جميع مَن أمرك الله بمعاملته. واحذر فتنة الدنيا، والنساء، والولد، والمال، وصحبة السلطان. واتّق الله في البهائم.

واجعل من صلاتك في بيتك، وعيّن في بيتك مسجدا لك تتنفّل فيه، وتصلّي فيه فريضتك إن اضطررت إلى ذلك.

وأكثِر من قراءة القرآن بتدبّرٍ إن كنت عالما؛ فإنّه أرفعُ الأذكار الإلهيّة. وإن كنت في جماعة يقرؤون القرآن؛ فاقرأ معهم ما اجتمعتم عليه؛ فإن اختلفتم فقُم عنهم. وحافظ على قراءة الزهراوين: البقرة وآل عمران. وإذا شرعت في قراءة سورة من القرآن؛ فلا تتكلّم حتى تختمها؛ فإنّ ذلك دأب العلماء الصالحين. ولقد حدّثني غير واحد بقرطبة، عن الفقيه ابن زرب، صاحب "الخصال" أنّه كان يقرأ في المصحف سورة من القرآن، فمرّ عليه أمير المؤمنين من بني أميّة، فقيل للخليفة عنه؛ فمسك فرسه، وسلّم عليه، وسأله. فلم يكلّمه الشيخ[3] حتى فرغ من السورة، ثمّ كلّمه. فقال له الخليفة في ذلك؛ فقال: ما كنت لأترك الكلام مع سيّدك، وأكلّمك وأنت عبده، هذا ليس من الأدب. ثمّ ضرب له مثلا به وبعبيده، فقال: أرأيتَ لو كنتُ

---

1 ص 113ب
2 تتخلّى: تتبرز
3 ص 114

في حديثٍ معك، وكلّمني بعض عبيدك؛ أيحسن منّي أن أترك الكلام معك وأقطعه، وأكلّم عبدك؟ قال: لا. قال: فإنّك عبد الله. فبكى الخليفة. ولقيت جماعة على ذلك من شيوخنا، منهم أبو الحجاج الشبربلي، بأشبيلية، وكان كثيرا ما يقرأ القرآن في المصحف إذا خلى بنفسه.

وإذا دخلتَ على مريض أو ميّت؛ فاقرأ عنده سورة "يس"؛ فإنّه اتّفق لي فيها صورة عجيبة.

وعليك بالصلاة في النّعال إذا لم يكن بها قذَر، والمشي فيها. واستوصِ بطالب العلم خيرا وبالنساء. واعتدل في السجود إذا سجدتَ في الصلاة، أو في القراءة، ولا تبسط ذراعيك في سجودك كما يفعل الكلب. ولا تكلّف نفسك من العمل؛ إلّا ما تطيقه وتعلم أنّك تدوم عليه. وإذا حضرتَ عند ميّت؛ فلقّنه "لا إله إلّا الله" ولا تسيء الظنّ به إذا لم يقل ذلك، أو يقول: "لا" فإنّي أعلم أنّ شخصا بالمغرب جرى له مثل هذا، وكان مشهورا بالصلاح، فلمّا أفاق قيل له في ذلك، فقال: ما كنتُ معكم[1]، وإنما جاءني الشياطين في صورةِ مَن سَلَفَ ودَرَجَ من آبائي وإخواني، فكانوا يقولون لي: إيّاك والإسلام؛ مت يهوديّا أو نصرانيّا. فكنت أقول لهم: "لا" حين سمعتموني أقول: "لا" إلى أن عصمني الله منهم.

وإذا كان لك صاحبٌ فَعُدْهُ إن مرض، وصلِّ عليه إن مات، وشيّع جنازته. وإذا شيّعتَ جنازة: إن كنت راكبا فامش، وإن كنت ماشيا فامش بين يدها. وإذا حضرت دفن ميّت من المسلمين؛ فلا تنصرف عن قبره، وقِف ساعة قدر ما يُسأل؛ فإنّه يجد لوقوفك أُنسًا. وإن حملتَ جنازة؛ فأسرع بها؛ فإن كان خيرا سارعتَ بها إليه، وإن كان شرّا حططتَه عن رقبتك. ولا تذكر مساوئ الموتى.

وغطِّ الإناءَ الذي تشرب منه، وأطفِ السراج عند نومك، وأغلق بابك إذا أردت النوم؛ فإنّ الشياطين لا تفتح بابا مغلقا، واقرأ آية الكرسي عند نومك.

وسدّد في الأمور وقارب ما استطعت، فاعمل الخير ولا تقل: إن كان الله كتبني شقيّا فأنا شقيّ، وإن كان كتبني سعيدا فأنا سعيد؛ فلا أعمل. فاعلم أنّك إذا وُفّقت لعمل الخير فهو بشرى من الله أنّك من السعداء؛ فإنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأنّ الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ[2] بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[3] وقال ﷺ:

1 ص 114ب
2 ص 115
3 [الليل : 5 - 10]

«اعملوا واتّكلوا وكلٌّ ميسّر لما يُسّر» فمن خُلق للنعيم فسييسّر لليسرى، ومن خُلق للجحيم فسييسّر للعسرى.

وأنزِل كلّ أحد منزلته؛ تكن عادلا، واترك حقّك لأخيك ما استطعت، وأَقِلْ عثرات أهل المروءات والهيئات[1]؛ إلّا في إقامة الحدود المشروعة إن كنت حاكما ذا سلطان. وإن كنت ذا ثروة وحظّ من الدنيا؛ فارتبط فرسا، أو خيلا في سبيل الله، وامسح بنواصيها وأعجازها، وقلّدها، ولا تقلّدها وَترا ولا جَرَسا، وجاهد بمالك ونفسك مَن أشرك بالله. واشفع إلّا في حدّ إذا بلغ إلى الحاكم.

والبس البياض من الثياب؛ فإنّه خير لباس المؤمن وأطهَرُه وأطيَبُه، وكفّن الميّتَ فيه.

وإذا جاءك سائل في العلم أو غيره؛ فلا تنهره، ولا تخيّب من جاء يسترفدك مما فضّلك الله عليه من الرزق.

وأكثِر من زيارة القبور، ولا تكثِر الجلوس عندها، ولا تقل هجرا؛ بل اجلس ما دمتَ تعتبر، وتذكّرك الآخرة، ولا تؤذ أصحاب القبور بالحديث عندها في أمور الدنيا.

وبلّغ عن رسول الله ﷺ[2] ولو خبرا واحدا، أو آية؛ فإنّك تحشر بذلك في زمرة العلماء المبلّغين.

ومُر الصبيّ بالصلاة لسبع سنين، واضربه عليها لعشر سنين، وفرّق بين الصبيان في المضاجع. وإيّاك أن تفضي إلى أخيك في الثوب الواحد.

وتابع بين الحجّ والعمرة، وإن جاورتَ بمكة؛ فأكثِر من الاعتمار والطواف، (ولا سيما في رمضان)[3] فإنّ عمرة في رمضان تعدل حجّة، هذا هو الثابت.

وأكثِر من أكل الزيت والادّهان به، وإذا اشتريت طعاما فاكتلْهُ.

واجتنب السبع الموبقات، وهي: الشرك بالله، والسّحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

---

1 رسمها في ق: "والهيات" مع إهمال حروفها المعجمة
2 ص 115ب
3 ما بين القوسين لم ترد في ق ووردت في هـ، س

وصيّة: (تتضمن وصايا)

عليك بكثرة السجود والجماعة.

وإن قدرت أن تسكن الشام؛ فإنّ رسول الله ﷺ ثبت عنه أنّه قال: «عليكم بالشام؛ فإنّها خيرة الله من أرضه، وإليها يجتبي خيرته من عباده».

وإيّاك والحديث بالظنّ؛ فإنّ «الظنَّ أكذبُ الحديث». وإيّاك والحسد، ولا تجلس على الطرقات، ولا تدخل على النساء المغيبات. وإذا بِعتَ فلا تُكثِر من[1] اليمين على سلعتك.

وإيّاك أن تتقلّد أمرا من أمور المسلمين؛ فإن أُلجئت إلى ذلك ولا بدّ؛ فلا تحكم بين اثنين وأنت غضبان، ولا وأنت حاقن، ولا جائع، ولا أنت مستوفز لأمر لا بدّ لك منه.

واعدل بين رِجليك إذا انتعلتَ، أو وضعت إحدى رجليك على الأخرى. واعلم أنّ جوارحك من رعيّتك فاعدل فيها؛ فإنّ الله أمرك بالعدل فيمن استرعاك. وإن كنت مملوكا فلا تقل لمالِكك: "ربّي" وقل: "سيّدي"، وإن كان لك مملوك أو مملوكة فلا تقل: "عبدي" ولا "أَمَتي" وقل: "غلامي" و"جاريتي". ولا تقل لأحد: "مولاي" فإنّ المولى هو الله. وقد نهيت أن تقول: "خُبثت نفسي" وقل: "لَقِست نفسي".

وإذا طلب منك جارُك أن يغرز خشبةً في جدارك؛ فلا تمنعه. ولا تنظر في عورة أحد ولا في بيته إلّا بإذنه. ولا تصحب إلّا مَن تجد في صحبته الزيادة في دينك وإيمانك، وقدّم في معروفك كلَّ تقي، ولا تعط الفاجر ما يستعين به على فجوره. وإن كانت لك زوجةٌ وضربتَها لأمر طرأ منها؛ فلا تجامعها مِن يومها. وإيّاك أن تسأل شيئا سِوَى الله إلّا الله في جنّته ورؤيته، وأمّا في شيء من عرَض الدنيا؛ فلا.

وإن ركبت البحر فلا تركبه إلّا حاجّا أو معتمرا، ولا تخطب امرأة على خطبة أخيك، ولا تَسُمْ[2] على سَوْمِه حتى[3] يَذَر.

وإن كنت ضيفا عند قوم فلا تصم إلّا بإذنهم، وإذا كنت في خدمة شيخ فلا تَصُم ولا تتحرّك في شيء إلّا بإذنه، والمرأة لا تصوم إلّا بإذن زوجها صوم النافلة أو قضاء شهر رمضان، ولا تأذن في بيت

1 ص 116

2 السوم من المساومة وهو المبالغة في السعر

3 ص 116ب

زوجها إلّا بإذنه إذا كان حاضرا. ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتنكح بعلها، ولا تسافر امرأةٌ فوق ثلاث إلّا مع ذي محرَم.

وإذا دعوت في المغفرة فاعزم المسألة، ولا تقل: "اغفر لي إن شئت" واطلب رحمة الله وغفرانه، ولا تستكثر شيئا تسأله من الله؛ فإنّ الله كبيرٌ، عنده فوق ما تأمل.

وإيّاك أن تتصرّف في مال أخيك إلّا بإذنه، وإذا أصبحتَ في كلّ يوم، فقل: "اللهم إنّي تصدّقتُ بعِرضي على عبادك، اللهمّ مَن آذاني، أو شتمني، أو غصبني، أو فعل معي أمرا لي الحكم فيه؛ أشهدك يا ربّ؛ أنّي قد أسقطت طلبي عنه في ذلك، دنيا وآخرة".

وإذا شربتَ ماء فاشرب قاعدا. ولا تقل: "يا خيبة الدهر" فـ«إنّ الله هو الدهر» هذا ثابت عن رسول الله ﷺ. وإيّاك أن تبرِز فخذك حتى يُرى منك، ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميّت.

وإيّاك أن تقعد على قبر، ولا تصلّ وأنت تستقبله، أو تستقبل إنسانا في صلاتك ووجهه إليك. ولا تتّخذ القبر مسجدا، ولا تمنّ الموت لِضُرٍّ نزل بك، بل قل: اللهمّ أحيني[1] ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيرا لي، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.

انتهى السفر السادس والثلاثون من الفتوح المكي، يتلوه السفر السابع والثلاثون منه؛ وصيّة: لا تكن وصيّا ولا رسول قوم، ولا سيما بين الملوك. والحمد لله.[2]

1 ص 117
2 أسفل المتن هناك ختم الأوقاف الإسلامية برقم 1763